

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله.

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية. قسم اللغة العربية وآدابها.

علاقة لسانيات النص بعلم الوقف والابتداء في القرآن الكريم.
دراسة تحليلية تأصيلية.

رسالة مقدمة لنيل شهادة: دكتوراه العلوم.
تخصص: الدراسات اللغوية النظرية.

إعداد الطالبة:

مسعودة بن النوي.

السنة الجامعية:

2021-2022م.

1442-1443 هـ.

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي.
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله.

قسم اللّغة العربيّة وآدابها.

كلية اللّغة العربيّة وآدابها واللّغات الشّرقية.

علاقة لسانيات النّص بعلم الوقف والابتداء في القرآن الكريم.
دراسة تحليليّة تأصيليّة.

رسالة مقدّمة لنيل شهادة: دكتوراه علوم.
تخصص: الدّراسات اللّغوية النّظرية.

إشراف الأستاذ الدّكتور:

عبد الرّزاق عبيد.

إعداد الطّالبة:

مسعودة بن النّوي.

السّنة الجامعيّة:

2021 – 2022 م.

1442 – 1443 هـ.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله.

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية. قسم اللغة العربية وآدابها.

علاقة لسانيات النص بعلم الوقف والابتداء في القرآن الكريم. دراسة تحليلية تأصيلية.

رسالة مقدمة لنيل شهادة: دكتوراه علوم.
تخصص: الدراسات اللغوية النظرية.

إشراف الأستاذ الدكتور:
عبد الرزاق عبيد.

إعداد الطالبة:
مسعودة بن النوي.

أعضاء لجنة المناقشة:

- أ.د/عبد المجيد سالمى..... رئيسا.
أ.د/عبد الرزاق عبيد..... مشرفا ومقررا.
أ.د/مفتاح بن عروس..... عضوا.
أ.د/عبد الرحمان أكتوف..... عضوا.
أ.د/علي صالحى..... عضوا.
أ.د/أمين قادري..... عضوا.

السنة الجامعية:

2021-2022م.

1442-1443 هـ.

إهداء .

إلى والديّ الكريمين،

اللذين لن أوفيهما حقهما مهما حاولت إلى ذلك سبيلا.

إلى زوجي، الذي تحمّل معي نهايات هذا البحث، وكان سندا لي في إتمامه.

وإلى ابنتي: إسرائ وصالّ الرحمان، التي أرجو لها سعادة الدارين.

إلى إخوتي وأفراد أسرتي وأخص بالذكر براعمها:

محمد معاذ، وإسحاق عبد الصّمد، وإدريس عبد السّميع، وعبد الله، ونفيسة.

وأرجو أن تتكلل حياتهم بالنّجاح والتّوفيق.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

شكر وعرفان.

الحمد لله والشكر له أن وفقني لأتم هذا البحث. وما توفيقني إلا به. وبعد:
فإنني أتقدم بخالص شكري لأستاذي المشرف: عبد الرزاق عبيد، على دعمه وتشجيعه،
و أشكره على تفهمه للظروف التي مرت بي وأنا بصدد القيام بهذا العمل. ، فشكرا أستاذي
على حلمك وسماحتك. وأشكر لك جهدك وتعبك في قراءة بحثي، وتوجيهي وتصويب عثراتي
فيه؛ حتى استوى على ما هو عليه الآن.

كما أتوجه بشكري إلى كل من علمني ولو حرفا وإلى كل معلم ومعلمة وأستاذ وأستاذة
درسني (درستني) في كل مرحلة من مراحل تعليمي. فالتجاح هو خطوة بخطوة وثمار جهد كل
من قدم لي علما أنتفع به في حياتي، وأرجو أن أنال ثماره بعد مماتي ويكون خالصا لله.
كما أتقدم بالشكر لأخي يعقوب، الذي عمل على تنضيد هذا البحث وبذل جهدا في سبيل
إتمامه. كما أتقدم بخالص شكري للصديقة الوفية زينب برحيل، التي كان لها أثر كبير في
مواصلتي إتمام بحثي، بتشجيعها لي وقراءتها لعملي وتصويب عثراتي فيه. أسأل الله أن يجزيها
عني خير الجزاء.

والشكر موصول إلى كل من أمل يوما أن أتجاوز عقبات الحياة وعقبات البحث، وأتم عملي في
هذا الموضوع.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدّين. وبعد:

أمّا موضوع هذا البحث فيقوم على أساس المقارنة بين علمين بهدف التنظير للسانيات نص عربية، وهذان العلمان هما: علم الوقف والإبتداء، ولسانيات النّص.

فأمّا علم الوقف والإبتداء فهو من علوم القرآن، والوقف والابتداء مبحث مهم من مباحث علم التّجويد، وواجب محتمّ على قارئ القرآن - القادر على طلب العلم- تعلّم مسائله، وتطبيق قواعده قدر الإمكان، لأنّ به يتحقق فهم كلام الله عزّ وجلّ، وبه يتمّ إدراك معاني القرآن.

فاعتماد علماء الوقف والابتداء وضع الوقوف على أواخر الكلم وتفصيل وبيان وجوهها وأقسامها مبنيّ على معاني الآيات. إذ المقصود منه بيان مواضع الوقف والابتداء، فيعرف القارئ متى يقف وكيف يبتدئ بحسب ما يقتضيه المعنى واللفظ، ولا يكون ذلك إلاّ بتدبر واهتمام بالمعاني. والوقف والابتداء ظاهرتان لغويتان قبل أن يكونا مبحثا مهما من مباحث التّجويد. فهما في كلام العرب مسألة مهمّة فمن لا يعرف الفصل من الوصل، كلامه لا يبلغ فهم السّامع، ولا يتّسم ببلاغة الكلام، إذ البلاغة في مفهومها هي معرفة الفصل من الوصل.

إنّ الوقف والابتداء على قدر أهميته في تلاوة القرآن وفهم معانيه، هو في كلام العرب ظاهرة لغوية فطرية. مثلها مثل قواعد النّحو في كلام العربي اللسان بالسليقة. إذ تباهى العرب قديما بمن يعرف الفصل من الوصل في كلامه، وعابوا عكس ذلك.

ولسانيات النص علم يدرس النّصوص ويصفها في شقين الأول علاقتها باللّغة في جانب علاقة [اللغة _ باللّغة]، أي [النّص - باللّغة]، وهنا نبحت عن نسيج النّص وعلاقة وحداته [الجملة] بعضها ببعض. والثّاني في علاقة [اللغة - بالمقام]، وهنا نبحت في علاقة النّص بما هو غير لغوي، أي كل ما يربط ذهن القارئ بمقام نشأة النّص. ومن هنا بدأت فكرة هذا الموضوع، فقد تولدت عن ملاحظة علمية اقتطفتها من حلقة من حلقات العلم حين كنت أتعلّم

باب الوقف والابتداء من دروس تحسين التلاوة في جمعية نسوية هي فرع من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالعاصمة، تحدثت المعلمة حينها عن أقسام الوقف والابتداء وكانت تشرح علاقة ذلك بعلم العربية- النحو-، وكنت لا أنسى دروس أستاذي "مفتاح بن عروس" الذي أرسى فينا مبادئ لسانيات النص، وأثار عقولنا بمعلومات قيّمة- ونحن طلبة في صفوف التحضير لنيل شهادة الليسانس-. ففتح لنا نافذة لنبصر الدراسات اللسانية الغربية، ونلمح علاقة التراث اللغوي العربي بما يتفنن الغرب فيه منذ بدايات اللسانيات مع دو سوسير إلى يومنا هذا. فمنّ الله عليّ بفكرة هذا الموضوع التي شغلت فكري من يومها كثيرا وانطلق البحث فيها، ولو لم تواجهه صعوبات شتى؛ لكان لي فيه نيل مناي في التبحر أكثر في العلوم المرتبطة بهذا العمل وتقديم العمل على الصورة التي تمنيتها...

إنّ ما حقّز همّتي، وقوّى عزيمتي هو أنّ أرفع درجات العلم قد تبدأ بتعلم حروف الهجاء؛ ومسيرة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة؛ وهذا الموضوع إن لم يرتق إلى مستوى الأهمية، فيكفي أن يكون فكرة أو إشارة، أو بداية قد تكمله أبحاث أخرى؛ فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه. والذي زاد دوافع لاختياري لهذا الموضوع قلّة الدراسات في موضوع الوقف والابتداء، وربطه بالدراسات اللسانية الحديثة خصوصا؛ وإن لم نقل هو نادر أو يكاد ينعدم في التأليف. فأول من كان له فيه باع طويل الدكتور "المبروك زيد الخير"، حيث قدّم عملا متميّزا في مسألة الوقف في القرآن الكريم، في رسالة ماجستير هي مطبوعة في كتاب بعنوان: "ظاهرة الوقف القرآنيّ وأثرها في تغيير المعاني النحوية من خلال سورة النساء". هذا في مكتبة قسمنا بالإضافة إلى بحث قدّم في رسالة ماجستير للطالب "بلقاسم سلطاني" بعنوان: " أثر النحو في اختيار الوقف والابتداء في القرآن الكريم - الوقوف الهبطية أنموذجا".

ومن الصّعوبات التي واجهتني في هذا العمل تشعب الموضوع وارتباطه بعلم شتى، وكوني طالبة مبتدئة في هذا المجال حيث بدأت تعلم مبادئ علم الوقف والابتداء تزامنا مع فكرة مشروعني هذا، فكان الوقت قصيرا بالنسبة لي للغوص في هذا المجال واستيعاب أهم قضاياها ودقائقه وتبيّن مفاهيمه، التي من الممكن أن تعين على التهوّض بهذا العمل إلى صورة أحسن

من هذه. وقد جاهدت في سبيل الوصول إلى ذلك ما استطعت إليه سبيلاً... والله الموفق لكل خير.

ولا ريب في أن هذا الموضوع العلمي الدقيق، يتطلب من الباحث: الأناة، والصبر، واليقظة، والحذر، في كل ما يخطه قلمه، والاطلاع على أغلب ما كتبه النحاة والصرفيون، وما روته كتب اللغة، والتفسير، والقراءات، بمقابل ظروف حرمتي وأجبرتي على الانقطاع مدة من الزمن. التي كان علي فيها بذل جهد مضاعف في تحصيل ما يخدم هذا الموضوع بشكل أفضل، مع ضيق الوقت وكثرة الانشغالات والعقبات. فهذا العمل هو جهد المقل. وأسأل الله أن يزيدني علماً نافعاً. أنتفع وأنفع به.

أمّا أهمية هذا الموضوع فتكمن في أن موضوع الوقف والابتداء في القرآن الكريم مبحث مهم، وواجب تعلمه من كل مسلم قادر على التعلم، وموضوع شائك لتعلقه بعلوم مختلفة من علوم العربية والعلوم الإسلامية. وظاهرة الوقف أثناء عملية القراءة موضوع بالغ الأهمية في تعليم النشء نظام اللغة العربية، لتعلقه بقواعد النحو من جهة، ومفاصل الكلام التي تمثل معالم الكلام البليغ من جهة أخرى. وهو في حد ذاته عملية قراءة للنصوص، وقراءة النص تستلزم متكلماً/سامعاً، ومتلقياً لخطاب يفهمه ويفسر معانيه، ويتأثر بما جاء فيه، ويتفاعل مع المتكلم الناطق به.

وإذا تحدثنا عن النص الذي هو بمثابة الموضوع الذي يربط المتكلم بالمتلقي، فهنا ندخل لا محالة في مبادئ التحليل اللساني للنصوص، وهو مجال لسانيات النص. التي تقوم على جملة من المبادئ في التحليل منها البحث عن مفاصل الكلام (النص)، ومعرفة العلاقات بين هذه المفاصل، في ما يسمى بنسيج النص، وهو يدرس التركيب الداخلي للنص، وكذا علاقة النص بالمتكلم، والمتلقي، وكذا المقام بكل ما يحتويه من زمان ومكان وظروف نفسية واجتماعية... أي العلاقات الخارجية للوحدات اللغوية المشكلة لهذا النسيج.

نهدف من هذه الدراسة -كما سبق أن أشرت- إلى التنظير للسانيات نص عربية بالمقارنة بين علمين مجال دراستهما هو النص، فقد نظر الغرب للسانيات النص، التي مجالها تحليل

النصوص. ووضعوا القواعد والأسس لذلك. واهتم علماء الوقف والابتداء بالنص القرآني، فوضعوا آليات القراءة الصحيحة له، بتطبيق قواعد وضوابط الوقف والابتداء في الكلام؛ إذ بها يجتنب القارئ الخطأ في إيهام غيره بفهم خاطئ وهو لا يوصل المعنى المراد من كلامه عز وجل. إن الالتزام الصحيح بمواضع الوقف وحسن الابتداء في القراءة هو السبيل الوحيد إلى إيصال المعنى المقصود دون زيغ أو خلل. ونلاحظ أن هذه العملية على قدر كبير من الأهمية في تعليم اللغة العربية. فقد تؤدي القراءة الخاطئة في أغلب الأحيان للنصوص إلى الانحراف عن المعنى الحقيقي المراد، وفهمه فهما خاطئاً.

لقد جاء هذا البحث بناء على فكرة المقارنة بين العلمين: لسانيات النص، وعلم الوقف والابتداء، فكان عنوانه: "علاقة لسانيات النص بعلم الوقف والابتداء في القرآن الكريم - دراسة تحليلية تأصيلية". وكانت إشكاليته الرئيسة هي: ما علاقة لسانيات النص بعلم الوقف والابتداء؟ وكيف حل علماء الوقف والابتداء النص؟

إن هذا البحث يبدو للوهلة الأولى مقارنة بين علمين لكنّه في منهجه التحليلي يهدف إلى التنظير للسانيات النص في التراث العربي، والبحث عن إجراءات تحليل النصوص عند علماء الوقف والابتداء. فكان لهذا العمل صعوبة واجتني مدة من الزمن أبحاث فيها عن كيفية التحكم في المادة العلمية الضخمة من كتب علم الوقف والابتداء، وتحديد مدونة البحث التي تكون موافقة لحجمه الأكاديمي من جهة، وتخدم جانبه التطبيقي من جهة أخرى.

وبعد التفكير والبحث عن مخرج من هذا خلصت إلى دراسة أهم مواضع الوقف والابتداء بدءاً بسورة الفاتحة إلى نهاية المصحف. انتقلاً اختياريًا من سورة إلى سورة، أتوقف فيها على موضع من مواضع الوقف وأنظر كيف علل علماء الوقف والابتداء هذا الوقف والابتداء؟، لكن هذا الاختيار يكون بحسب ما دونه هؤلاء من تعليقات، وكان فيها ما يخدم بحثي.

العائق الآخر الذي واجهني في هذا البحث هو كيف أقرأ هذا التراث بأعين غربية، وزادي في العلمين قليل، والهاجس الذي تملكني منذ بداية بحثي في هذا الموضوع هو الخوف من أن أقول ما ليس لي به علم، فكان فعلاً عائقاً انتابني كثيراً حتى كدت أتوقف وأعزف عن هذا

العمل نهائياً. لكنني واجهت وفي نيتي أن أتعلّم ولو الشيء القليل؟ ويبقى طلب العلم لا ينتهي حتى اللحد. ويبقى عملي هذا بحثاً يشوبه النقص مثل أي بحث، ويحتاج إلى تصويب عثرات، وملاً فراغات.

إنّ أهمّ مصادر بحثي كانت تتركز على الأعمال التي تقدمت غيرها في كلا العلمين، فقد كان من جهة لسانيات النّص الرافد الأول هو كتاب هالدي ورقية حسن: « Cohesion in English » رجعت إليه في نسخته الأصلية، كما استعنت بالمراجع التي ترجمت منه. واعتمدت مصدراً لي في لسانيات النّص كل ما درست علي يدي أستاذي "مفتاح بن عروس" ففي مؤلفيه: رسالة الماجستير والدكتوراه ما يغني عن أي مصدر في علم النّص فقد ألف وترجم من مادة علمية أجنبية قيّمة، بعضها تحصلت عليه؛ ولم أجد أغلبها في المكتبات. فجعلت من أعماله مصدراً لبحثي هذا

. بالإضافة إلى كم كبير من المؤلفات العربية المترجمة والمؤلفة في لسانيات النص التي تصنف بالنسبة لي في قائمة المراجع.

أمّا بالنسبة لأهم مصادر علم الوقف والابتداء، وهنا أيضاً بين قوسين كان من بين عقبات بحثي هذا هو الكم الهائل من كتب علم الوقف والابتداء بداية من القرن الأول هجري إلى القرن الحادي عشر هجري. فكان عائقي يتمثل في ضخامة المادة العلمية هنا التي ترتبط بمدونة البحث. وهذا ما أوقعتني في صعوبة اختيار حجم المدونة. وبعد تفكير عميق ارتأيت أن أركز على المصادر الأولى التي ألفت في هذا العلم ورجع إليها من ألف بعدها غير أنني أستثمر التعليقات المختلفة والإضافات عند من أضاف من المتأخرين تعليلاً يخدم موضوع البحث في أيّ جزئية من جزئياته.

فأهمّ مصادر علم الوقف والابتداء التي اعتمدت عليها في بحثي هي: إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري، والقطع والائتلاف لابن النّحاس، ومنار الهدى للأشموني، والمكتفى في الوقف والابتداء لأبي عمرو الدّاني، وعلل الوقوف والوقف والابتداء للسّاجوندي.

إنّ العمل في هذا الموضوع نحى بي نحو خطة بحث تتمثل في تقسيمه إلى ثلاثة فصول على نحو ما يلي:

الفصل الأول: الفصل الأول: علم الوقف والابتداء نشأته وأهميته ومصطلحاته وضوابطه. وكان بدوره مكوناً من: مدخل إلى علم الوقف والابتداء أتطرق فيه إلى نشأته، وأهميته، ومؤلفاته. وثلاثة مباحث هي بعناوينها كما يلي:
المبحث الأول: الوقف والابتداء تعريفهما وأقسامهما.

والمبحث الثاني: علم الوقف والابتداء مصطلحاته وقوانينه وضوابطه.

والمبحث الثالث: علم الوقف والابتداء وعلاقته بالعلوم العربية والعلوم الإسلامية.

أمّا الفصل الثاني فكان مقسماً بدوره إلى مدخل وثلاثة مباحث. على النحو الآتي:

الفصل الثاني: لسانيات النّص: مفاهيمها، وقوانينها وضوابطها.
مدخل إلى لسانيات النّص.

المبحث الأول: لسانيات النّص: مصطلحاتها ومفاهيمها.

المبحث الثاني: لسانيات النّص قوانينها وضوابطها.

المبحث الثالث: لسانيات النّص وعلاقتها بعلوم اللّغة.

أمّا الفصل الثالث فكان بمثابة البحث عن نقاط التقاطع بين العلمين في الجانب التطبيقي لتحليل النّصوص. وهنا يتمّ البحث عن آليات علماء الوقف والابتداء في الوقف على مفاصل الكلام. وكان هذا الفصل مقسماً إلى مبحثين وكل مبحث مقسم إلى مطالب على النحو الآتي:

الفصل الثالث: علاقة لسانيات النّص بعلم الوقف والابتداء.

المبحث الأول: علاقة الوقف والابتداء بالتركيب في ضوء المفاهيم النّصية.

1- المطلب الأول: الوقف والابتداء واختلاف القراءات.

2- المطلب الثاني: الوقف والابتداء وتعدّد الإعراب.

و المبحث الثّاني: علاقة الوقف والابتداء بالمعنى في ضوء المفاهيم النّصية.

- 1 - المطلب الأول: الوقف والابتداء وتمام المعنى.
- 2 - المطلب الثّاني: الوقف والابتداء وتعدّد المعنى.
- 3 - المطلب الثّالث: الوقف والابتداء بين القبيح والحسن.

وقدم لهذا البحث بمقدمة، وختم بخاتمة فيها إجابة عن الإشكالية وأهمّ النّتائج المتوصل إليها. أتبعته بملحق لمؤلفات الوقف والابتداء. وفهرس للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

وفي ختام هذا أتوجّه بالشكر الخالص لأستاذي المشرف على هذا البحث: الأستاذ عبد الرّزاق عبيد؛ الذي قبل الإشراف على بحثي، وكان فعلا مشجعا لي في عملي، وما فتئ يحفزني على إتمام هذا العمل. ورفع معنوياتي كلّما واجهتني فيه صعوبة، كما أشكره على الجهد الذي بذله في قراءة هذا البحث وتصويب عثرتي فيه، وتوجيهي نحو الوجهة التي سارت به نحو تمامه، ووضعته في المسار الصحيح.

وأتوجه بالشكر إلى الأساتذة الدّكاترة أعضاء لجنة المناقشة على ما يبذلونه في قراءة بحثي وتصويب أخطائي، وإضفاء ما يزيد العمل حسنا وصلاحا. فلهم مني جزيل الشكر والامتنان.

وأشكر كل من شجعني من أهلي وصديقاتي وزملائي، وكل من دعا لي دعوة خير أو حفزني لأتم هذا العمل. والحمد لله أولا وآخر وسرا وجهرا على توفيقه ونعمه.

بقلم الطالبة: مسعودة بن النّوي.

الجزائر في: 25 أكتوبر 2021م.

الموافق لـ: 19 ربيع الأوّل 1443هـ.

الفصل الأول: علم الوقف والابتداء نشأته وأهميته ومصطلحاته وضوابطه.

مدخل إلى علم الوقف والابتداء نشأته، وأهميته، ومؤلفاته.

المبحث الأول: الوقف والابتداء تعريفهما وأقسامهما.

المبحث الثاني: علم الوقف والابتداء مصطلحاته وقوانينه وضوابطه.

المبحث الثالث: علم الوقف والابتداء وعلاقته بالعلوم العربية والعلوم الإسلامية.

مدخل إلى علم الوقف والابتداء.

- 1- نشأة علم الوقف والابتداء.
- 2- أهميّة علم الوقف والابتداء.
- 3- حكمالوقفوالابتداءشرعا.
- 4- بدايات التّأليف في علم الوقف والابتداء.

مدخل:

انصب اهتمام علماء اللغة العربية على العناية بكتاب الله عزّ وجل، فكان شغلهم الشاغل ومحل تفكيرهم، وغاية علومهم، فجاءت جهودهم متكاملة في الكشف عن أسرار معانيه، وإحكام أحكامه، ودلائل إعجازه، وبدائع نظمه، في طرائق متنوعة ومناهج متعددة، ونتج عن هذا ظهور علوم اللسان العربي مثل: النحو والصرف، وعلم المفردات والمعجم، والبلاغة، وعلوم القرآن: من تفسير، وحديث، وعلم القراءات، وعلم التجويد.... ومن بين هذه العلوم علم الوقف والابتداء، إذ هو علم شديد الصلة بكتاب الله تعالى، وهو قسم مهم من أقسام ومباحث علم التجويد، وواجب محتّم على قارئ القرآن - القادر على طلب العلم - أن يتعلم مسأله، ويطبق قدر الإمكان قواعده، لأنّ به يتحقّق فهم كلام الله عزّ وجلّ، وبه يتم إدراك معانيه، فتظهر للقارئ المتدبّر المعاني على أكمل وجوها وأصحها؛ وأقربها لمأثور التفسير؛ ومعاني لغة العرب. كما أنّ اعتماد علماء الوقف والابتداء في وضع الوقوف على أواخر الكلم وتفصيلها، وبيان وجوها مبني على النظر في معاني الآيات، فبعلم الوقف والابتداء تسفر وجوه المعاني القرآنية، إذ المقصود منه بيان مواضع الوقف بحيث يراعي القارئ المعاني، فيقف ويبتدئ على حسب ما يقتضيه المعنى واللفظ. ولا يكون ذلك إلا بتدبر واهتمام بالمعاني، فالنظر في الوقوف معين على التدبّر. فإذا قرأ القارئ وابتدأ بما لا يحسن الابتداء به، أو وقف عند كلام لا يفهم إلاّ بأن يوصل بما بعده، فقد خالف أمر الله تعالى بتدبر القرآن. قال

تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء

ء: 82].

فلا بد لقارئ القرآن أن يتقن الوقف والابتداء وفق ما تقتضيه وجوه التفسير الصحيحة، واستقامة المعنى وصحة اللغة، وما تقتضيه علومها. فلا يخرج القارئ على وجه غير مناسب من التفسير والمعنى من جهة، ولا يخالف وجوه اللغة وسبل أدائها من جهة أخرى¹.

1- ينظر: المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني وأثرها في تغيّر المعاني النحوية من خلال سورة النساء، دار الوعي،

الجزائر، ط2، 2012م، ص: 37. ، ص: 17- 33.

وإذا حاولنا البحث في نشأة علم الوقف والابتداء نجده شبيهاً بنشأة علوم العربية؛ فالوقف ظاهرة صوتية؛ وهي إجراء لغوي في كلام العربي، تحكمه قواعد الكلام العربي، فلا يُبتدأ بساكن ولا يُوقف على متحرك. وتحكمه قواعد النحو والبلاغة، فلا يوقف على ما يرتبط بسابقه لفظاً، كما لا يوقف على ما يخل بمعنى ما قبله في سياق الكلام...، وفي ما يلي نحاول التطرق إلى نشأة هذا العلم وأهميته، وبدايات التأليف فيه. فمتى نشأ علم الوقف والابتداء؟ ومن هي أشهر علمائه؟ وما هي أبرز المؤلفات فيه؟

1. نشأة علم الوقف والابتداء:

لقد اختلف في كيفية إنزال القرآن الكريم على ثلاثة أقوال¹، أحدها - وهو الأصح والأشهر - أنه نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجماً في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين على حسب الخلاف في مدة إقامته ﷺ بمكة بعد البعثة. غير أن المتفق عليه أن رسول الله، ﷺ، كان يُقرئ صحابته الكرام القرآن، ويعلمهم إياه مفسراً لهم ما يحتاجون إليه من معانٍ، وفي ذلك يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "لقد عشنا برهة من دهرنا، وإنَّ أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وتتنزل السورة على محمد ﷺ، فننظم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن، ولقد رأيت اليوم رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه"². ويتضح من هذا الحديث حرص الصحابة على فهم القرآن، وتعلم مواطن الوقف التي تفصل المعاني بعضها عن بعض، أكثر من حرصهم على مجرد تعلم القرآن وحده.

وتعلم الصحابة قراءة القرآن من الرسول ﷺ، حيث ورد: "عن أم سلمة

1- السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر، الإتيان في علوم القرآن، ضبطه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم،

طبعة جديدة كاملة في مجلد واحد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط4، 2012م، ص: 63.

2- ابن النحاس أبو جعفر أحمد بن إسماعيل، القطع والانتشاف، تحق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، محمد علي

بيضون، بيروت - لبنان، ط2، 2013م، ص: 27.

رضي الله عنها، قالت: "كان رسول الله -صلينا لله عليه وسلم- يقطع قرآته، يقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يقف¹. أي أنه -ﷺ- يقف بعد كل آية، وقد علم صحابته وأمه ذلك، لأنه لا يمكن للقارئ أن يقرأ السورة أو القصة - التي يتجاوز حجمها الآية والآيتين - في نفس واحد، ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل، فوجب حينئذ اختيار الوقف للتنفس والاستراحة، ومن ثمَّ تحديد زمن الابتداء. ويروي الداني في كتابه المكتفي أن الصحابة -رضوان الله عليهم-، كانوا يهتمون بمراعاة الوقف والابتداء، ويتناقلون مسأله مشافهة، ويتعلمونه كما يتعلمون القراءة، "واستمر السلف الصالح من الصحابة والتابعين، يتناقلون مسائل هذا العلم مشافهة إلى أن جاء عصر التدوين، فبدأ العلماء التأليف فيه"².

وقد وردت بعض الآثار³ التي تدل على اعتناء الرسول ﷺ، وصحابته بالوقف في الكلام العادي، وذلك مراعاة للمعنى. فعن عدي بن حاتم الطائي قال: "جاء رجلان إلى رسول الله -ﷺ-، فتشهد أحدهما، وقال: "من يطع الله جل وعز ورسوله -ﷺ- فقد رشد، ومن يعصهما" فقال رسول الله -ﷺ-: "بئس الخطيب أنت؛ فقم؛ كان ينبغي أن تصل كلامك: ومن يعصهما فقد غوي. أو تقف على (رسوله فقد رشد)". نلاحظ من هذا تغير المعنى المقصود من حسن إلى قبيح بمجرد تغير مكان الوقف، وعلى المتكلم أن يراعي مواطن الوقف التي تضمن وصول المعنى المقصود إلى السامع.

وورد عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أنه قال لرجل معه ناقة: "أتبعتها بكذا"، فقال: "لا عافاك الله"، فقال: "لا تقل هكذا"، ولكن قل: "لا وعافاك الله"، فأنكر عليه لفظه، ولم يسأله عن نيته.

1- ينظر: ابن النحاس، القطع والانتفاف، ص: 37.

2- أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، المكتفي في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، دراسة وتحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1407 هـ - 1987م، شارع سوريا -بيروت - لبنان، ص: 49.

3- ينظر: النحاس، القطع والانتفاف، ص: 31.

ومن هذا يتضح أن موضوع الفصل والوصل قد أثير في عهد رسول الله -ﷺ-، وصحح للصحابة ما كانوا يخطئون فيه، ثم أرسى لهم قاعدة هي عدم ختم آية رحمة بآية عذاب. أو العكس، والوقف على رؤوس الآيات مطلقا. وظل الصحابة على ذلك حيناً. إلى أن ظهر التأليف في هذا العلم؛ كما سنوضح ذلك في ذكر المؤلفات في الوقف والابتداء.

2. أهمية علم الوقف والابتداء:

منذ نزول القرآن الكريم -كما سبق وأن ذكرت- وهو محط اهتمام العلماء، ومناطق أفكار الفضلاء، وموضع عنايتهم، ولقد ظهرت عن ذلك علوم كثيرة، وعلم الوقف والابتداء من بين هذه العلوم، وله أجل الأثر عند علماء اللغة العربية والقراءات، لأن به حسن التلاوة وجودة القراءة، وبه يعرف القارئ المواطن التي يجب الوقف عليها، والمواضع التي يحسن الوقف عندها، وما يقبح الوقف عنده. ويعلمه الكلمات التي يتعين البدء بها، والكلمات التي يحسن الابتداء بها، والأخرى التي يقبح الابتداء بها.

ولم يفت أحد ممن تناول البحث في علم الوقف والابتداء؛ ذكر أهمية هذا العلم، فهو كما يقول ابن النحاس "علم يحتاج إليه جميع المسلمين لأنهم لا بد لهم من قراءة القرآن، ليقرووه على اللغة التي أنزله الله جل وعز بها، وهو فضلها ومدحها، فقال جل ثناؤه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 195]."¹

وفي ذكر أهميته يقول مصطفى عبد الفتاح العريبي في مقدمة كتاب بن أوس: "إن من الأمور المهمة لقارئ القرآن معرفة الوقف والابتداء، إذ لا يفهم معنى القرآن، ولا يتحقق مقصوده، ولا تظهر فائدته إلا بمعرفة الوقف والابتداء"². ويذكر الداني³ في أهمية الوقف والابتداء، أنه يسن للقارئ أن يتعلم الوقوف، والأصل فيه مارواه ابن عمر: ((لقد عشنا برهة

1- النحاس، القطع والانتشاف، ص: 19.

2- أحمد بن أوس أبو عبد الله بن محمد، كتاب الوقف والابتداء، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد الفتاح محمد العريبي، جامعة قار يونس، بنغازي - ليبيا، ط1، 2008م، ص: 55.

3- أبو عمرو الداني، المكتفى في الوقف والابتداء، ص: 57.

من دهرنا، وإنّ أحدا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ، فنتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها))، كما يضيف الداني بقوله: " وقد حض الأئمة على تعلمه ومعرفته والاعتناء به، واشترط كثير من العلماء على المجيز ألاّ يجيز أحدا إلا بعد معرفته الوقف والابتداء، لأن به تعرف معاني القرآن، ولا يمكن استنباط الأدلة الشرعية إلا بمعرفة الفواصل"¹. وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أنّ غاية ذلك الحثّ على مشروعية علم الوقف والابتداء والاهتمام به، لا الوجوب الشرعي الذي يَأْتُمُّ تاركه².

ويذكر ابن طيفور السجاوندي-في أهمية علم الوقف والابتداء- اهتمام العلماء بهذا الفن إذ يقول: " اهتم العلماء بهذا الفن اهتماما كبيرا، فحضوا على تعلمه ومعرفته معرفة تامة، معتمدين بذلك على ما ورد من سنة النبي - ﷺ -، وآثار الصحابة والتابعين، ثم من بعدهم من الأئمة"³. وينقل السجاوندي عن الصفاقسي قولا عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنّه قال: ((الوقف منازل القرآن ولا يخفى أن منله نظر سديد لا يعدل عن النزول بموضع مأمون من المخاوف خصب، كثير الماء والكلاء، وما يقيه من الحر والقر، إلى ما هو بالعكس، اللهم إلا أن يعلم أنّه إذا سار يجد بين يديه ما هو مثله، أو خيرا منه))⁴. وهنا تشبيهه للوقف عند قراءة القرآن على المواضع التي يكون فيها المعنى بيّنا واضح المقصد. فقارئ القرآن لا يقف عند أي موضع، وهذا في حالة اختياره للموضع الذي يريد الوقوف عنده؛ لا في حالة اضطراره إلى ذلك. فمن يختار الوقف عليه أن ينزل المنزل الجميل، تماما كما يختار المسافر النزول بموضع فيه ما يحتاج إليه من أمن وماء وكلاء...

1- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

2- القسطلاني أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحق: مركز الدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد، الأمانة العامة، الشؤون العلمية، (د ط)، (د تا)، مج2، ص: 493.

3- ابن طيفور السجاوندي محمد أبو عبد الله، علل الوقوف، دراسة وتحقيق: محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، مكتبة الرشد، ناشرون، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط2، 1428 هـ - 2007م، ص: 17.

4- ينظر: المصدر نفسه، ص: 20.

ومن مظاهر اهتمام العرب بالوقف في كلامها، وتفقد مقاطعه، قول معاوية رضي الله عنه: "يا أشدق قم عند قروم العرب، وججاجها*؛ فسلسانك، وجُل في ميادين البلاغة، وليكن التفقد لمقاطع الكلام منك على بال، فإني شهدتُ رسول الله -ﷺ- أَملى على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كتابا؛ وكان يتفقد مقاطع الكلام كتفقد المُصْرِمِ صريمته"¹.

وورد عن أبي هلال العسكري أقوال عن أهمية الوقف والابتداء في كلام العرب منها² قول أبي العباس السَّفاح لكاتبه: "قف عند مقاطع الكلام وحدوده وإياك أن تخلط المرعى بالهمل، ومن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل". ومنها قول الأحنف بن قيس، قال: "ما رأيت رجلا تكلم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام، ولا عرف حدوده، إلا عمرو بن العاص (رضي الله عنه)، كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام، وأعطى حق المقام، وغاص في استخراج المعنى بألطف مخرج، حتى كان يقف عند المقطع وقوفا يحول بينه وبين تبيעתه من الألفاظ."

ومما ورد في كتاب الصناعتين³ عن أهمية الوقف والابتداء في كلام العرب أيضا قول يزيد بن معاوية حين قال: "إياكم أن تجعلوا الفصل وصلا. فإنه أشدُّ وأعيبُ من اللَّحْنِ..". وكان أكتف بن صيفي إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه افصلوا بين كل منقضي معنى وصلوا إذا كان الكلام معجوناً بعضه ببعض". وهنا بيان إلى ضرورة الفصل بين مقاطع الكلام حتى لا

* قروم العرب وججاجها معناه: كبار القبائل العربية وساداتها. ينظر: الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقق: عبد السلام هارون، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية، مطابع سجل العرب، القاهرة - مصر، ج9، باب الصَّحِيح الثَّلَاثِي من حرف القاف، ص: 140. وينظر: ابن فارس أبو الحسين بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقق: عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، دار الفكر، ج5، كتاب القاف، ص: 75. و ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، كتاب: الجيم، ص: 405.

وينظر: ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم، لسان العرب، تحقق: عبد الله عي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د ط)، (د تا)، مج1، ج6، ص: 546 - 547.

1- أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، حققه وضبط نصّه: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 1409 هـ - 1989م، ص: 498.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص: 497.

3- ينظر المصدر السابق، ص: 499.

يبهم معناه عند المتلقي قارئاً أو سامعاً. " وكان الحارث بن أبي شمر الغساني.. يقول لكاتبه المرقش إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه فافصل بينه وبين تبعته من الألفاظ فإنك إن مذقت* ألفاظك بغير ما يحسن أن يمدق نفرت القلوب عن وعيها وملته الأسماع واستثقلته الرواة..". " وكان بزرجمهر يقول إذا مدحت رجلاً وهجوت آخر فاجعل بين القولين فصلاً حتى تعرف المدح من الهجاء كما تفعل في كتبك إذا استأنفت القول وأكملت ما سلف من اللفظ". وفي هذه الأقوال دليل واضح على أهمية إيضاح الفصل والوصل، والابتداء والوقف في الكلام العادي؛ فكيف يكون الحال عند قراءة كلام الله عز وجل؟.

ويقول الأشموني مبيناً سبب تسميته كتابه "منار الهدى في الوقف والابتداء"، أنه قدم فيه فوائد وتنبيهات ترشد القارئ وتنفعه وتعينه على معرفة الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، " ليكون على بصيرة إذا خاض في هذا البحر الزخار، الذي لا يدركه قرار، ولا يسلك إلى قنته ولا يصار. من أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولاً، ومن رام الوصول إلى إحصائه لم يحمد إلى ذلك سبيلاً..."¹. ويقصد بالبحر الزخار هنا القرآن الكريم.

ومما يدل على وجوب تعلم الوقف والابتداء ومعرفته، وأنه من أهم متطلبات تجويد القراءة، ما ذكره ابن الجزري وغيره عن حض الأئمة على تعلمه ومعرفته، ومن ذلك ما جاء عن علي بن أبي طالب؛ رضي الله عنه، في قوله: ((الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف)). وما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله: ((لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أهدنا ليوثى الإيمان قبل القرآن...)). يقول ابن الجزري: " ففي كلام علي رضي الله عنه دليل على وجوب تعلمه

* مذقت: خلطت. ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، باب الثلاثي الصحيح من حرف القاف، ج9، ص: 77. وينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب الميم، ج5، ص: 309. وينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج6، ج47، ص: 4163.

1 - الأشموني أحمد بن محمد بن عبد الكريم، منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، ومعه ((المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء))، زكريا الأنصاري أبو يحيى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء، مصر، ط2، 1393هـ - 1973م، ص: 4.

ومعرفته، وفي كلام ابن عمر برهان على أن تعلمه إجماع من الصحابة -رضي الله عنهم-.
وصح بل تواتر عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح...¹.

ويؤكد أبو حاتم أهمية معرفة الوقف والابتداء إذ يقول: " من لم يعرف الوقف لم يعلم القرآن"².

ويذكر المعصراوي والدسوقي³ أن للوقف والابتداء أهمية كبيرة عند قراءة القرآن، حيث إنهما يخدمان معظم فروع الدين، فيحتاج إليهما المفسر، ويحتاج إليهما عالم التوحيد، وعالم الفقه، والقراءات.

ويشير "عبد الرحمن آيت لعميم" إلى نقطة مهمة ينحو فيها مبحث الوقف والابتداء منحى حديثا في الدراسات اللغوية حيث يقول: " إن مبحث الوقف والابتداء، مبحث ذو أهمية بالغة، خصوصا وأنه يتوقف على مهارات عديدة لغوية ونحوية ودلالية، وعلى فهم عميق لمقاصد القرآن، وأحكامه. وهذا المبحث الجليل اعتنى به المسلمون الأوائل عناية فائقة حتى تمكنوا من صون كتابهم الذي لولاه لم يُذكروا ولن يُذكروا"⁴، وينوه بأهمية هذا العلم وضرورة تعليمه للناشئة، إذ يقول: " ونحن اليوم في أمس الحاجة إليه في كتابتنا وفي قراءتنا، وينبغي أن نعلمه لتلاميذنا وطلابنا، حتى يتمكنوا من القراءة السليمة والكتابة الصحيحة، إذ يندرج هذا المبحث تحت ما يسمى اليوم بعلامات الترقيم"⁵. وعلامات الترقيم مبحث مهم في تقنيات البحث وفنيات التعبير عند طلبة الجامعات اليوم، كونه مرتبطا بخطوات إعداد البحوث والمذكرات والرسائل.

1 - ابن الجزري الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه مراجعته للمرة الأخيرة: علي محمد الضباع، دار الكتاب العلمية، بيروت - لبنان، (بط)، (دتا)، ج1، ص: 225.

2 - القسطلاني، لطائف الإشارات، 2/ 494.

3- المعصراوي أحمد عيسى و الدسوقي محمد أمين كحيلة، الوقف والابتداء وأثرهما في اختلاف المفسرين، دار السلام، مركز كحيلة للدراسات القرآنية، القاهرة - مصر، ط1، 2015م، ص: 23.

4- آيت لعميم عبد الرحمان، شرح وتوجيه منظومة الوقف والابتداء فيما خالف فيه نافع باقي القراء، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش - المغرب، ط1، 2003م، ص: 7.

5 - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

المهمة التي يتوجب على التلاميذ في المدارس وطلبة العلم في الجامعات إتقانها وتطبيقها بشكل صحيح، فيما يقدمونه من بحوث ورسائل علمية.

3. حكم الوقف والابتداء شرعا:

لقد قسّم علماء الوقف والابتداء الوقوف القرآنية أقساما عديدة - كما سنرى ذلك في المبحث المتعلق بأقسام الوقف والابتداء-، غير أن بعضهم ذهب إلى أن تقدير الموقوف عليه من القرآن بالتأم والكافي والحسن والقبيح، وتسميته بذلك بدعة، ومسميه ومتعمد الوقف علنحوه مبتدع، وفي سبب ذلك يقول القاضي أبو يوسف صاحب أبي حنيفة: "لأن القرآن معجز، وهو كالقطعة الواحدة، فكله قرآن وبعضه قرآن، وكله تام حسن، وبعضه تام"¹.

غير أن المحققين يَرُدُّونَ على هذا بقولهم "إن الكلمة الواحدة ليست من الإعجاز في شيء، وإنما المعجز الرّصف العجيب، والنّظم الغريب، وليس ذلك لبعض الكلمات، وقوله: إنّ بعضه تام حسن كما أن كلّه تام حسن، يقال له: لو قال القارئ: (إذا جاء) ووقف، أهذا تام وقرآن؟ فإن قال نعم. قيل: فما يحتمل أن يكون القائل أراد: إذا جاء الشتاء. وكذلك كل ما يفرد من كلمات القرآن موجود في كلام البشر، فإذا اجتمع وانتظم انحاز عن غيره وامتاز وظهر ما فيه من الإعجاز"².

وأما في حكم تعلّم الوقف والابتداء وتعليمهما، فقد أوردنا سابقا أقوالا للصّحابة رضوان الله عليهم؛ وما عُرفَ عن التّابعين من الأئمّة والقراء، أنّهم كانوا يهتمون عند تلاوة القرآن بمراعاة الوقف والابتداء؛ ويتناقلون مسائله مشافهة؛ ويتعلمونه كما يتعلمون القراءة.

ونحاول الآن أن نذكر أهم النّصوص - التي استدلت بها الباحثون في علم الوقف والابتداء - التي تدل على مشروعية الوقف والابتداء وأهميته.

1- ينظر: الزّركشي بدر الدّين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2012م، ج1، ص: 241.

2- السخاوي علم الدين علي بن محمد، جمال القراء وكمال الإقراء، تحق: علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويري بمكتبة الخانجي، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، القاهرة - مصر، ط1، 1408 هـ - 1987م، ج2، ص 553 .

ومن هؤلاء¹ من تطرق إلى حكم الوقف والابتداء؛ واستدل على أهميته بأدلة من كتاب الله تعالى، من ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: 4]. على أن هذا أمر من الله تعالى بترتيل القرآن، وندب منه سبحانه لعباده بذلك، ومراعاة الوقف أثناء تلاوة القرآن تدخل في هذا، ودليله قول ابن عباس رضي الله عنه: "بيّنه تبييناً"². وقال ابن النحاس: "فمن التبيين تفصيل الحروف، والوقف على ما تم معناه منها"³. وفي موضع آخر يقول: "... والابتداء بما يحسن الابتداء به، وتبيين ما يجب أن يجتنب من ذلك"⁴.

وقال ابن كثير: "اقرأ على تمهّل، فإنّه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره"⁵. فأمر الله سبحانه وتعالى بتدبر القرآن، ومما يعين على التدبر الوقوف عند تمام الكلام، وحسن الابتداء بما يحسن الابتداء به. كما أنّ القارئ القادر على التعلّم إذا قرأ وابتدأ بما لا يحسن الابتداء به، أو وقف عند ما لا يفهم إلاّ بأن يوصل بما بعده، يكون بفعله هذا قد خالف أمر الله تعالى بتدبر القرآن.

أمّا الأدلة من الأحاديث، التي استدل بها الباحثون في هذا الموضوع على مشروعية الوقف والابتداء في القرآن الكريم وأهميته، وضرورة العلم بضوابطه؛ وتطبيقها قدر الإمكان عند تلاوة القرآن، ما جاء فيما يلي من قول الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم -:

- "قريء على بكر بن سهل، عن شعيب بن يحيى قال: أخبرنا الليث، عن عبد الله ابن عبيد الله بن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك، أنّه سأل أمّ سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ. فقالت: "ما لكم وصلاته، كان يصلي ثم ينام قدر ما صلّى، ثمّ يصلّي قدر ما نام، ثمّ ينام قدر ما

1- ينظر: عبد الله علي راجي المطيري، الوقف والابتداء في القرآن الكريم وأثرهما في التفسير والأحكام، رسالة ماجستير، إشراف: حملي عبد الرؤوف محمد عبد القوي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، المملكة العربية السعودية، 1420 هـ، ص: 67.

2- النّحاس، القطع والانتفاف، ص: 19.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- المصدر نفسه، ص: 20.

5- ابن كثير عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل القرشيّ الدمشقيّ، تفسير القرآن العظيم، اعتنى به: أحمد عبد السلام الرّغبّي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان، (د ط)، (د تا)، ج4، ص: 559.

صلى، حتى يصبح، ونعتت له قراءته، فإذا قراءته مفسرة حرفاً حرفاً¹. ويشرح راجي المطيري قول أم سلمة رضي الله عنها بقوله: " إنَّ الحديث فيه دلالة على مراعاة الوقف والابتداء، كما في قولها رضي الله عنها: (...مفسرة حرفاً حرفاً)، فإنَّها تدل على ترسُّل وتأتي. والمترسُّل المرتل للكلام لا بد وأن يقف على الوقف المناسب. ولو كان لا يراعي الوقف والوصل المؤدي للمعنى، لم يكن كلامه مفسراً واضحاً مؤدياً للمعاني، فدل ذلك على أنَّه كان [صلى الله عليه وسلم] يقف على ما تمَّ معناه للإفهام والإيضاح². ويمكننا هنا الاستدلال على مراعاة الوقف سواءً على رؤوس الآي أو غيرها، كما يوضح ذلك المطيري حين يقول في معنى هذا الحديث: "وليس في هذه الرواية دلالة على أنَّ النَّبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي"³.

- والحديث الثاني الذي يستدل به على ضرورة الوقف عند المواطن التي يجب الوقف عندها، والابتداء بما يحسن الابتداء به، والفصل بين المعنيين المختلفين، هو ما روي "عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال النَّبي ﷺ: ((يا أباي. إني قرأت القرآن فقل لي: على حرف أو حرفين؟ فقال الملك الذي معي: قل على حرفين. قلت: على حرفين. فقل لي على حرفين أو ثلاثة، فقال الملك الذي معي: قل على ثلاثة، حتى بلغ سبعة أحرف، ثم قال: ليس منها إلا شاف كاف إن قلت سمياً عليماً عزيزاً حكيماً، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب)). ففي قوله: ((ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب))، دليل على ضرورة الوقف عند ما تم معناه، والابتداء بما يفصل بين معنى سابق وآخر لاحق.

وأما الإجماع على مراعاة الوقف والابتداء، فقد حكاه غير واحد من الأئمة بعبارات مختلفة واستدلوا على ذلك بإجماع الصحابة رضي الله عنهم، ومنها ما نقلناه سابقاً عن قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما قال: "لقد عشنا برهة من دهرنا وإنَّ أحدنا ليؤتى الإيمان قبل

1- النَّحاس، القطع والانتفاف، ص: 27.

2- عبد الله علي راجي المطيري، الوقف والابتداء في القرآن الكريم وأثرهما في التفسير والأحكام، ص: 69.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

القرآن، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فتعلم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها...".

وروي عن ميمون بن مهران التابعي¹ قال: "إني لأشعر من قراءة أقوام يرى أحدهم حتما عليه ألا يقصر عن العشر، إنما كانت القراء تقرأ القصص إن طالت أو قصرت يقرأ أحدهم اليوم: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ لَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾² ويقوم في الركعة الثانية فيقرأ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾³."

وقال أبو عمرو الداني: "هذا يبين أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يجتنبون في قراءتهم القطع على الكلام الذي يتصل بعضه ببعض، ويتعلق آخره بأوله لأن ميمون بن مهران إنما حكى ذلك عنهم إذ هو من كبار التابعين وقد لقي جماعة منهم"⁴.

يتضح مما سبق أن تقدير الوقف والابتداء بأقسامهما ومصطلحاتهما أي تام، وكاف، وحسن، وقبيح، لم يعم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا صحابته رضوان الله عليهم. لكن العلماء طبقوه بعد أن ثبت عندهم، مع اختلافهم في أقسامه ومصطلحاته، كما اختلفوا في مواضع كثيرة، فقد يقول بعضهم مثلا هذا تام ويقول الآخر كاف وهكذا... ولم يلزم أحد منهم الناس باتباع اختياره ما دام مبنيا على ترجيح ونظر"⁵. وهذا الترجيح قائم على علاقة علم الوقف والابتداء بعلوم العربية من نحو وتفسير معنى من جهة، واختلاف القراءات من جهة أخرى، وهذا ما سنحاول الكشف عنه في المبحث المتعلق بارتباط علم الوقف والابتداء بعلوم العربية. وقبل ذلك نحاول التطرق إلى تصنيف مؤلفات علم الوقف والابتداء منذ البدايات الأولى للتأليف في هذا الفن حتى آخر ما وصلت إليه الدراسات - حسب ما اطلعت عليه في هذا

1- أبو عمرو الداني، المكتفي، ص: 136.

2- سورة البقرة، الآية: 11.

3- سورة البقرة، الآية: 12.

4- أبو عمرو الداني، المكتفي، ص: 136.

5- راجي المطيري، الوقف والابتداء في القرآن الكريم وأثرهما في التفسير والأحكام، ص: 75.

البحث-. وذلك لأجل ضبطها ومعرفة الموجود منها والمفقود والاطلاع على أهمها ومعرفة مؤلفيها، كما أنّ لهذا الجزء أهمية في ضبط مدونة البحث بعد ذلك.

4. بدايات التّأليف في علم الوقف والابتداء:

تذكر المؤلفات التي تناولت موضوع الوقف والابتداء بالدراسة أنّ بداية الاهتمام بهذا العلم كانت منذ بدايات عصر التّأليف، و"نظرا لاعتماد الأقدمين عليه في تحقيق النّص المرسوم وضبط القراءة، وقد تناوله أصناف من العلماء منهم القراء المتخصّصون، ومنهم الفقهاء والمتحدّثون، ومنهم اللّغويون والنّحاة"¹. ويذكر بعضهم أنّ بدايات التّأليف في هذا العلم كانت مبكرة إذ بدأت في المائة الأولى أي القرن الأول هجري². وهذا ما يظهر جليا من أول المؤلفات التي أوردها الدارسون. وقد أحصى هذه المؤلفات ورتبها كثير ممن تناول موضوع علم الوقف والابتداء بالدراسة، فمنهم من ذكر قرابة أربعين مؤلفا ومنهم من ذكر أزيد من سبعين مؤلفا³، ومنهم من بلغ بها إلى أزيد من مائة مؤلف جمعا وإحصاء بين المصادر التّراثية والرّسائل والبحوث الجامعية الحديثة⁴، وقد راعيت في ترتيبها التسلسل الزّمني حسب تاريخ وفاة مؤلفيها⁵.

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ أغلب هذه الكتب قد ضاعت ولم يبق منها إلا القليل - كما يذكر المصنفون-. وقد عدت إلى المصادر التي أوردت الحديث عنها غير أنّ بعضها ذكر ترجمة المؤلف ولم يورد عنوان الكتاب الذي ألفه في الوقف والابتداء. لذا اعتمدت في ذكر عناوين الكتب المؤلفة -التي لم أجد إشارة لمؤلفها في كتب التّراجم- على المصادر التي رتبتها وصنّفها بحسب وفاة المؤلف، وأخصّتها ورجعت إلى المخطوط منها.

وما نلاحظه على هذه المؤلفات أنّ أغلب مؤلفيها هم نحويون ولغويون، وقراء. مما يثبت أنّ هناك صلة وثيقة تربط علم الوقف والابتداء في القرآن الكريم بعلوم العربية.

1- المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني، ص: 37.

2- ينظر: مساعد الطيّار، وقوف القرآن وأثرها في التّفسير، ص: 65.

3- ينظر: ابن طيفور السّجاوندي، علل الوقوف، ص: 24 - 42.

4- ينظر: مساعد الطيّار، وقوف القرآن وأثرها في التّفسير، ص: 67 - 88.

5- نظرا لكثرة هذه المؤلفات مما يتتفى وحجم المدخل فقد ارتأينا وضعها في ملحق 01 في نهاية هذا البحث.

المبحث الأول: علم الوقف والابتداء تعريفه وأقسام الوقف والابتداء.

1 - تعريف علم الوقف والابتداء: أ - تعريف الوقف والابتداء لغةً.

ب - تعريف علم الوقف والابتداء اصطلاحاً.

2 - أقسام الوقف والابتداء:

1.2 أقسام الوقف.

2.2 أقسام الابتداء.

1. تعريف الوقف والابتداء لغة واصطلاحاً:

1.أ. لغة:

إنّ الباحث في معاجم اللّغة العربيّة، قديمها وحديثها، عامّها ومتخصصها، يجد تنوعاً في معاني مفردتي: الوقف والابتداء، وبما أننا نحاول البحث في علاقة الوقف والابتداء بالكلام ومعانيه ومفاصله، فإننا نورد في ما يلي أبرز معاني المفردتين اللغوية التي ترتبط دلالة بالكلمة والكلام:

فالوَقْفُ¹: مصدر وَقَفَ، و" الواو والقاف والفاء أصل واحد يدل على تمكث في الشيء"، ومنه قولك: " وَقَفْتُ الكلمة وَقَفًا"، وإذا " وَقَفْتُ الرَّجُلَ على كلمة قلت وَقَفْتَهُ توقيفًا"، و" وَقَفْتُ الحديث توقيفا وبينته تبينًا". ويقال: " وقف القارئ على الكلمة وقوفا أي: سكت، كما يقال كَلَّمْتُهُ فوقف: أي: سكت.

فالوقف على المكان يعني الحبس، والوقف على الشيء يعني القيام عليه ومعابنته، والوقف على الكلمة من الكلام يعني السكوت على آخر حرف منها. وقد وردت كلمة وقف في القرآن الكريم في أربعة مواضع هي:
الموضع الأول في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَدُ بِإِيَاتِ رَبِّنَا وَمَا نَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾. [الأند

عام: 27].

والموضع الثاني في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ

تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾. [الأنعام: 30].

1- ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمان، كتاب العين، تحقق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والإعلام، بغداد - العراق، مج 5، ص: 223. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج 9، ص: 333. وينظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج 6، ص: 135.

والموضع الثالث في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْتُوا فَوَقُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكَبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾. [سبأ: 31].

والموضع الرابع في قوله تعالى: ﴿وَقَفُّوهُمْ^ط إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾. [الصفات: 24].

ونلاحظ أن معناها في المواضع كلها تعني الحبس والتوقف عن الحركة لأجل الحساب. كما نلاحظ أن معاني الوقف في الآيات الأربع يدل على توقف وسؤال وجواب. أما الابتداء فهو مصدر بدأ، ومنه¹ "بدا الشيء يبدو بدوا وبدوا إذا ظهر". "وأبدأت الشيء، إذا أنشأته، وأبدئه إبداء. فعل الشيء أول، وبديت بالشيء قدمته". "وبدأ الشيء يبدأ أي يفعله قبل غيره". والابتداء هو ضد الوقف، ونجد من أسماء الله عز وجل "المبتدئ" وهو الذي أنشأ الأشياء وخلقها من غير سابق، و"البدء" فعل الشيء أولا، لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [الروم: 11]. والابتداء افتتاح الشيء وائتلافه والشروع فيه.

وكما أن للوقف مرادفات، فإن للابتداء أيضا مرادفات هي: الائتلاف، والوصل. وأصل الائتلاف والاستئناف² أنف، وأنف كل شيء: طرفه وأوله. واستأنف الشيء إذا ابتدأه، وائتنته واستأنفته إذا استقبله وابتداه. ورجعالي³ أوله، ومؤتنت الأمر كأنه ابتدأه. ومنه فالائتلاف هو إعادة البدء بعد انقطاع ما كان موصولا. والموصول من وصل³: ويدل على

1- ينظر: ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن، كتاب جمهرة اللغة، حققه وقدم له: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، (د.م) ج2، ص: 1019. وينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مج8، ص: 83.

2- ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج 15، باب المعتل من حرف النون، كتاب النون، ص: 482 - 483. وينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، كتاب الهمزة، ص: 146.

3- ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج 12، باب الصاد واللام من المعتل، كتاب الصاد، ص: 234. وينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج6، كتاب الواو، باب الواو والصاد، ص: 115.

ضمّشيء إلى شيء حتى يعلقه، ووصلت الشيء وصلا وصلة، وكل شيء اتصل بشيء فما بينهما وُصلة، والوصل ضد الهجران، والوصل خلاف الفصل، واتصل الشيء بالشيء لم ينقطع. وعلى ذلك فالوصل ضد القطع، وهو الاستمرار في الشيء.

ومن هنا نرى أن الدلالة اللغوية للمفردات: الوصل والانتانف والابتداء، تكاد تقترب لتوحي بالبدء والاتصال والاستمرار، وكذلك دلالة كلمتي الوقف والقطع هي بمعناالفصل. فالابتداء في الكلام بعد صمت أو سكوت؛ والوقف على الكلمة هو انقطاع المتكلم على الكلام إمّا بالسكوت أو الصمت الذي هو الانقطاع كلياً والشروع في عمل آخر.

قدّمنا فيما سبق المعنى اللغوي لمفردتي الوقف والابتداء، ونحاول فيما يلي تبين معنييهما الاصطلاحيين المرتبطين بعلم الوقف والابتداء في القرآن الكريم. لتوضيح علاقة معنى هاتين المفردتين لغة بمفهوميهما الاصطلاحيين عند اللغويين والقراء خصوصاً.

1.ب. اصطلاحاً:

يختلف مفهوم مصطلح الوقف من علم إلى آخر، فهو في اصطلاح اللغويين بمعنى الحبس والتّمكث، والسكوت. وفي اصطلاح العروضيين هو "إسكان المتحرك الثاني من الود المفروق"¹ مثل إسكان التاء من (مفعولات) فتصبح (مفعولات)، وتنقل في الاستعمال الشّهير إلى (مفعولات). وقد يطلق عند البصريين من الصّرفيين والقراء على السكون البنائي²، "ولهذا يقال عندهم "الأمر موقوف الآخر...، وقد يطلق على قطع الكلمة عمّا بعدها أي على تقدير أن يكون بعدها شيء"³. والمقصود بالسكون البنائي هنا السكون الذي يصحب بنية الكلمة مثل فعل الأمر، فهو ساكن الآخر.

1- التهانوي محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحق: علي دروج، نقل النصّ الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زينات، سلسلة موسوعات المصطلحات العربية والإسلامية، مكتبة ناشرون، لبنان، ج2، ص: 1802. وينظر: الجرجاني علي بن محمد الشّريف، كتاب التّعريفات، مكتبة لبنان - بيروت، طبعة جديدة، 1990م، ص: 274.

2- ينظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج2، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وهو عند النحاة "قطع النطق عند آخر الكلمة"¹، فما كان ساكن الآخر، فيقفون عليه بسكونه، سواء أكان صحيح الآخر أم معتلا، وما كان متحركا؛ وقفوا عليه بحذف حركته أي السكون².

وفي اصطلاح الفقهاء هو "حبس العين عن أن تملك لأحد من العباد، والتصدق بمنفعتها ابتداء وانتهاء، أو انتهاء فقط."³ وقد جاء معناه من وقف الشيء إذا حبسه، ثم اشتهر بين الفقهاء إطلاق المصدر الوقف وجمعها وقوف. ومعنى قوله: "حبس العين أن تملك لأحد من العباد". أي: أن يوقف مالك شيء ما ملكيته لله، فلا يستعمل لمنفعته الخاصة، ولا يورث لأهله بعد موته. ومعنوقوله: "ابتداء وانتهاء أو انتهاء فقط"، هو أن يكون ملكه في حياته ومنذ امتلاكه له أول مرة وقفا لله، ويبقى وقفا حتى بعد موته. أما انتهاء فقط، فما يوقف لكن بعد استغلال مالكه له مدة من الزمن في البداية، ويوقف بعد ذلك حتى بعد موته. "والوقف يتعدى ويلزم، وإذا كان بمعنى (حبس) و(منع) فهو متعد ومصدره الوقف، أما اللازم فمصدره الوقوف"⁴.

وأما مفهوم علم الوقف والابتداء في اصطلاح علماء التجويد، فهو "فن جليل يعرف به كيفية الأداء القرآني"⁵. ويذكر ابن أوس أن للوقف حالتين⁶: الأولى ما اتصل بالمعاني: وهو معرفة ما يوقف عليه ويبدأ به، ويجب في هذا الباب مراعاة الأحكام النحوية فلا يوقف على

1- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، راجعه ونقحه: عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط3، 1330 هـ - 1912 م، ج2، ص: 126.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- عشوب عبد الجليل عبد الرحمان، كتاب الوقف، دار الآفاق العربية، مدينة نصر، القاهرة، ط1، 1420 هـ - 2000 م، ص: 9.

4- الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، قابله على نسخة خطية وأعدده للطبع ووضع فهرسه: عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، إحياء التراث العربي، دمشق، (د ط)، 1974 م، ج5، ص: 41.

5- أحمد بن أوس، كتاب الوقف والابتداء، ص: 53.

6- ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

العامل دون معموله. والثانية ما اتصل بمباحث علم القراءات وعلم الصرف: وهو معرفة كيف يوقف وكيف يبدأ؛ أي معرفة التّغير الذي يكون في آخر الكلمة.

والناظر لتعريف الوقف عند النّحاة والقراء يرى اتفاقهما في التّعريف مع زيادة قيد عند القراء مفرقين بالقيد بين الوقف اللفظي والمعنوي وبين الوقف والقطع والسّكت¹. أي أنّ القراء ربطوا معنى الوقف بالوقف عند القراءة على مواطن الوقف أوالسكت، كما ربطوا ذلك أيضا بزمن التوقف، ونية المواصلة في القراءة أو تركها كلياً والانتقال إلى عمل آخر غيرها.

فالوقف عند النّحاة: هو قطع النّطق بعد تمام الكلمة².

أما تعريف القراء للوقف فهو " قطع صوت القارئ على آخر الكلمة زمانا يتنفس فيه بنية استئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه؛ أو بما قبله لا بنية الإعراض"³. ويُطلَقُ الوقف عند زكريا الأنصاري على معنيين: " أحدهما القطع الذي يسكت القارئ عنده. وثانيهما: المواضع التي نص عليها القراء، فكل موضع منها يسمى وقفا وإن لم يقف القارئ عنده."⁴.

1- المصدر السابق، ص: 54.

2- ينظر: رضي الدين الاستربادي محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزنة الأدب، حققها وضبط غريبها وشرح مبهمها: محمد نور الحسن ومحمد الزقراف ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د ط)، 1402 هـ - 1982 م، مج1، ج2، ص: 271. وينظر: الأشموني أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن عيسى، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه حسن حمد، إشراف: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1419 هـ - 1998 م، ج4، ص: 3. وينظر: ابن مالك أبو عبد الله جمال الدين محمد الطائي الأندلسي الدمشقي، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، حقّقه وقَدّم له، محمد كامل بركات، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة، المكتبة العربية، التراث، دار الكاتب العربي، القاهرة، (د ط)، 1387 هـ - 1967 م، ص: 328. وينظر: راجي الأسمر، المعجم المفصل في علم الصرف، مراجعة: إميل بديع يعقوب، الخزنة اللغوية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د ط)، 1418 هـ - 1997 م، السلسلة: 8، ص: 428.

3- ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر، 1/ 240، وينظر: القسطلاني، لطائف الإشارات: 2/ 491.

4- زكريا الأنصاري القاضي بن محمد، اختصار كتاب المرشد في الوقف والابتداء المسمى المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء ويليهِ اللؤلؤ النّظيم في روم التّعلم والتّعليم، تحق: فرغلي سيد عرياي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2011 م، ص: 66.

وتوضيحا لهذا الكلام يقول مساعد الطيار¹ إنّ الوقف في اصطلاح القراء نوعان، النوع الأول هو الذي به تتضح كيفية النطق بالحرف أو الحركة عند الوقف، وقد خصّوا ذلك بأبواب، مثل الوقف على أواخر الكلم والوقف على تاء التانيث، ووقف حمزة وهشام على الهمز. ويتعلق هذا النوع بكيفية الأداء. وهو ما يقصده زكريا الأنصاري بقوله: المواضع التي نص عليها القراء. والنوع الثاني هو الوقف الذي يتأثر به المعنى في الآية. ويتعلق هذا النوع بالمعنى من حيث تمامه أو عدمه. وهذا ما يقصده زكريا الأنصاري بقوله: "أحدهما القطع الذي يسكت القارئ عنده".

ونقل السيوطي قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما فسّر معنى الترتيل، قال: "الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف"². ومعنى ذلك نطق الحروف من مخارجها وبصفتها، تامة الضبط من دون تحريف أو عدول عن مخرج حرف إلى مخرج حرف آخر. ومعرفة الوقوف، أي معرفة مفاصل الكلام ومتى يتم المعنومتيمكن التوقف، ومتى لا يجوز ذلك، إمّا لفساد المعنى أو للإخلال بنظام اللغة، ولا يتم معرفة مواطن الوقف إلى بتعلم العربية.

وقال الزركشي في تعريفه لعلم الوقف والابتداء في القرآن الكريم: "هو فن جليل يعرف به كيفية أداء القراءة بالوقف على المواضع التي نص عليها القراء لإتمام المعاني، والابتداء بمواضع محددة لا تختل فيها المعاني"³، وفي هذا التعريف بيان لعلاقة الوقف على مفاصل الكلام - والابتداء بأخرى - بالمعنى. وفيه إشارة إلى مقاصد علم النص الحديث، ومبادئه ومراميه، التي نروم في هذا البحث الكشف عن العلاقة بينها وبين علم الوقف والابتداء في آلياته التي تتعلق بمعرفة الوقوف على مفاصل الكلام.

ويعرّف مساعد الطيار الوقف بقوله: "الوقف عبارة عن قطع الكلمة عمّا بعدها بنية استئناف القراءة. وقد يتم المعنى على الوقف فيحسن البدء بما بعده، وقد لا يتم وهذا مبني على

1- ينظر: مساعد الطيار، وقوف القرآن، ص: 14.

2- السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ص: 12.

3- الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 234 .

أقسام الوقف التي ذكرها العلماء¹. وأقسامه عند أغلب علماء الوقف والابتداء هي الوقف التام، والكافي والحسن والقبيح.

والوقف عند مبروك زيد الخير: هو "السكوت على آخر الكلمة زمنا يتنفس فيه، على أن يستوفي العامل معموله، ويتم معنى الجملة"².

ومن هنا يتبين أن علم الوقف عند علماء هذا الفن هو: العلم الذي يرشد قارئ القرآن إلى مراعاة وقوفه؛ حرصاً على اتساق المعنى وسلامة اللّغة؛ ليعين بأدائه ذلك على تحقيق الغرض الذي من أجله يقرأ القرآن، وهو الفهم والإدراك. ويلزم بمعرفة مواضع الوقف في الكلام معرفة الابتداء، فهما متلازمان وإن كان علماء الوقف والابتداء قد ركزوا اهتمامهم على الوقف فقط.

وللوقف في اصطلاح القراء مرادفات تقترب معانيها، لكن لا بد من توضيح الاختلاف الدقيق بينها، وهي: القطع، والسكت، والفصل.

وقد ذكر المتقدمون³ أن معنى الوقف والقطع والسكت واحد، ف"الوقف والقطع والسكت عبارات يطلقها المتقدمون مراداً بها الوقف ولا يريدون بها غير الوقف...، وأما المتأخرون وغيرهم من المحققين ففرقوا بينها وجعلوا كلا منها لغرض خاص"⁴.

وفي هذا الغرض يذكر الداني أنّ "الوقف والقطع والسكت بمعنى واحد"⁵. في حين فرق بينهما آخرون، إذ قيل إنّ: "القطع عبارة عن قطع العبارة رأساً، والسكت عبارة عن قطع الصوت زمناً ما دون زمن الوقف عادة من غير تنفس"⁶. وورد في النثر في القراءات العشر

1- مساعد الطيّار، وقوف القرآن، ص: 16.

2- المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني وأثرها في تغيير المعاني النحوية، ص: 56.

3- ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 1/239.

4- عبد الكريم إبراهيم عوض صالح، الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، دار السلام، مصر، ط4، 1435 هـ - 2014م، ص: 20.

5- الداني، المكتفي في الوقف والابتداء، ص: 48.

6- الأشموني أحمد بن محمد بن عبد الكريم، كتاب منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، وبهامشه كتاب التبيان في آداب حملة القرآن للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي، المطبعة الميمنية، مصطفى البابي الحلبي وأخويه، مصر، (د ط)، (د ت)، ص: 3.

أنّ القطع "عبارة عن قطع القراءة رأساً، فهو كالانتهاء، فالقارئ به كالمعرض عن القراءة والمنتقل منها إلى حالة أخرى سوى القراءة؛ كالذي يقطع على حزب أو ورد أو عشر أو في ركعة ثم يركع أو نحو ذلك مما يؤذن بانقضاء القراءة والانتقال منها إلى حالة أخرى".¹

خلاصة لما سبقمكننا القول إن الوقف هو قطع الصوت عن آخر الكلمة زمناً للتنفس، بنية استئناف التلاوة. والسكت هو قطع التلاوة زمناً دون زمن الوقف - أي زمناً أقصر من زمن الوقف - من غير تنفس، ويكون بنية استئناف التلاوة في الحال ويكون ذلك حالة الوصل. والقطع: هو وقف بنية إنهاء التلاوة والانتقال إلى أمر آخر غير التلاوة. ويشترط فيه الاستعاذة عند الابتداء.

ولقد ركّز علماء الوقف والابتداء القدماء اهتمامهم على تعريف الوقف ولم يفرّدوا الابتداء بتعريفات، وعرفه المحدثون انطلاقاً من تعريف الوقف، بأنّ الابتداء: هو: "استئناف القراءة بعد الوقف، أو هو الشروع في التلاوة بعد قطع أو وقف، فإن كان بعد قطع فعلى القارئ عند الشروع في التلاوة أن يستعيز ويبسمل سواء أكان في أوائل السور أم في أوسطها"². وإن كان بعد وقف فلا يشترط لا الاستعاذة ولا البسملة، ويفرق بين الوقف والسكت باختلاف زمن التوقف كما أوضحنا سابقاً.

وأما الابتداء فيعرفه المعصراوي والدسوقي بقولهما "هو استئناف القراءة بعد التوقف أو بعد قطع البدء بعد الوقف"³. ويفرقان بينه وبين الوقف بموازنة دقيقة حيث إنّ مراتب الابتداء تتفاوت كتفاوت مراتب الوقف حيث التمام والكفاية والحسن والقبح، ولكن يُعرفُ القارئ من ابتداءه. فالوقف يتدخل فيه الاضطرار، أما البدء فلا يتدخل فيه ضيق نفس أو ما شابه ذلك. ولهذا يُعرفُ فهم القارئ من ابتداءه، وتفاوت درجات الوقف يرجع إلى المعنى، فما يكون مؤدياً لمعنى جديد مستأنف هو الذي يكون الابتداء به في أرقى درجاته"⁴.

1- ابن الجزري، النثر في القراءات العشر، 239/1.

2- عبد الكريم إبراهيم عوض صالح، الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، ص: 19 - 20.

3- المعصراوي والدسوقي، الوقف والابتداء وأثرهما في اختلاف المفسرين، ص: 47.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وقدّم العلماء الوقف على الابتداء وإن كان مؤخرا في الرتبة؛ لأن كلامهم في الوقف الناشئ عن الوصل، والابتداء الناشئ عن الوقف وهو بعده. وأما الابتداء الحقيقي فسابق على الوقف الحقيقي فلا كلام فيهما؛ إذ لا يكونان إلا كاملين كأول السورة وآخرها. وأما عن تعريف علم الوقف والابتداء، فنستنتج ممّا سبق أنّه علم يعرف به القارئ المواضع التي يصلح الوقف عليها والابتداء بها، والمواضع التي لا يصلح لا الوقف عليها ولا الابتداء بها.

2- أقسام الوقف والابتداء:

لقد بينا في تعريف الوقف لغة واصطلاحاً أنّ هناك أنواعاً للوقف وهي: وقف الفقهاء، ووقف القراء، ووقف النحاة، ووقف العروضيين... وللوقف والابتداء أقسام، أمّا الوقف فقد اختلفت أقسامه بحسب اختلاف اصطلاحات العلماء عليها. وقُسم أيضاً باعتبارات أهمّها تقسيمين: أحدهما باعتبار حال الواقف، والآخر باعتبار تعلق الموقوف عليه بما بعده في اللفظ والمعنى. وأما الابتداء فهو ناشئ عن الوقف ويأخذ حكمه. لذا فإنّ أقسامه هي نفسها أقسام الوقف عند هؤلاء العلماء وإن لم ينصوا عليها.

يقول ابن الجزري في باب الوقف والابتداء¹:

وَبَعْدَ تَجْوِيدِكَ لِلْحُرُوفِ لِأَبَدٍ مِنْ مَعْرِفَةِ الْوُقُوفِ.

وَالِإِبْتِدَاءِ وَهِيَ تُقْسَمُ إِذْنًا ثَلَاثَةً: تَامًّا، وَكَافٍ، وَحَسَنًا.

وهنا بيان لانقسام كل من الوقف والابتداء ثلاثة أقسام هي: التام والكافي والحسن - حسب ما اعتمده ابن الجزري من تقسيمات-. غير أنّ هناك من قسمها تقسيمات أخرى تفاوتت من ثلاثة إلى تسعة تقسيمات. ولسنا هنا بصدد التفصيل في ذكر هذه التفاوتات واختلاف الاصطلاحات، على أن نترك هذا للمبحث المعنون بمصطلحات الوقف والابتداء. أما الذي

1- زكريا الأنصاري بن محمد، الذائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، ضبط وتحقيق:

زكريا توناني، دار الإمام مالك، الجزائر، ط2، 2013م، ص: 142.

يهتمنا في هذا المطلب فهو كيف قسم علماء الوقف والابتداء الوقف والابتداء؟ وكيف يمكن تصنيف تقسيماتهم تلك؟.

يُجمع أغلب العلماء المحدثين الذين بحثوا في هذا العلم على أنّ للوقف أربعة أقسام هي: وقف اضطراري، ووقف اختياري، ووقف اختباري، ووقف انتظاري. ويضيف مصطفى عبد الفتاح محمد العريبي في مقدّمة تحقيقه لكتاب الوقف والابتداء لابن أوس المقرئ¹ النوع الخامس وهو ما يسميه بالوقف الترنمي. وقد جعل بعض العلماء الوقف قسامين، اضطراري، واختياري. وبعضهم قسمها بحسب علاقتها باللفظ والمعنى،-كما ذكرنا سابقا- ونودّ في ما يلي بيان هذه الأنواع بالتفصيل. كلّ بحسب تصنيفه، وتقسيمه.

1- أقسام الوقف باعتبار حال الواقف:

أ.الوقف الاضطراري:

وهو ما يعرض للقارئ أثناء قراءته لسبب ضروري لا يمكن التّحكّم فيه، كالعطاس، وضيق النّفس، والسّعال، وغير ذلك...، "حيث لا يتمّ المعنى، وإنّما يوقف لظرف طارئ خارج عن إرادته"². ويقول مصطفى عبد الفتّاح محمد العريبي في مقدّمة تحقيقه لكتاب الوقف والابتداء إنّ "هذا الوقف ليس وقفا حقيقيا؛ لأنّه في غير مجال الوقف المعروفة؛ إذ الواجب على تالي القرآن أن لا يقف إلا عند تمام المعنى أو عند تمام الآية غير أنّه قد ينقطع نَفْسُ القارئ قبل محل الوقف، وهنا يمكن له أن يقف حيث ينقطع نَفْسُهُ، ثمّ يعود إلى الكلمة التي وقف عليها فيبتدئ بها ويصلها بما بعدها، ويستمر في قراءته إن صلح الابتداء بما وقف عليه، وإلا فما يصلح الابتداء به"³. ويعرفه محمود روزنبتعريفحديث نوع ما، إذ يقول هو الوقف " حيث ينقطع النّفس قبل التّمام، وعلى القارئ في هذه الحال أن يتخيّر قبل الاضطرار مواضع الوقف المفهوم وإن كان ناقصا، ثمّ يستأنف قراءته بالعود إليه أو إلى ما قبله لبيان المعنى وتتميم

1- ينظر: ابن أوس، كتاب الوقف والابتداء، ص: 55.

2- المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني.. من خلال سورة النساء، ص: 66.

3- ينظر: المصدر السابق، ص: 39 - 40.

الكلام، فإن طال الكلام ولم يوجد تمام ولا كفاية جازَ الوقف على الناقص المفهوم لا الغامض ولا القبيح¹. يبدو هذا التعريف الأخير أكثر إماما بمفهوم الوقف الاضطراري وأكثر تفصيلا لحالاته، ويرجع هذا لكونه تتبع حالات الوقف تطبيقا بالإضافة إلى اطلاعه على ما سبقه من تعريفات. كما أن التعريفات السابقة ركز أصحابها على السبب في قطع القراءة وهو انقطاع النفس لعارض من العوارض إما السعال أو العطاس، أو غير ذلك...، لكن هذا التعريف ركز على البيان، أي متى يكون الكلام بيّنا في حال الاضطرار إلى الوقف؟، ومتى يكون غير ذلك؟.

ب. الوقف الاختياري بالياء المثناة:

وهو الذي يقصده القارئ لذاته من غير ضرورة ملجئة للوقف، وسمي اختياريًا لحصوله بمحض اختيار القارئ دون ضرورة ولا إجابة على الاختبار. وهو "ما يطلب اختيارًا من أجل المعنى² ويكون على ما لا يلزم معه العود"³. ويقصد الوقف الذي لا يستلزم عودة القارئ إلى الجزء من الكلام الذي يتمّ المعنى. ويعرّفه محمّد يوسف حبّاص بقوله: " هو وقف يجوز للقارئ أن يقف حيث حدّوا، ويجوز تبعًا لذلك ألا يقف"⁴. أي يجوز للقارئ أن يقف حيث علامة الوقف في المصحف، كما يجوز له إن لم ينقطع نفسه أن يواصل القراءة، لتعلق الكلام بما سبق من حيث المعنى، ولم يحدث التمام.

ج. الوقف الاختياري - بالياء الموحدة -:

وهو أن يقف القارئ على كلمة ليست محلًا للوقف عادة، بل هي في مقام التعليم لبيان حكمها من حيث القطع والوصل والحذف والإثبات ونحو ذلك. ويرجع ذلك إلى رسم الكلمة في المصاحف العثمانية. وهذا يطلب يطلبه المعلم من المتعلم اختبارًا له بمعرفته لمواضع

1- محمود بن عبد الجليل رُوزن، وقف البيان في القرآن الكريم دراسة مصطلحية، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، ع 13، السنة التاسعة، ص: 174.

2- ابنأوس، كتاب الوقف والابتداء، ص: 55.

3- محمود رُوزن، وقف البيان، ص: 174.

4- محمد يوسف حبّاص، أثر الوقف على الدلالة التركيبية، دار الثقافة العربية، القاهرة - مصر، (د ط)، 1414 هـ - 1993 م، ص: 29.

الفصل والوصل. ويعرفه الدارسون بأنه الوقف الذي " يطلب من المتعلم من أجل اختباره في المواضع التي ليست بمحل وقف كالمقطوع والموصول وغيره من مرسوم المصحف؛ ليعلم أنّ القارئ يحسن الوقف، ولاسيما على مرسوم المصحف؛ إذ إنّ أكثر تعلق الوقف في القرآن الكريم مبني على الرسم"¹.

د. الوقف الانتظاري: وهو الوقف على الكلمة التي فيها بعض الأوجه من القراءات حين القراءة. بجمع الروايات فيقف عليها القارئ ليستوفي ما فيها من الأوجه حال التلقي على الشيوخ. أي " هو المقصود لبيان ما في الآية من قراءات"². بغية الإتيان بقراءة أو أكثر الواردة في الآية أو المقطع أو الكلمة الموقوف عليها. ويطلق محمود روزن³ على هذين القسمين، أي الاختباري والانتظاري، مصطلح (الوقف التعليمي)؛ لتعلقهما بمقاصد تعليمية حال القراءة والإقراء والمدارس.

هـ. الوقف الترنيمي: وهو " المقصود لبيان الفاصلة"⁴. ويقصد بالفاصلة آواخر الآيات⁵. أو الجمل التامة المعنى. ومن باب التنبيه فقط لم أجد مصطلح الوقف الترنيمي عند علماء الوقف والابتداء القدماء والمحدثين⁶ في المؤلفات التي تمكنت من الاطلاع عليها إلا في مقدمة كتاب الوقف

والابتداء لابن أوس في تعريف مختصر هو ما نقلته هنا في هذا التعريف.

1- ابنأوس، كتاب الوقف والابتداء، ص: 55.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- محمود روزن، وقف البيان، ص: 174.

4- ابنأوس، كتاب الوقف والابتداء، ص: 55.

5- ينظر: علي صالح، أسماء الله الحسنى في أواخر الآيات مقاربة تداولية، رسالة دكتوراه علوم تخصص: دراسات لغوية، إشراف: عبد الرزاق عبيد، كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2016 - 2017م، ص: 103.

6- ذكر الوقف الترنيمي- من المحدثين الذين اطلعت على مؤلفاتهم- المبروك زيد الخير، في كتابه ظاهرة الوقف القرآني وأثرها في تغيير المعاني التحوية، لكنه لم يعرفه، بل ذكره في مخطط لأقسام الوقف. ينظر: المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني، ص: 68.

نلاحظ من هذا أنّ من علماء الوقف والابتداء من قسم الوقف على الكلمات عند تلاوة القرآن الكريم أربعة أقسام: اضطراري، واختباري، وانتظاري، واختياري. وجعله بعضهم مقسمين: اضطراري، واختياري فقط. فالاضطراري: هو ما يدعو إليه انقطاع النفس فقط. أما الاختياري: فهو الذي لا يكون باعتبار انفصال ما بين جزأي القول¹.

2- أقسام الوقف باعتبار اللفظ والمعنى:

وهذا يكون في القسم الرابع من أقسام الوقف السابقة، وهو الوقف الاختياري. وتفاوت علماء الوقف والابتداء في تقسيماتهم لأقسام الوقف الاختياري من ثلاثة أقسام إلى تسعة، واختلافاتهم في عددها ومصطلحاتها إلا أنّها ترجع في أصولها إلى أربعة أقسام: تام وكاف وحسن وقبيح². يقول ابن الأنباري - في باب أقسام الوقوف وتعريفها - "واعلم أنّ الوقف على ثلاثة أوجه: وقف تام، ووقف حسن ليس بتام، ووقف قبيح ليس بحسن ولا تام"³. وهذا راجع إلى تعلق الموقوف عليه بما بعده، لأنّ الكلام الموقوف عليه من حيث تعلقه بما بعده لا يخلو من أن يكون واحدًا من أربعة⁴:

أ- إمّا أن لا يكون له تعلق بما بعده مطلقاً لا لفظاً ولا معنى. وهذا هو الذي اصطلح عليه العلماء بالوقف التام.

ب - وإمّا أن يكون له به تعلق من حيث المعنى فقط دون اللفظ. وهذا هو الذي اصطلح عليه بالوقف الكافي.

ج - وإمّا أن يكون له به تعلق من حيث اللفظ فقط دون المعنى. وهذا هو الذي اصطلح عليه بالوقف الحسن.

1- ينظر: ابن الجزري، التّشّير في القراءات العشر، 1/225.

2- ينظر: المرجع نفسه، ج1، الصفحة نفسها.

3- ابن الأنباري أبو بكر محمد بن بشّار بن الحسن، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّو جلّ، تحق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة - مصر، ط1، 1428 هـ - 2007م، ص: 102.

4- ينظر: ابن الجزري، التّشّير في القراءات العشر، 1/178.

د - وإمّا أن يكون له به تعلق من حيث اللفظ والمعنى معاً، وهذا هو الذي اصطلح عليه بالوقف القبيح.

فهذه أربعة وجوه لتعلق الموقوف عليه بما بعده تقابلها أربعة أقسام للوقف هي: تام وكاف وحسن وقبيح. ونفصل الحديث عنها في الآتي:

أ - الوقف التام:

يعرّف الوقف التامفي اصطلاح علماء الوقف والابتداء، على أنّه " ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، ولا يكون بعده ما يتعلق به"¹. إذ قال الداني: " اعلم أنّ الوقف التام هو الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده لأنّه لا يتعلق بشيء مما بعده، وذلك عند تمام القصص وانقضائهن موجودا في الفواصل ورؤوس الآي"². وقال ابن الجزري: " وكونه تاماً - أي الكلام- لا يخلو إمّا أن لا يكون له تعلق بما بعده البتّة، أي لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى، فهو الوقف الذي اصطلح عليه الأئمة بالوقف التام لتمامه المطلق، يوقف عليه ويبتدأ بما بعده"³. وذكر الأشموني ما يماثل هذا الكلام، حيث قال: " يتنوع الوقف نظراً للتعلق خمسة أقسام، لأنّه لا يخلو إمّا أن لا يتصل ما بعد الوقف بما قبله لا لفظاً ولا معنى فهو التام"⁴. والمراد بالتعلق اللفظي التعلق من حيث الإعراب أو النحو، كأن يكون معطوفاً أو صفة أو مضافاً إليه أو نحو ذلك مما يقع في قوانين النحو.

والمراد بالتعلق المعنوي التعلق من حيث المعنى لا الإعراب، كأن يكون ما بعد الوقف تمام قصة ما قبله أو أن يكون في سياق وصف ما.

أ.1. وقف البيان:

1- ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، ص: 102.

2- الداني، المكتفى في الوقف والابتداء، ص: 140.

3- ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر، 1/ 178.

4- الأشموني، منار الهدى، 1/ 23.

يحدده بعض الباحثين بأنه: " الوقف على كلمة لا يفهم المعنى الموقوف عليه، دون الوقف عليها".¹ ويحدده آخرون على أنه الوقف الذي "يبين معنى لا يفهم بدونه؛ كالوقف على قوله تعالى: ﴿وَتَوَقَّروْهُ﴾ من قوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح: 9] فرق بين ضميرين، فالضمير في ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾، للنبي صلى الله عليه وسلم، وفي ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ لله تعالى، والوقف أظهر هذا المعنى المراد...².

أ.2. وقف جبريل:

يسمى وقف السنة، ووقف جبريل، ووقف الاتباع، وهو ما نزل وحيا من جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم، واتبع من آداء من الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين... يقول المبروك زيد الخير إنه: " مستحب لاتباع الرسول ﷺ فيه"³. غير أن الحصري⁴ ينفي وجود حديث صحيح أو ضعيف يثبت أن الوقف على جميع هذه المواضع، أو بعضها من السنة العملية أو القولية. ومواضعه عشرة مثلما يحصيها بعض الباحثين⁵.

ب - الوقف الكافي:

يعرفه أبو عمرو الداني بقوله: " واعلم أن الوقف الكافي هو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده متعلق بهمن جهة المعنى دون اللفظ"⁶.

1- المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني.. من خلال سورة النساء، ص: 62.

2- محمود روزن، وقف البيان، ص: 194.

3- المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني، ص: 62.

4- ينظر: محمود خليل الحصري، معالم الاهتداء في معرفة الوقف والابتداء، مكتبة السنة، القاهرة - مصر، ط1، 1423هـ.

5- 2002م، ص: 13.

6- ينظر: المرجع نفسه، ص: 12.

6- الداني، المكتفى في الوقف والابتداء، ص: 144.

وهذا ما ذكره ابن الجزري حين قسم الكلام إلى تام وغير تام، وقسم التام إلى ما ليس له تعلق بما بعده مطلقاً وإلى ما له تعلق بما بعده في المعنى أو في اللفظ، فقال: " وكونه -أي الكلام- تاماً لا يخلو إما أن لا يكون له تعلق بما بعده البتة أي لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى، فهو الوقف الذي اصطلح عليه الأئمة بالتام... وإذا كان له تعلق، فلا يخلو هذا التعلق إما أن يكون من جهة المعنى فقط، وهو الوقف المصطلح عليه بالكافي...¹

فالوقف الكافي إذن هو الوقف على كلمة تم معنى الكلام عندها؛ ولم يتعلق ما بعدها بها أو بما قبلها من حيث اللفظ، وتعلق بها أو بما قبلها من حيث المعنى فقط. وسمي الوقف الكافي بالكافي لاكتفائه واستغنائه عما بعده، واستغناء ما بعده عنه بأن لا يكون مقيداً له. لعدم تعلقه به من جهة اللفظ، وإن تعلق به من جهة المعنى.

ج - الوقف الحسن:

يعرفه أبو عمرو الداني بقوله: "واعلم أن الوقف الحسن هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً. وذلك نحو قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ و﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، والوقف على ذلك وشبهه حسن لأن المراد مفهوم. والابتداء بقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا يحسن، لأن ذلك مجرور؛ والابتداء بالمجرور يقبح لأنه تابع لما قبله².

فالوقف الحسن إذن هو الوقف على ما يؤدي معنى صحيحاً مفهوماً فلا يحتاج إلى ما بعده غير أن ما بعده يحتاج إليه، نظراً لتعلق اللفظي والمعنوي بينهما، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فالوقف بعد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وقف حسن لتمام الجملة في ذاتها "مبتدأ وخبر"، ولفهم المراد منها، ولكن ما بعدها مرتبط بها ارتباطاً وثيقاً من حيث اللفظ والمعنى، وذلك لأن ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ صفة، ولا بد من إتباع الصفة موصوفها. فالجملة

1- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 1/ 178.

2- الداني، المكتفى في الوقف والابتداء، ص: 145.

الأولى تمت في معناها دون الثانية، ولكن الثانية لا تتم دون الأولى. وهنا تعلق ما بعد الوقف بما قبله من حيث اللفظ والمعنى، وذلك لأن التعلق اللفظي يلزم منه التعلق المعنوي في حين أن التعلق المعنوي لا يلزم منه التعلق اللفظي.

د- الوقف القبيح:

هو الوقف الذي لا يفهم المراد منه أو يوهم الوقوع في محذور¹. أو هو الوقف على كلام لا يؤدي معنى صحيحاً لشدة تعلقه بما بعده لفظاً ومعنى مع عدم الفائدة. أو إفادة معنغير مقصود أو يوهم فساد المعنى². وهو أقسام³:

1- الوقف على لفظ لا يفهم السامع منه معنى، ولا يستفيد منه فائدة يحسن السكوت عليها؛ لشدة تعلقه بما بعده من جهتي اللفظ والمعنى معاً. وذلك نحو الوقف على المبتدأ بالخبر، والوقف على إنَّ أو إحدى أخواتها أو على اسمها والبدء بخبرها، والوقف على كانَّ أو إحدى أخواتها، أو على اسمها والبدء بخبرها، ...، والوقف على فعل الشرط والبدء بجوابه، والوقف على المقسم به والابتداء بجواب القسم، والوقف على المنعوت والبدء بالنعته، ... وما إلى ذلك من الأوقاف التي لا تتم بها الجملة، ولا يفهم منها معنى فلا يسوغ الوقف عليها والابتداء بما بعدها.

2- الوقف الذي يفضي إلى إفساد المعنى، وتغيير الحكم الشرعي، كالوقف على

قوله **كَلِمَةٌ ﴿وَلِأَبْوَيْهِ﴾ فِي**

تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا أَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾

﴿[النساء: 11]. فلو وقف القارئ على كلمة ﴿وَلِأَبْوَيْهِ﴾ يتغير المعنى وقد يبطل الحكم الشرعي

في الميراث فيصير للبننت وللجدین نصف ما وُرت. وهنا الوقف قبيح.

1- ينظر: الداني، المكتفى في الوقف والابتداء، 148. وينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1/ 352. وينظر: زكريا

الأنصاري، المقصد لتلخيص ما في المرشد، ص: 08.

2- الأشموني، منار الهدى، 1/ 28.

3- محمود خليل الحصري، معالم الاهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء، ص: 39 - 41.

3- الوقف الذي يوهم اتصاف الله تعالى بما تتقدّس عنه ذاته، وتتبرّز منه صفاته، ويفهم مستحيلا في حقّه تعالى، كالوقف على: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ من قوله

تعالى: ﴿الْمَتَرِ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ

فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ [البقرة: 258]. فهذا الوقف يوهم اشتراك الله مع الكافر في البهت وهو الانقطاع والحيرة. وهو تعالى منزّه عن ذلك. فالأولى الوقف على ﴿كَفَرَ﴾. أو وصله بآخر الآية أحسن. والوقف على ﴿وَاللَّهُ﴾ وقف قبيح وغير جائز.

ويقسّم الحصري الوقف الاختياري تسعة أقسام، فيضيف إلى الأقسام الأربعة السابقة الذكر- بالإضافة إلى الأنواع الثلاثة للوقف القبيح- الوقف الجائز، ووقف المعانقة أو المراقبة. ولقد حدد مفهومهما بقوله: " الوقف الجائز وهو الوقف على كلمة تعلق ما بعدها بها أو بما قبلها تعلقاً معنوياً، وتعلق بها أو بما قبلها تعلقاً لفظياً على سبيل الجواز"¹. وشرح ذلك بقوله إنّ الجملة التي تلي الكلمة الموقوف عليها إذا كان فيها الوجهان من الوقف الحسن أي عدم تعلقها بما قبلها لفظاً، وهي هنا جملة مستأنفة؛ ويجوز الوقف على الكلمة والبدء بما بعدها استئنافاً للكلام. كما يجوز الوصل باعتبار الوجه الثاني، وهو أنّ الجملة في محلّ الخبر أو الحال أو صفة إلى غير ذلك.

ومثال ذلك الوقف مثلا على كلمة ﴿العَذَابِ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾، [البقرة : 49]، وذلك أنّ الجملة ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ يحتمل فيها أن تكون في محل نصب على الحال من فاعل يسومونكم. ويمكن أن تكون جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب وقعت جواباً عن سؤال نشأ من جملة يسومونكم، كأنّ سائلاً قال: ما الذي

1- المرجع السابق، ص: 35.

ساموهم إياه؟ فأجيب بقوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾. ولا مرجح لأحد هذين الوجهين على الآخر، بل هما سواء.

ومن أمثلة هذا الوقف أيضا: الوقف على كلمة ﴿حَسِيْسَهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيْسَهَا﴾ [الأنبياء: 102]. ﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾. يحتمل أن تكون الجملة في موضع نصب على الحال من فاعل يسمعون. وأن تكون مستأنفة لا محل لها من الإعراب سيقت لبيان بعض أحوال أهل الجنة، وما هم فيه من نعيم خالد، وسرور دائم، لا انقضاء له ولا انقطاع. وسمي هذا الوقف الوقف الجائر نظرا لتساويه في الرجحان مع مقابله وهو الوصل، وعدم رجحانه عليه.

خلاصةً لما سبق نستنتج أنّ من المحدثين من قسم الوقف باعتبار حال الواقف ثلاثة أقسام ومنهم من قسمها أربعة أقسام. وعند اطلاقنا على ما جاء في مؤلفات الوقف والابتداء للعلماء القدامى لاحظنا تقسيم علمائه الوقف والابتداء أقساما؛ اختلفت وتفاوتت من عالم إلى آخر. كما أنّهم ركزوا اهتمامهم على علاقة اللفظ الموقوف عليه بما بعده وبما قبله عند بعض حالات الابتداء. ولم يولوا أهمية أكبر لحال الواقف -القارئ- من علاقة اللفظ الموقوف عليه بما بعده وبما قبله في مدرج الكلام. فكانت تقسيماتهم بتتوعها واختلاف اصطلاحاتها وتفاوتها تدخل ضمن القسم الرابع من أقسام الوقف باعتبار حال الواقف، وهو الوقف الاختياري. ولم يذكر أغلبهم أنواع الوقف الأربعة تلك: الاضطراري، والاختياري، والانتظاري، والاختياري، عدا ما ورد في مقدمة تحقيق كتاب الوقف والابتداء لابن أوس، حيث عرفت هذه الأنواع الأربعة وذكرت هذه المصطلحات نفسها، وأضيف النوع الخامس وهو الوقف الترنمي. وذكر ابن الجزري أنّ أنواع الوقف لا تخرج عن قسمين: اضطراري، واختياري، ثم قسم الاختياري ثلاثة أقسام: تامّ وكافٍ وحسن. وأضاف بعضهم أنواعا أخرى منها الجائر واللازم ووقف المعانقة.

وبعد عرضنا لأقسام الوقف وأقسام قسمه الاختياري، نودّ معرفة هل للابتداء أقسام وأنواع أم لا؟ وكيف هي مقارنة مع أقسام الوقف؟.

ب. أقسام الابتداء:

من الطبيعي أن ابتداء الكلام هو خلاف الوقف فيه، إذ لا يكون إلا اختيارياً. فالمتكلم يحسن الاختيار والتفكير فيما يريد قوله والابتداء بما يريد ويفضل الابتداء به، في حين أن الوقف يكون اختيارياً واضطرابياً، كما سبق أن بينا. ولا يجوز الابتداء إلا بما يفى الغرض المقصود من الكلام، كما لا ينبغي الابتداء بما يوهم خلاف المعنى المراد. فإن أُخِلَّ بالغرض المقصود أو أوهم خلاف المراد كان المعنى قبيحاً، ويجب على القارئ تجنبه. وكذا المتكلم أثناء كلامه العادي فهو يحسن اختيار ما يبتدئ به كلامه، لكنّه قد يتم كلامه بوقف تكون فيه عملية التواصل في أحسن حال لها مع المتلقي، وقد يحدث ما لم يكن في حسابان المتكلم؛ أو المتلقي. وكلّ هذا عائد إلى مدى تمكن المتكلم من حسن حياكة كلامه ومعرفته الوقوف، ومفاصل الكلام وإتمام معناه وحسن السبك والمقصد. كلّ هذا نريد أن نكتشفه في أنواع الابتداء.

لقد قسّم العلماء الابتداء الاختياري أربعة أقسام هي¹:

1. ابتداء تام: وهو البدء بما لم يتعلق بما قبله لا معنى ولا لفظاً مثال ذلك

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6] فلم

تتعلق هذه الجملة لفظاً ولا معنى بالتالي قبلها ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. [البقرة: 5].

2. ابتداء كاف:

وهو البدء بما يتعلق بما قبله معنى؛ لا لفظاً. مثل قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: 7].

البقرة: 7]. لم تتعلق هذه الجملة لفظاً بالتالي قبلها-

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 7]، وإنما تعلق

بها معنى، إذ لا يزال الحديث على الكافرين، ولم يتم الكلام عن موضوعه.

3. ابتداء حسن:

1- ينظر: أحمد عيسى المعصراوي ومحمد الدسوقي أمين كحيلة، الوقف والابتداء وأثرهما في اختلاف المفسرين، ص: 48.

وهو البدء بما تعلق بما قبله لفظاً ومعنى، مثل البدء ب: ﴿مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا﴾ في

قولهنعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمْ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 8]. فهذا

البدء حسن لوجود علاقة لفظية ومعنوية ل: ﴿مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا﴾ ب: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ شريطة أن لا يكون في الابتداء قبح.

4. ابتداء قبيح:

وهو الابتداء غير الجائز كأن يخالف القارئ لكتاب الله أهل اللغة أو يبدأ بما يغير المعنى المراد أو يفسده، أو يوهم معنى غير مراد، أو معنى يسيئ إلى الله سبحانه وتعالى. وأمثلة ذلك¹:

• لا يجوز البدء بلام التعليل لأن ما بعدها سبب لما قبلها، كما يتوهم حال البدء بها بأنها لام أمر كسرت للبدء كما في

قوله: ﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، من قوله

تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ

النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 188].

• لا يجوز البدء بما جاء بعد قول لم يجر على لسان المؤمنين مثل

قوله: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ من قوله

تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَ نَهْمٌ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: 124].

• لا يجوز البدء بما لا يجوز في حق الله مثل: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، في قوله

تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾. [المائدة: 64]. وكذلك

بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾. من قوله

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 49- 50.

تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ

بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾. [آل عمران: 181].

• لا يجوز البدء بما يخالف المعنى ويفسده

نحو: ﴿وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾. [الممتحنة: 1].

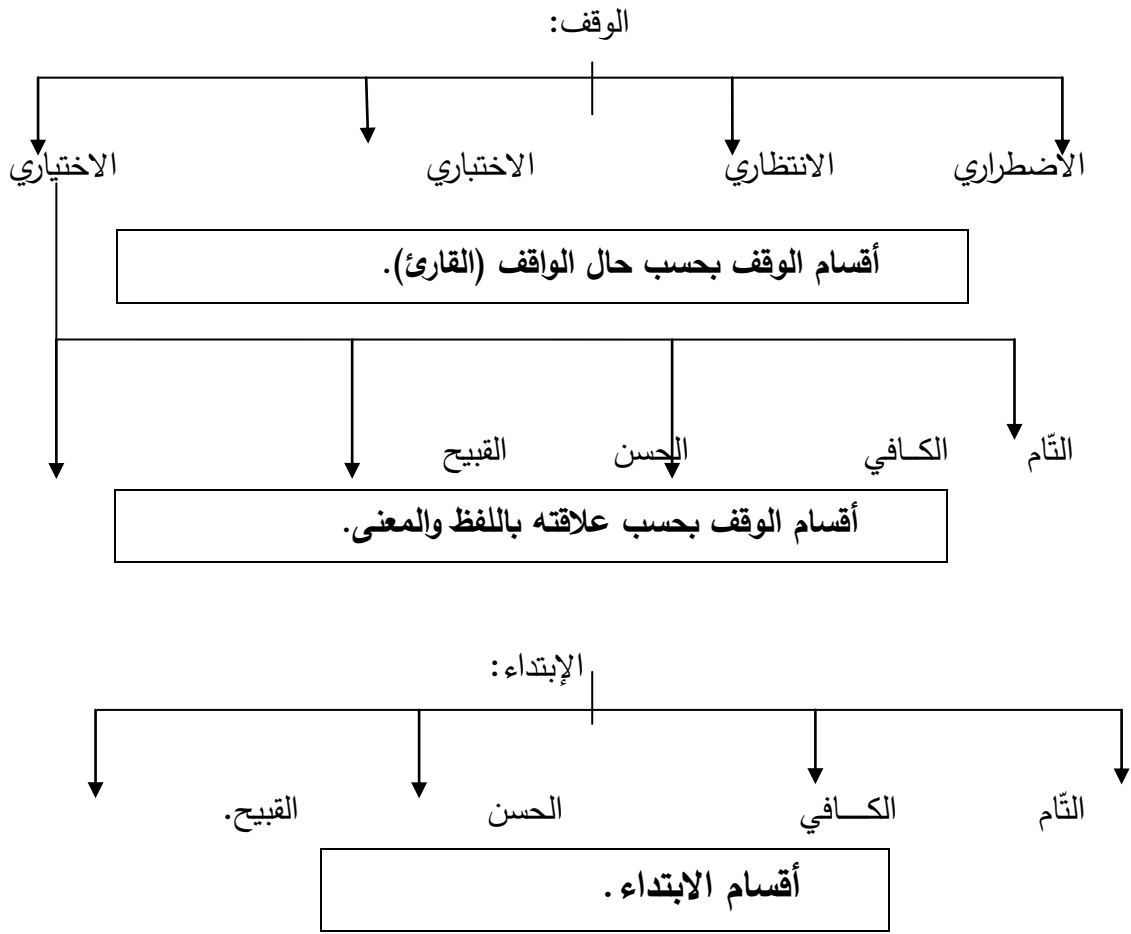
• ويدخل فيه البدء التنطعي وهو البدء الذي يخالف إجماع المفسرين، ويخالف أعراف أهل اللغة والبلاغة نحو: البدء بقوله تعالى: ﴿الْحَقُّ أَنَا رُودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾. من قوله تعالى: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ لَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ...﴾ [يوسف: 51] فهذا سفه، إذ لو جاز البدء لجاز استغناء الجملة الأولى عنها، وهل يجوز أن يستغنى فعل (حصحص) عن فاعله (الحق)، كما لم يتقدم مبتدأ في اللغة العربية على (أنا) الضمير، والتقدير: قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق وقالت أنا راودته عن نفسه وقالت إنه لمن الصادقين.

وخلاصة القول إن للابتداء أربعة أقسام هي بالترتيب ابتداء تام، وكاف، وحسن وقبيح. ولا توجد فيما ألف -فيما اطلعت عليه - تقسيمات أخرى للابتداء، لكن ما لاحظته أن في الوقف الجائز يجوز الوقف على الكلمة كما يجوز الابتداء بما بعدها. وكذلك فيوقف المعانقة فمتى أجزى الوقف أجزى الابتداء بما بعد الكلمة الموقوف عليها. ولكن لم تسم أقساماً للابتداء ولم يختلف في مصطلحاته كما حدث مع الوقف. ولعل سبب ذلك تركيز علماء العربية على الوقف أكثر من الابتداء، لأن منه تمام المعنى المقصود، وبلوغه ذهن المتلقي. كما أن الوقف يتم لضرورة، ولغير ضرورة، عكس الابتداء فلا يبدأ القارئ - المتكلم - كلامه إلا إذا أنعم النظر فيما سيقروءه. ولاحظت أيضاً أن أقسام الابتداء هي كلها تقابل ما يندرج ضمن قسم الوقف الاختياري. ولا يوجد ابتداء اضطراري، ولا ابتداء انتظاري، ولا ابتداء اختياري. ويعود هذا إلى كون الابتداء ظاهرة عكسية لظاهرة الوقف، إذ يكون القارئ فيه في كامل استعدادة عقلياً وصحياً، على عكس الوقف الذي تطول فيه القراءة؛ وقد تواجه القارئ فيه عراقيل منها انقطاع النفس.

كيف يمكننا تصنيف أقسام الوقف والابتداء؟

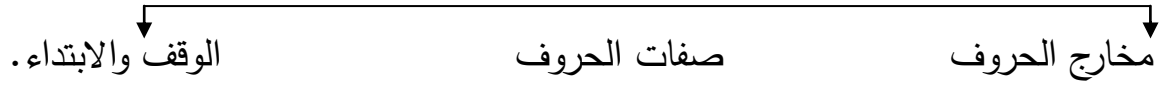
نلاحظ أنّ هناك من صنفها بحسب حال الوقف، ثم تخصص في أقسام القسم الرابع وهو الوقف الاختياري. وهناك من صنفها بحسب علاقة الوقف والابتداء بدلالة اللفظ والمعنى، فقسمها أربعة أقسام مباشرة: تام وكاف وحسن وقبيح. ومن العلماء من أضاف أقساماً أخرى، واختلف في مسمياتها وعددها من عالم إلى آخر.

ويمكننا تلخيص أقسام الوقف والابتداء في المخططات الآتية:



وعند محاولتنا تحديد موضع الوقف والابتداء في علم التجويد نجده مبحثاً هاماً من علم التجويد، يوضح موقعه المخطط الآتي:

مباحث علم التجويد الرئيسية:



من ألم بها وأتقنها قرأ القرآن بتمام معانيه.

المبحث الثاني: علم الوقف والابتداء مصطلحاته ورموزه، وقوانينه وضوابطه.

1.1- مصطلحات علم الوقف والابتداء ومفاهيمه.

2.1 - رموز الوقف والابتداء وعلامتهما في المصحف.

3.1- قوانين علم الوقف والابتداء وضوابطه.

1. علم الوقف والابتداء ومصطلحاته ورموزه، وقوانينه وضوابطه:

1.1 مصطلحات علم الوقف والابتداء ومفاهيمه:

ذكرنا في المبحث السابق اختلاف علماء الوقف والابتداء في مصطلحات الوقف والابتداء؛ من حيث عددها ومسمياتها ومفاهيمها. وللعلماء آراء كثيرة في هذه المصطلحات " فهي غير منضبطة ولا منحصرة لاختلاف القراء والمفسرين والمعربين. حيث إنّ الوقف يكون تاماً على تفسير أو إعراب أو قراءة أو معنى، وغير تام على وجه آخر"¹.

فكل واحد منهم حدّد مواطن الوقف، وبيّن نوع هذا الوقف حسب فهمه لمعنى الآية، ومن هنا فسّر بعضهم اختلاف العلماء في اصطلاح مراتب الوقف في القرآن الكريم من حيث إنّه " لا مشاخة في الاصطلاح، بل يسوغ لكل أحد أن يصطلح على ما يشاء، لبيان الحسن، والأحسن، والممنوع حرصاً على تفهيم كلام الله تعالى، وأداء تلاوته على أتمّ وجه"². غير أنّ هذا عكس ما يرمي إليه علم المصطلح في زمننا هذا، إذ المعمول به أنّ لكل مصطلح مفهوم مقابل واحد. كما أنّه يشقّ على المطلع على كتب الوقف والابتداء فهم مصطلحاته لكثرتها وتنوعها من عالم إلى آخر. اللهم إلاّ إذا عاد الواحد منا إلى كتاب واحد وحاول فهم ما جاء فيه من مصطلحات، وعمل بما يوافقها من مفاهيم؛ دون كثرة إطلاع منه لكي لا تختلط عليه المفاهيم والمصطلحات المقابلة لها. ونحاول في ما يلي ذكر هذه المصطلحات ومفاهيمها؛ واختلافها من عالم إلى آخر. بغية مقابلتها؛ ومحاولة حصرها فقد تدل عدة مصطلحات على مفهوم واحد. ولمعرفة الفروقات في مفاهيمها وتقارب بعضها أو تطابقها في المفهوم الواحد.

1- الساجوندي، علل الوقوف، ص: 9 - 10.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها. وينظر: الصفاقسي أبو الحسن علي بن محمد النوري، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطاء حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، تقديم وتصحيح: محمد الشاذلي النيفر، المكتبة القرآنية، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، (د م)، (د ط)، (د تا)، ص: 130.

الوقف عند ابن سعدان - (ت 231هـ) - تامٌ وغير تام، إذ يقول: "إنَّ من تمام الإعراب معرفة الوقف والابتداء، بالوقف على التَّمام وعلى غير التَّمام، وهو على التَّمام أحسن"¹. وذهب آخرون منهم ابن الأنباري والسَّخاوي إلى أنَّها ثلاثة أقسام: تام، وحسن، وقبيح².

ويجمع أكثر القراء ومنهم الدَّاني وابن الجزري إلى أنَّ أقسام الوقف أربعة أقسام: تام وكاف وحسن وقبيح. ويقول آخرون إنَّها أربعة أقسام أيضا: تام مختار، وكاف جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك³، وهذا يقارب ما قبله في التَّقسيم ويخالفه في المصطلح بإضافة صفات للمصطلح، فينتج عنها مصطلحات مركبة للمفاهيم نفسها. ومنهم من جعله أربعة أقسام أيضا ولكن باصطلاح مخالف جزئيا، وهي: مطلق، وجيد، وجائز، وقبيح⁴. فقابل مصطلحي تام وتام مختار مصطلح: مطلق، وقابل مصطلحي كاف وكاف جائز مصطلح جيد، وقابل مصطلحي حسن وحسن مفهوم مصطلح جائز، وبقي مصطلح قبيح موحدا في معظم المصنفات التي دُكرَ بها.

وقسمه السَّجاوندي خمسة أقسام⁵: لازم، ومطلق، وجائز، ومجوز لوجه، ومرخص ضرورة.

وقسمه بعضهم سبعة أقسام⁶: تام، وتام، وحسن، ومفهوم، وصالح، وقبيح. وذهب آخرون إلى أنَّه ينقسم إلى ثمانية أقسام⁷: أعلاها التَّام، ثم الحسن، ثم الكافي، ثم الصَّالح، ثم المفهوم، ثم الجائز، ثم البيان، ثم القبيح. وقال غيرهم الوقف ثمانية مراتب⁸: تام

1- ابن السَّعدان، الوقف والابتداء في كتاب الله عزَّ وجلَّ، ص: 76.

2- ينظر: ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزَّ وجلَّ، ص: 102-103. ومنار الهدى، والبرهان في علوم القرآن.

3- ينظر: أبو عمرو الدَّاني، المكتفى في الوقف والابتداء، ص: 138.

4- ينظر: الأشموني، منار الهدى، ص: 9.

5- ينظر: السَّجاوندي، علل الوقوف، ص: 10.

6- ينظر: النكزوي، الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء، ص: 9.

7- ينظر: الأشموني، منار الهدى، ص: 5-6.

8- ينظر: المصدر نفسه، ص: 9. وينظر: السَّجاوندي، علل الوقوف، ص: 12.

وشبيهه، وناقص، وشبيهه، وحسن، وشبيهه، وقبيح، وشبيهه. واصطلاح على تسميتها بعضهم بأنها ثمانية أقسام وهي¹: كامل، وتام، وكاف، وصالح، ومفهوم، وجائر، وناقص، ومتجاذب. وتجاوزت مراتبه الثمانية إلى تسع مراتب عند آخرين² وهي: تام أو أتم، وكاف وأكفى، وحسن وأحسن، وصالح وأصلح، وقبيح وأقبح. ونحاول فيما يلي بيان هذه المصطلحات بشيء من التعريف والتوضيح والتفصيل.

1. التام أو الأتم:

يعرّف الوقف التام في اصطلاح علماء الوقف والابتداء، على أنّه ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، ولا يكون لما بعده تعلق به لا لفظاً ولا معنىً. قال الدّاني: "اعلم أنّ الوقف التام هو الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده لأنّه لا يتعلّق بشيء مما بعده، وذلك عند تمام القصص وانقضائهن موجودا في الفواصل ورؤوس الآي"³. وقال ابن الجزري: "وكونه تاماً تاماً - أي الكلام - لا يخلو إمّا أن لا يكون له تعلق بما بعده البتّة، أي لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى، فهو الوقف الذي اصطلاح عليه الأئمة بالوقف التام لتمامه المطلق، يوقف عليه ويبدأ بما بعده"⁴. وذكر الأشموني ما يماثل هذا الكلام، حيث قال: "يتنوع الوقف نظراً للتعلّق خمسة أقسام، لأنّه لا يخلو إمّا أن لا يتّصل ما بعد الوقف بما قبله لا لفظاً ولا معنىً فهو التام"⁵. والمراد بالتعلّق اللفظي التعلّق من حيث الإعراب أو النّحو، كأن يكون معطوفاً أو صفة أو مضافاً إليه أو نحو ذلك مما يقع في قوانين النّحو.

والمراد بالتعلّق المعنوي التعلّق من حيث المعنى لا الإعراب، كأن يكون ما بعد الوقف تمام قصة ما قبله أو أن يكون في سياق وصف ما.... ومن هنا يتبيّن أنّ الوقف التام لا يكون إلاّ بشرطين:

1- ينظر: الساجوندي، علل الوقوف، ص: 12.

2- ينظر: الأشموني، منار الهدى، ص: 10.

3- أبو عمرو الدّاني، المكتفى في الوقف والابتداء، ص: 140.

4- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج: ، ص: 226.

5- الأشموني، منار الهدى، ص: 9.

1 - أنه يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده.

2 - أن لا يكون له تعلق بما بعده مطلقاً لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى.

ولا يشترط في الوقف التام " أن يكون آخر القصة بل أن يستغنى عما بعده كما تقرر، كقوله تعالى - محمد رسول الله- فإنه مبتدأ وخبر، فهو مستغن عن غيره وإن كانت الآيات إلى آخر السورة قصة واحدة"¹. وقد تقاربت مصطلحات الوقف حتى دلت على مفهوم واحد عند بعضهم، ويبدو من هذا التعريف وضع مصطلح التام دالاً على مفهوم الكافي كما سنوضح في ما يلي. كما قيل إن الوقف الحسن هو التام، غير أن الوقف الحسن له تعلق ما بما بعده².

وجاء في مقدمة تحقيق كتاب الوقف والابتداء لابن أوس³، أن مصطلح التام يحمل المفهوم نفسه انطلاقاً من كتاب الأنباري- الموسوعة التي حفلت بسجل مطول لأقوال العلماء قبله عرضاً ومناقشة.. -إلى ما جاء عند المتأخرين، فالتام عند الأنباري هو التام عند المتأخرين - حسب ما جاء في مقدمة كتاب ابن أوس - وإن اختلفت المصطلحات فالمفهوم واحد؛ وهو الوقف الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، ولا يكون لما بعده تعلق به لا لفظاً ولا معنى. فالمصطلحات التي عبرت عن هذا المفهوم هي: التام والأتم والتمام، والشبيه، وكلها تعني المفهوم نفسه وهو الوقف التام.

2. الكافي: وهو ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده أيضاً، ويكون منقطعاً في اللفظ

عما قبله متعلقاً في المعنى بما بعده⁴. ويعرفه بعضهم بأنه " ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما

بعده إلا أن له به تعلقاً معنوياً كالوقف على - ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ - وعلى -

اليوم أحلّ لكم الطيبات-"⁵. ويقول الداني في الوقف الكافي: "وكذلك كلّ كلام قائم بنفسه

[مستغن بعامل ومعمول فيه] يفيد معنى يكتفي به فالقطع عليه كافٍ. ويسمى هذا الضرب

1- الأشموني، منار الهدى، ص: 7. (هامشها).

2- ينظر المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- ينظر: ابن أوس، الوقف والابتداء، ص: 66.

4- ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص: 127.

5- الأشموني، منار الهدى، ص: 7. (هامشها).

مفهوما"¹. ويذكر الدّاني أيضا أنّ هذا الضرب يسمى مفهوما. وهنا اشتراك في المصطلحات لمفهوم واحد هو الوقف الكافي.

3. الأكفى: وهو أعلى درجة من الكافي تماما مثل الحسن والأحسن والتام والأتمّ، ويتضح أنّه الوقف المرتبط بالفواصل، لقول الدّاني في الوقف التّام والكافي: "... وما ورد منهما ومن الحسن في الفواصل فهو أتمّ وأكفى وأحسن ممّا يرد في حشوهن"².

4. الحسن: وهو ما يتعلق بما بعده معنىً ولفظاً، وقيل: "الحسن ما يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده... لتعلقه به لفظاً ومعنى"³. فالوقف الحسن هو الذي يحسن الوقف عليه، لكن لا يحسن الابتداء بما بعده، فيعيد القارئ القراءة بربط أول الكلام بآخره عند الوقف لضرورة. أو يقرأ الجملة كاملة من دون انقطاع ولا وقف حين يكون الكلام متعلقاً بعبءه ببعض لفظاً ومعنى.

5. الأحسن: هو درجة أعلى من درجة الوقف الحسن، ويكون عند رؤوس الآي. والدليل على ذلك قول الدّاني: "... وما ورد منهما ومن الحسن في الفواصل فهو أتمّ وأكفى وأحسن ممّا يرد من ذلك في حشوهن"⁴.

6. القبيح:

يقول مساعد الطيّار إنّ العلماء الذين اصطاحوا عليه لم يذكروا له تعريفاً واضحاً، لكنّه بعد أن استقرأ كلامهم وتطبيقاتهم فيه، وجد أنّ للوقف القبيح ضابطان للمراد به⁵: الضابط الأوّل: الوقف على ما لم يتمّ إعراباً، مع عدم معرفة المراد منه، كالوقف على ﴿الْحَمْدُ﴾ من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2]. فالوقف على ﴿الْحَمْدُ﴾ وقف قبيح، لأنّ المعنى لم يتمّ، وكذلك من حيث الإعراب - أي قواعد النّحو - وقف قبيح لأنّ

1- الدّاني، المكتفي في الوقف والابتداء، ص: 144.

2- الدّاني، المكتفي في الوقف والابتداء، ص: 144.

3- الأشموني، منار الهدى، ص: 7. (هامشها).

4- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

5- ينظر: مساعد الطيّار، وقوف القرآن وأثرها في التفسير، ص: 245.

﴿الْحَمْدُ﴾ مرفوع باللام، والمرفوع متعلق بالزّاف لا يستغني عنه¹.

والضّابط الثاني: الوقف على ما يخالف المعنى المراد بالآية ويكون ذلك غالباً بوصل ما تمّ معناه بما بعده، كالوقف على لفظ ﴿وَالْمَوْتَى﴾، من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: 36]. لأنّ الوقف على ﴿يَسْمَعُونَ﴾ وقف لازم، وهنا تمام المعنى. وترفع كلمة ﴿وَالْمَوْتَى﴾ بما عاد عليها من الهاء².

7. الأقبیح: هو أعلى درجة من الوقف القبیح، وأكثر قبحا منه، فقد يغير المعنى المراد قوله، أو يغير حكماً شرعياً، أو يسيء إلى الله عز وجل، وهي من أسوء درجات الوقف القبیح أو أنواعه كما ذكرها بعضهم، وقد بيّناها سابقاً ما عنونه بأقسام الوقف القبیح.³ يقول أبو الحسن الصفاقسي في ذكره لأقسام الوقف: "... لكن التّحقيق أنّ كل قسم منها ينقسم إلى قسمين فتام وأتم وكاف وأكفى وحسن وأحسن وقبيح وأقبیح..."⁴. غير أن الأتم والأكفى والأحسن هي وقوف تكون ضوابطها هي نفسها ضوابط الوقف التام، والكافي، والحسن، بهذا الترتيب مع ضرورة وجودها على رأس الآي، وهذا ما زادها درجة أعلى، ومرتبة أحسن لكون الوقف على رؤوس الآي سنة. أما الوقف الأقبیح فدرجته أعلى من درجة الوقف القبیح من حيث القبح والشناعة في المعنى، بخلاف المعنى المراد توصيله، ولا علاقة له بالوقف على رؤوس الآي.

8. اللازم: هو الوقف الذي لو وصل ما قبله بما بعده لأوهم وصلهما معنى غير المعنى المراد، ويعرفه علماء الوقف والابتداء بقولهم: " هو ما لو وصل طرفاه لأوهم معنى غير المراد"⁵.

1- ينظر: ابن الأبياري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 249.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص: 326.

3- ينظر: ص: 42 - 43 من هذا البحث.

4- أبو الحسن الصفاقسي، تنبيه الغافلين، ص: 131.

5- ابن أوس، كتاب الوقف والابتداء، ص: 67.

9. المطلق: وهو الوقف الذي يحسن الابتداء بما بعده مثل المبتدأ من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ

يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴿[الشورى: 13]، والفعل المستأنف مثل قوله تعالى: (سَيَقُولُ) من قوله تعالى ﴿* سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: 142].

10. المرخص ضرورة:

يعرفه بعضهم بأنه: "ما لا يستغني ما بعده عما قبله إلا أن انقطاع النفس لطول الكلام يرخص الوقف دون العود لوضوح ما بعده"¹. معناه إذا انقطع النفس ولم يستطع القارئ مواصلة القراءة يتوقف ويجوز له أن يواصل القراءة حيث وقف من دون ربط الكلام قبل الوقف بما بعده بإعادة القراءة، وهذا لوضوح الكلام. ومثاله الوقف على قولته تعالى: (وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) ﴿ من قوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: 22]، فقوله تعالى: (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) لا يستغني عما قبله، لأن قوله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) (نعت لـ (ربكم))، إلا أن وضوح المعنى جوز الابتداء به، ذلك أن المراد مفهوم أما ما لا يجوز الوقف عليه فهو الذي معناه قبيح².

11. الجائز: وقد جمع مساعد الطيَّار تعريفات الوقف الجائز عند علماء الوقف والابتداء،

فذكر تعريف السجاوندي له، وذكر أن تعريفه غير واضح عند الأنصاري والأشموني. فالوقف الجائز عند السجاوندي هو "ما يجوز فيه الوصل والفصل، لتجاذب الموجبين من الطرفين"³. معناه يجوز وصل الكلام كما يجوز الوقف، ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [البقرة: 4]،

1- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- السيوطي، الإتيان، ص : 128.

من قوله تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَأْخِرُونَ هُمْ يُوقِنُونَ﴾^٤
 ،لأنَّ واو العطف يقتضي الوصل، وتقديم المفعول على الفعل يقتضي الوقف، والتقدير:
 ويوقنون بالآخرة.

والجائز عند الأنصاري والأشموني غير واضح من عبارتهما، إذ قال الأشموني - بعد ذكر التام والكافي -: " والصَّالِح والمفهوم دونهما كالوقف على قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^{٦١} [البقرة: 61]، فهو صالح، فإن قال: (وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ) كان كافياً. فإن بلغ (يَعْتَدُونَ) كان تاماً، فإن بلغ (عِنْدَ رَبِّهِمْ) [البقرة: 62] كان مفهوماً. والجائز ما خرج عن ذلك ولم يقبح".¹

وقال الأشموني: " فأعلاها: الأتم، ثم الأكفى، ثم الأحسن ثم الأصلح"²، ويعبر عنه بالجائز، ولم يعرّف الأصلح ولا الجائز.

12. المجوز:

والمجوز لوجه مثل الوقف على قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^{٨٦} [البقرة: 86]، فوصلها بما بعدها وجه جائز، وهو قوله تعالى: (فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) على معنى الجواب والجزاء لتضمن التّعقيب في الفاء. وفصلها وجه آخر في حالة كون الفعل على الاستئناف.³

13. الشبيه:

جاء مصطلح الشبيه في قول السيوطي في حديثه عن أقسام الوقف: " الوقف في التنزيل على ثمانية أضرب: تام، وشبيه به، وناقص، وشبيه به، وحسن، وشبيه به، وقبيح، وشبيه

1- الأشموني، منار الهدى، ص: 7 - 8.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- ينظر: ابن أوس، الوقف والابتداء، ص: 67. وينظر: السيوطي، الإتقان، ص: 128.

به.¹ وقد وضح المقصود بالوقف الشبيه بقوله إنه تفاوت درجات الوقف التام فيصير أتم، وقال إن هذا ما سماه بعضهم شبيها بالتام. وضرب مثلا لذلك بقوله: " وقد يتفاضل التام، نحو قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: 4 - 5] كلاهما تام، إلا أن الأول أتم من الثاني؛ لاشتراك الثاني فيما بعده في معنى الخطاب، بخلاف الأول. وهذا هو الذي سماه بعضهم شبيها بالتام.² ويقصد باشتراك الثاني فيما بعده في معنى الخطاب: هو اشتراك الآيتين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: 5- 6] في معنى الخطاب. بخلاف الوقف على الآية: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾، التي هي خطاب لصفات الله عز وجل. ومن هنا يتضح أن مفهوم مصطلح الوقف الشبيه هو الوقف الأتم بالنسبة للوقف التام. ويمكننا القول إنه الوقف الأكفى بالنسبة للكافي، والوقف الأحسن بالنسبة للحسن، والوقف الأقبح بالنسبة للقبیح. فهو اشتراك في المصطلحات لمعنيات واحدة.

14. المختار: يقول الداني في اختلاف العلماء في أقسام الوقف: "فقال بعضهم: الوقف على أربعة أقسام: تام مختار، وكاف جائز، وصالح مفهوم، وقبيح متروك"³. لقد ذكر هنا مصطلح الوقف المختار مركبا، ومصطلح الوقف التام وهو يعني به الوقف التام. حيث يقول فيموضع آخر: "الوقف على ثلاثة أقسام، قسمان أحدهما مختار وهو التام، والآخر جائز وهو الكافي الذي ليس بتام..."⁴. يتبين من هذا أن الوقف المختار هو الوقف التام الذي سبق أن عرفناه.

1- السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ص: 129.

2- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

3- الداني، المكتفى في الوقف والابتداء، ص: 138.

4- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

15.الصالح: هو الوقف الحسن عند الداني، حيث قال بعد ما ذكر أمثلة الوقف الحسن: " ويسمى هذا الضرب صالحا، إذ لا يتمكن القارئ أن يقف في كل موضع على تام ولا كاف، لأنّ نفسه ينقطع دون ذلك"¹. ويفهم من هذا أنه الوقف المرخص ضرورة.

16.البيان: يعرفه محمود عبد الجليل روزن بعد بحث مفصل في توضيح معنى وقف البيان بقوله: " هو الوقف على كلمة لها تعلق لفظي بما بعدها، للإشارة إلى معنى معتبر قد لا يفهم إلا بالوقف، ثم الاستئناف بما بعدها"². ومثاله قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ①﴾ [الممتحنة:

1]. فالوقف على (وَإِيَّاكُمْ) وقف بيان وهو وقف حسن إلا أنه يبتدأ بما بعده لبيان المعنى، ولئلا يتوهم المتلقي/ السامع أنّ (إياكم) بمعنى التحذير - أي حتى لا يفهم المعنى: إياكم أن تؤمنوا بالله ربكم. - فعند الوصل وعدم الوقف على إياكم ووصلها بما بعدها يغمض المعنى ويقبح لأنه انحرف عن المراد من قوله تعالى.

17.المفهوم: هو الوقف الكافي عند الداني كما سبق أن ذكرنا في تعريف الوقف الكافي عنده. غير أنه ذكر مصطلح المفهوم في قوله: "... لأنّ القارئ قد ينقطع نفسه دون التام والكافي فلا يتهيأ له، وذلك عند طول القصة وتعلق الكلام بعبءه ببعض فيقطع حينئذ على الحسن المفهوم تيسيرا وسعة إذ لا حرج في ذلك ولا ضيق فيه في سنة ولا عربية."³.

نفهم من هذا أنّ الوقف المفهوم هو الوقف الصالح، والوقف المرخص ضرورة، والوقف الحسن أيضا الذي لا يتنافى مع قواعد اللغة العربية.

1- المصدر نفسه، ص: 145.

2- محمود بن خليل روزن، الوقف البيان في القرآن الكريم، ص: 201.

3- الداني، المكتفى، ص: 139.

2. **الممنوع:** يذكر بعض الباحثين¹ أنه الوقف الذي ذكره المتقدمون باسم الوقف القبيح. ولم يظهر في المصطلحات التي أطلع عليها إلا فيما يكون من تعريف ملحق بآخر المصحف. وقد وضعت له علامة (لا) للدلالة عليه في المصحف. ويقول مساعد الطيار إن أول من استعمل هذه العلامة؛ للدلالة على الوقف الممنوع في المصحف هو السجاوندي حين قال: " فنعلّم ما لا وقف عليه بعلامة (لا)"². ويضيف مساعد الطيار قائلاً إن محمد الصادق الهندي قد ذكر الوقف الممنوع في كتابه "كنوز أطراف القرآن"، وجعله على نوعين: الأول علامة (لا)، وهي تدل على أنه لا وقف هنا، وأنّ الوصل أولى، والوقف قبيح وغير جائز. والثاني: علامة (لاه)، وهي علامة على أنه لا يجوز الوقف هنا عند القراء لكنه جائز عند غيرهم من الفقهاء والمحدثين، وفي حالة وقف هنا عندهم للاضطرار فلا داعي إلى إعادة القراءة ووصلها بما سبق كما يفعل القراء في مثل هذه الحالة³.

2.1 رموز الوقف والابتداء وعلامتهما في المصحف:

نظرا لما اكتسبه الوقف في كلام الله عزّ وجلّ من أهميّة بالغة، فقد كان من الصّوري لإتمام الفائدة وضع رموز للقارئ، وإشارات دالة، تبين له مواضع الوقف أيّها الحسن، وأيّها القبيح، فمن المستعسر على القارئ الإمام بجميع تلك المصطلحات ومفاهيمها وحفظها في الذاكرة، وتطبيقها مباشرة أثناء عملية القراءة، فذلك أمر صعب. بل يكاد يكون مستحيلا للقارئ المبتدئ. ولهذا السّبب، وتيسيرا لقراءة كتاب الله، وضع علماء الوقف والابتداء رموزا وعلامات في المصحف، توضح الوقف الحسن من القبيح، الذي يؤدي إلى فساد المعنى. والمطلّع على كتب القراءات وعلوم القرآن التي تعرضت لمبحث الوقف والابتداء بالدراسة، يجد مؤلفيها يعبرون عن الوقف بمصطلحات تبعا لأقسامه المختلفة - كما سبق أن بيّنا - من

1- ينظر: مساعد الطيار، وقوف القرآن وأثرها في التفسير، ص: 376.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- ينظر: المرجع السابق، ص: 376 - 377.

تام وكافٍ، وحسن، وقبيح. "إلاّ السجاوندي (ت 560 هـ) في كتابه وقف القرآن فقد ذكر رموزاً لأقسام الوقف التي ارتضاها. ونسب إليه وضع رموز الوقف"¹.

وتذكر خديجة أحمد مفتي قولاً عن من ألف وجمع في مؤلفه رموز الوقف في القرآن الكريم²، تقول إنّ النّيسابوري (728هـ)، في كتابه "تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان"، قد أورد رموزاً للوقف. كما تذكر -خديجة المفتي- أيضاً أنّ الشّيخ محمد الصادق الهندي قد جمع في كتابه "البرهان في رموز أوقاف القرآن"- الذي فرغ من تأليفه سنة 920هـ- أغلب رموز الوقف³.

وقد أحصى بعضهم رموز الوقف في المؤلفات والمخطوطات⁴، التي تناولت هذا العنصر بالدراسة.

وذكر ابن أوس في كتابه "الوقف والابتداء" أنّ الوقف على ثلاثة أوجه: وقف حسن خفيف، ووقف كافٍ، ووقف تام. ثمّ بيّن علامة كل وقف بقوله: "وأنا مبين ذلك بعلامة... فالحسن الخفيف: علامته الحاء، والكافي: علامته الكاف والتّام علامته الميم..."⁵.

وجاء في رسالة الوقف والابتداء عند النّحاة والقراء، عودة خديجة أحمد مفتي إلى عدد من مخطوطات المصاحف التي طبعت في سنوات مختلفة وأماكن مختلفة، وكذا الكتب التي تطرقت إلى رموز الوقف في المصاحف. فحاولت الباحثة إعطاء صورة عن هذه الرموز التي استخدمت ولا تزال تستخدم حتى يومنا هذا. ونعدد في ما يلي أهم رموز الوقف في المصاحف وكتب الوقف استناداً إلى ما جاء في هذه الدراسة⁶.

1- خديجة أحمد مفتي، الوقف والابتداء عند النّحاة والقراء، ص: 124.

2- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- لم أستطع العودة إلى هذه المصادر لعدم وجودها في المكتبات التي بحثت فيها وعلى الانترنت بشكلها المصور.

4- ينظر المرجع السابق، ص: 126.

5- ابن أوس، كتاب الوقف والابتداء، ص: 111.

6- جاء في رسالة الوقف والابتداء عند النّحاة والقراء لخديجة أحمد مفتي، وهي الدراسة الوحيدة- فيما أمكنني الاطلاع عليه من مصادر ومراجع بخصوص هذا الموضوع- التي قامت بالعودة إلى مخطوطات المصاحف والكتب التي تطرقت لرموز الوقف، وخصتها بالدراسة بشكل معمق ودقيق. وقد تناول أيضاً مساعد الطيار هذا الموضوع غير أنّ عمله مأخوذ من

1 - علامات الإشمام¹ في المصاحف وهي ثلاثة أقسام:

- استخدمت كلمة (إشمام) في بعض المصاحف، ولم يذكر له رمز فيها، وذكرت خديجة مفتي أنّ هذه المصاحف ورد فيها كلمة (إشمام) دلالة على الإشمام في المصحف ورمزا له. وهذه المصاحف هي مرتبة كما يلي:

أ- مصحف كتب بخط الحافظ عثمان المشتهر بقايش زاده، والذي فرغ من كتابته سنة 1299هـ، وطبع لأول مرة سنة 1312هـ. وذلك في قوله تعالى: "مالك لا تأمنا" إشمام [يوسف الآية:11]. ومثله مصحف طبع في أندونيسيا سنة 1974م.

ب - مصاحف استخدمت له رمزا اتفقوا عليه وهو نقطة خالية الوسط بشكل معين (◇) توضع فوق آخر الحرف بهذا الشكل: "مالك لا تأمنا"، وهذا حسب ما أوردته خديجة مفتي، جاء في أغلب المصاحف، منها ما طبع في مصر سنة 1363 هـ، 1381 هـ، 1382 هـ، وفي مكة سنة 1396هـ، وفي دمشق، ومصر سنة 1400هـ، وسنة 1403هـ.

ج - مصاحف لم تشر للإشمام لا بكلمة ولا برمز.

2 - علامات الوقف التي اعتمدها السجائوندي في كتابه "وقوف القرآن"، وقد جعلها خمس مراتب²:

1 - الوقف اللازم ورمزه (م)، وهو الوقف الذي يحصل بتركه شناعة في المعنى.

2 - الوقف المطلق ورمزه (ط).

الدراسات التي سبقته، وقد أشار هنا إلى عودته إلى عمل خديجة مفتي. ينظر: خديجة أحمد مفتي، الوقف والابتداء عند النحاة والقراء، من ص: 125 إلى ص: 132.

1- الإشمام هو حالة من حالات الوقف على آخر الكلم، وهو: " أن تضمّ الشفتين بعد الإسكان، إشارة إلى الضم، وتدع بينهما بعض انفراج ليخرج منه النفس، فيراهما المخاطب مضمومتين، فيعلم أنك أردت -بضمهما- الحركة. فهم يختص بإدراك العين دون الأذن، فلا يدركه الأعمى. قال ابن بري في الدرر اللوامع:

وصفة الإشمام إطباق الشفاه بعد السكون والضيرير لا يراه.

من غير صوت عنده مسموع يكون في المضموم والمرفوع."

- زكريا الأنصاري، الدقائق محكمة في شرح المقدمة شرح للمقدمة الجزرية في علم التجويد، ضبط وتحقيق: زكرياء توناني، ص: 174.

2- ينظر: خديجة أحمد مفتي، الوقف والابتداء عند النحاة والقراء، ص: 126. نقلا عن السجائوندي، مخطوطة وقوف القرآن.

3 - الوقف الجائز ورمزه (ج).

4 - الوقف المجوز لوجه ورمزه (ز).

5 - الوقف المرخص ضرورة، ورمزه (ص).

6 - الوقف أولى ورمزه (ق).

7 - رمز (ك) وهي علامة كذلك، أي إذا اجتمع في الآية كلمتان أو أكثر يوقف عليهما وعلامتهما واحدة، ودليل الوقف فيهما واحد بين علة الوقف، والعلامة في الأولى، ويقول في الثانية كذلك، نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَعْفُ عَنَّا وَقِفِّ وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۗ ﴾ [البقرة: 286].

8 - رمز (لا) علامة تعني: لا وقف عليه، أي لا يصح الوقف هنا عند القراء، لكنه جائز عند الفقهاء والمحدثين. فعلى حد قول خديجة المفتي، عند الفقهاء والمحدثين إذا وقف عند هذا الموضع اضطرارا فلا حاجة إلى إعادة المقطع.

وتذكر خديجة مفتي أن هذه الرموز التي ذكرها السجاوندي في كتابه " وقوف القرآن"، قد اتفق معه النيسابوري عليها، إلا أن هذا الأخير لم يذكر الرمز (ق)، و (ك).

وتفسر خديجة مفتي ذلك بقولها إن الرمز (ق) هو ضمن الوقف الجائز، أما الرمز (ك) فإنه ليس علامة قائمة بذاتها، وإنما هو اختصار لتكرير الرمز الواحد أكثر من مرة. وتضيف خديجة مفتي رموزا ذكرها محمد صادق الهندي؛ بالإضافة إلى ذكره للرموز السابقة، وهي كما يلي¹:

9- رمز (قف): وهو فعلاًمر بالوقف، ولكن إن لم يقف القارئ على الكلمة التي وضع فوقها هذا الرمز فلا بأس بذلك. وهذا الرمز هو في معناه يوافق الوقف الجائز الذي يرمز له بـ (ج).

10- رمز (صلى): هو منحوت من الجملة: الوصل أولى، ويعني الوصل أولى مع جواز الوقف.

11- رمز (صل): وهو فعل أمر بالوصل، كون الوصل أحسن من الوقف.

1- ينظر: خديجة أحمد مفتي، الوقف والابتداء عند النحاة والقراء، ص: 130.

12-رمز (سم): هو علامة الوقف السماعي، وضعه السّجّاوندي وقال: " إن لم يقف فلا ضرر عليه، وإن وقف فلا بأس.

13-رمز (لا سم): هو علامة عدم الوقف لكونه قياسيا وليس سماعيا.

14-رمز (سكته): وهي علامة السكوت بشرط كون السكوت أقرب إلى الوصل لا إلى الوقف، ولا ينقطع النفس. وفي بعض المصاحف يرمزون للسكته بـ (س).

15- رمز (وقفه): وهو علامة السكته الطويلة، بمعنى أن تكون السكته في موضع أقرب إلى الوقف لا إلى الوصل، ولا ينقطع النَّفس. وقد بينا في المبحث الثّاني من هذا الفصل الفرق بين الوقف والسكت وهو فارق في الزمن فقط.

16- الرّموز (. . ، مع ، معانقة): هذه ثلاثة رموز لوقف المعانقة. قال فيه ابن الجزري إنّه الوقف الذي " يجيزون فيه الوقف على حرف، ويجيز آخرون الوقف على آخر، ويكون بين الوقفين مراقبة على التّضاد، فإذا وقف على أحدهما امتنع الوقف على الآخر... وأول من نبه على المراقبة في الوقف الإمام الأستاذ أبو الفضل الرّازي أخذه من المراقبة في العروض"¹. وسمي وقف المراقبة لأنّ القارئ حال قراءته يراقب الموضع الذي اجتمعت فيه هاتان الكلمتان ليقف على إحداهما. أو لأنّ السّامع يراقب القارئ ويلاحظه حين قراءته ليعرف الكلمة التي يقف عليها، ليرشده إلى الوقف على إحدى الكلمتين إذا وقف عليهما معا، وهذا غالبا ما يكون أثناء تعليم القراءة.

إضافة إلى هذه الرموز التي ذكرها هؤلاء العلماء يوجد رموز وردت في المصاحف الحديثة هي:

17 - رمز (قلى) وهو منحوت من جملة: الوقف أولى.

18 - ورمز (ص) أو (صه): وهو رمز الوقف في المصاحف برواية ورش عند المغاربة.

1- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص: 237 - 238.

ونوضح في الجدول التالي الوقف ودلالة رمزه في المصحف¹:

الوقف	رمزه في المصحف:
اللازم	(هـ) في غير رواية ورش.
المطلق	(ط)
الجائز	(ج)
المجوز	(ز)
المرخص	(ص)
الوقف أولى	(ق)، (قلى)
الوصل أولى	(صل)، (صلى)
الممنوع	(لا)
الوقف عند المغاربة	(ص) أو صه
السكت	(س)
وقف المعانقة	∴

نلاحظ هنا أنه كما ركز علماء الوقف والابتداء اهتمامهم بالوقف دون الابتداء، يتضح التركيز على رموز الوقف أكثر، فمعرفة مواضعه وكيفية الوقوف عليها تحدّد موضع الابتداء وكيفيته. وأهم مظاهر الابتداء تظهر في مواضع همزة الوصل وضوابطها وإذا حاولنا ربط هذا برموز الابتداء، فيمكننا القول إنها ما يتعلق بضوابط رسم المصحف.

3.1. قوانين علم الوقف والابتداء وضوابطه:

1- تتبعت الوقف ورموزه في مصحفين الأول برواية ورش والآخر برواية حفص، وأضفت الرموز التي نص عليها المؤلفون فيه من المراجع التي تطرقت لهذا الموضوع بعودتها إلى المصادر والمخطوطات التي لم أستطع العودة إليها. ينظر: خديجة أحمد مفتي، الوقف والابتداء عند النحاة والقراء، ص: 126 - 141.

لعلم الوقف والابتداء قوانين ضابطة، تمكن القارئ من التوقف الحسن والابتداء الحسن - أثناء عملية القراءة لكتاب الله عزّ وجلّ-، الذين يتوافقان مع نظام اللّغة العربية وحسن الأداء، بهدف تحقيق عملية التّواصل، فقراءة القرآن عملية تواصل يقوم بها القارئ باعتباره مستمعا أولاً ومتكلما في الآن نفسه، وتلاوته بشكل سليم تؤثر في ذهن السّامع المنصت. وتلاوة القرآن الكريم تلاوة حسنة واجب محتم على كل مسلم قادر على طلب العلم. لذا نحاول في هذا الجزء معرفة ضوابط علم الوقف والابتداء وقوانينه التي يجب على القارئ معرفتها وتطبيقها عمليا أثناء تلاوته لكتاب الله عزّ وجلّ.

فالقوانين التي تحكم الوقف في القرآن هي قوانين وقواعد اللّغة العربية، وقد سبق ذكر قول العلماء في ذلك (لا يجوز الوقف على المبتدأ دون الخبر ولا على الصّفة دون الموصوف ولا على البديل دون المبدل منه،...). فالوقف على مفصل الكلام يكون باحترام نظام اللّغة العربيّة، من ظاهرة الإسناد إلى العلاقات التي تربط التابع بالمتبوع...

وأما عن ضوابط الوقف والابتداء فهي المواضيع التي يمكن للوقف عندها أن يكون جائزا ويحسن السّكوت عليه، وكذا المواضيع التي يجوز الابتداء منها. وهي هنا تختلف باختلاف أقسام الوقف والابتداء. وفي هذا المقام ورد عند بعض الباحثين ضوابط الوقف كل حسب أقسام الوقف السّالفة الذّكر. فنجد ضوابط الوقف التّام، وضوابط الوقف الكافي وكذا ضوابط الوقف الحسن، وضوابط الوقف القبيح، وفيما يلي نذكر هذه الضّوابط بحسب أقسام الوقف مع ذكر أمثلة توضح ذلك:

1. ضوابط الوقف:

1.1 - ضوابط الوقف التّام:

ذكر الأشموني أنه " لا يشترط في الوقف التام أن يكون آخر القصة بل أن يستغنى عما بعده ... كقوله تعالى- ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾^١ - فإنه مبتدأ وخبر، فهو مستغن عن غيره وإن كانت الآيات إلى آخر السورة قصة واحدة.¹ ولقد تتبع بعضهم ضوابط الوقف التام من خلال العلامات التي تدلّ عليه في المصحف. وحاولوا توضيحها استنتاجا من المثال، فكانت مقتضيات وضوابط الوقف التام كما يلي²:

1 - الابتداء بعده بالاستفهام ملفوظا به أو مقدرًا، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: 70].

2 - الابتداء بعده بياء النداء، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 20].

3 - الابتداء بعده بفعل الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأنعام: 132-131].

4 - الابتداء بعده بالشرط، نحو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: 123]. ونحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الأنعام: 6].

1- الأشموني، منار الهدى، هامش ص: 7.
2- ينظر: المصدر نفسه، ص: 11. وينظر: عبد الكريم إبراهيم عوض صالح، الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن، ص: 145 - 146.

5 - الفصل بين آية عذاب وآية رحمة؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾

فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ [البقرة: 24 - 25].

6 - العدول عن الإخبار إلى الحكاية، نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ

يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلَٰوِيَّ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ [الأعراف: 159 - 160].

7 - انتهاء الاستثناء، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ

وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فُؤَادَهُمْ لِئَلَّا يُرْتَابُوا بِالَّذِينَ أَلَّوْا أَعْيُنُهُمْ فُلُوكًا مَدِيدًا ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ [البقرة: 160 - 161].

8 - انتهاء القول، نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧﴾ قَالُوا نَعْبُدُ

أَصْنَامًا فَنُظِّلُ لَهَا عَافِيَةً ﴿٨﴾ [الشعراء: 70 - 71].

9- الابتداء بعده بالنفي أو النهي، نحو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ * لَيْسَ إِلِيرَ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ
قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْإِيرَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي
الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي
الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴿١٧٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿البقرة: 176-
177﴾ ، ونحو قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ
ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ بِبَعْضِ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٧٨﴾ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي
وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٧٩﴾ لَا يَغْرَنَّاكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ
﴿آل عمران 195 - 196﴾.

10- الفصل بين الصفتين المتضادتين، نحو قوله تعالى: ﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا

بَيَّاتٍ رَبَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿١٨١﴾ ﴿الجاثية: 11﴾.

11- انقطاع الكلام على موضوع معين للانتقال إلى غيره، كالوقف على قوله تعالى: ﴿

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ
تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴿البقرة: 216﴾، لأنه نهاية

الكلام على أحكام الطلاق، وما بعده بدء في ذكر أحكام أخرى.

2.1. ضوابط الوقف الكافي: يحدد بعضهم ضوابط الوقف الكافي كالاتي¹:

1- أن يكون ما بعده مبتدأ؛ نحو قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا
وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا
تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ
يُنِيبُ ﴾ [الشورى: 13].

2- أن يكون ما بعده فعلا مستأنفا مع السين أو سوف على التّهديد؛ نحو قوله تعالى: ﴿
وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكَبُ شَهَادَتُهُمْ
وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: 19]. ونحو قوله تعالى: ﴿ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي
عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ
﴾ [هود: 93].

3- أن يكون ما بعده فعلا مستأنفا بغير السين أو سوف، نحو قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي
لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: 55].

4- أو مفعولا لفعل محذوف، نحو قوله تعالى: ﴿ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
[الروم: 5 - 6]. أي: وعد الله وعدا فلما حذف الفعل أضيف المصدر إلى الفاعل.

1- ينظر: عبد الكريم إبراهيم عوض صالح، الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن، ص: 173 - 174.

5- أن يكون ما بعده استفهاما، نحو قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُؤْمِنِينَ فَتَيْنَ
وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَنُتَجِدْ لَهُ سَبِيلًا
﴿النساء: 88﴾.

6- كذلك إذا كان ألف الاستفهام مقدرًا نحو قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ
أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾
﴿الأنفال: 67﴾.

7- أو وقع بعده حرف (إن) المكسورة الهمزة الساكنة النون نحو قوله تعالى: ﴿أَمَنْ هَذَا
الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكُفْرَ الْإِلَافِي غُرُورٌ ﴿٢٠﴾﴾ [الملك: 20].
8- أو وقع بعده (ألا) نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ
عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: 18].

9- أو وقع بعده (بل) نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ
فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة: 88]، كما قد يكون الوقف حسنا قبل (بل).

3.1. ضوابط الوقف الحسن:

لقد تطرقنا سابقا إلى تعريف الوقف الحسن بأنه الوقف الذي يحسن الوقف عليه، فهو
الكلام المفيد فائدة يحسن السكوت عليها، ولكن لا يحسن الابتداء بما بعده؛ لتعلقه به لفظًا
ومعنى. ومن هذا التعريف تتضح ضوابط الوقف الحسن. كما أن للوقف الحسن قاعدة في
القراءة هي إعادة المقطع في حالة انقطاع النفس عند الوقف الحسن، وإعادة القراءة تكون من
الموضع الذي يضمن ترابطا في المعنى واللفظ. وكذلك هو الأمر في حالة انقطاع النفس عند
الوقف القبيح.

2. ضوابط الابتداء:

الابتداء ملازم للوقف في أحكامه، فإذا قال القراء لا يجوز الوقف على كذا، فمعنى هذا أنه لا يجوز الابتداء بما بعده. وإذا تم الكلام عند الوقف على كلمة جاز الابتداء بما بعدها. ويتميز الابتداء بأنه لا يكون إلا اختيارياً، فلا توجد ضرورة تدعو إليه. من هنا لا يكون الابتداء إلا بما هو مستقل بمعناه، موفٍ بالمقصود، وله أقسام أربعة تماماً كالوقف - وقد سبق أن ذكرنا هذا في أقسام الابتداء -، فمنه التّام والكافي، والحسن والقبيح أيضاً، وتتفاوت فيه درجات التّمام والكفاية والحسن والقبح.

سبق وأن تبين أن الوقف على كلمة إما اختياري أو اضطراري، ولا يكون إلا بضوابط، فإن كان تاماً جاز الوقف على الكلمة والابتداء بما بعدها. وإن كان كافياً فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده.

وهنا يكون من ضوابط الابتداء هو الابتداء بما بعد الكلمة التي يحسن الوقف عليها، لتتمام المعنى، أو لتتمام ركني الجملة من مسند ومسند إليه، وتابع ومتبوع له، فلا يتم الفصل بينهما. أما الوقف الحسن فهو ما يحسن الوقف عليه؛ ولا يحسن الابتداء بما بعده وهنا يكون الابتداء قبيحاً، وفي هذه الحالة ضابط الابتداء هو إعادة القراءة حيث يكون المعنى تاماً وكذا البناء النحوي للكلام.

أما الوقف القبيح فهو ما لا يحسن الوقف عليه أصلاً، فما بالنا بالابتداء به ففي هذه الحالة لا بد من مواصلة القراءة ولا يجوز الوقف إلا حيث يتم المعنى المقصود ويحسن الوقف على الكلمة التي يتم الوقف عليها، وهنا ضابط الابتداء يكون أيضاً في حالة انقطاع نفس القارئ ووقفه على ما لا يجوز الوقف عليه لفساد معناه؛ أن يعيد القراءة والابتداء حيث يحسن الابتداء به.

ومن أمثلة الابتداء بما لا يحسن الابتداء به¹ قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّصِيرِينَ ﴿٢٢﴾ [آل عمران: 22]، فلا يجوز
للقارئ أن يبتدئ: (الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّصِيرِينَ)، لأن الابتداء يختاره القارئ بهذا
الجار والمجرور لضياح المعنى. ومثال آخر للابتداء الخاطئ، مثل الذي يقف عند كلمة:
(نَفْسٍ) من قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا
كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ [آل عمران، الآية 25]، فالابتداء هنا من كلمة
(نَفْسٍ) غير صحيح. "إذ الوقف لا مانع منه، لأنه ربما يكون اضطرارا لقطع نَفْسٍ وغيره.
أما الابتداء فلكونه يختار اختيارا، فلا يكون إلا من موضع يفيد معنى"². فلا يكون
الابتداء من (نَفْسٍ) ولا من (كُلُّ)، وإنما الابتداء يكون من (وُفِّيَتْ) حتى يكون المعنى
واضحا. وإن اضطر القارئ إلى الوقف في موضع لا يجوز الابتداء بما بعده فعليه إعادة القراءة
من الموضع الذي يجوز الابتداء به ويصله بما بعده حتى يتم المعنى.

1- ينظر: رسم الختم الحسن عمر، الوقف وأثره في المعنى، مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية
(1)، المملكة العربية السعودية، 1417هـ - 1997م، م9، ص: 118.
2- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

1. علاقة علم الوقف والابتداء بالعلوم العربية والعلوم الإسلامية:

يرتبط علم الوقف والابتداء بعلوم كثيرة، وهذا راجع إلتعلقه بالقرآن؛ وكيفية قراءته؛ وأداء القراءة بشكل سليم ومؤثر في ذهن السّامع. وبما أنّ القرآن نزل بلسان عربي مبين، فهذا يقتضي ارتباط علم الوقف والابتداء بعلوم العربية من نحو وبلاغة من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ ارتباطه بالمعنى يفتح المجال على علوم إسلامية: مثل علم التفسير وعلم القراءات، وعلم الفقه في مسائل ترتبط بالفقه. إذ يقول ابن مجاهد في هذا الموضوع: "لا يقوم بالتّمام في الوقف إلاّ نحوي، عالم بالقراءات، عالم بالتّفسير والقصص وتخليص بعضها من بعض، عالم باللّغة التي نزل بها القرآن الكريم وكذا علم الفقه"¹.

ويذكر علماء العربية أنّ "علم الوقف والابتداء علم مهم، به تعرف معاني القرآن الكريم من خلال معرفة مواطن الوقف والابتداء بما يتفق مع وجوه التّفسير، والقراءة، وصحة اللّغة، واستقامة المعنى، فحينئذ يتحقق لطالب العلم فهم كتاب الله تعالى، وبذلك تعرف مقاصده، ويظهر إعجازه، وتتضح معانيه، وتستعد القوّة المفكرة للغوص في بحر معانيه، وعلى درر فوائده"².

ونحاول في ما يلي بيان هذه الصّلة بين علم الوقف والابتداء والعلوم التي ترتبط به.

1. الوقف ظاهرة صوتيّة:

قبل أن نتطرق إلى علاقة الوقف والابتداء بالعلوم العربية والإسلامية، لا يجب أن ننسى أنّ الوقف أثناء الكلام هو ظاهرة صوتيّة في اللّغة العربية، فهي - قبل أن تدرس في البحوث والدراسات-؛ ظاهرة لسانية يقوم بها المتكلم بلسان عربي أثناء عملية الكلام بطريقة عفوية. وفيما يلي نتحدث إجمالاً وباختصار عن تأدية ظاهرة الوقف أثناء عملية التّكلم، فكيف هي في الكلام العربي؟، وما هي وجوه تأديتها؟.

1- النّحاس، القطع والانتشاف، ص: 32.

2- السّجاوندي، علل الوقوف، ص: 13.

ذكر علماء اللّغة وجوه الوقف في اللّغة العربية، وأقصى ما أحصوه اثنا عشر وجها¹ هي: الإسكان، والرّوم، والإشمام، والإبدال: إبدال الألف، وإبدال تاء التّأنيث الملحقة بالاسم هاء. وزيادة الألف، وإحاق هاء السّكت، وإثبات الياء وحذفها، وإثبات الواو وحذفها، وإبدال الهمزة، والتّضعيف، ونقل الحركة. فما يدخل في الظواهر الصّوتية، هو السّكون والرّوم والإشمام. وما يرتبط بعلم الصّرف هو الإبدال وزيادة الألف، وهاء السّكت، وإثبات الياء والواو أو حذفهما، وإبدال الهمزة، والتّضعيف، ونقل الحركة. وفيما يلي تعريف لهذه الظواهر اصطلاحاً وباختصار من باب التذكّرة. وبيان لمظاهر الوقف في الكلام العربي. وعلاقة هذا الأخير بالعلوم العربية، ثم علاقته بالعلوم الإسلامية، لأن القرآن الكريم هو النّواة التي نشأت عنها هذه العلوم وتقاطع بعضها مع بعض في نقاط يكمل بعضها بعضاً في نظام اللّغة العربية.

1- الإسكان أو التّسكين أو السّكون:

هو وجه من وجوه الوقف - عند قراءة القرآن الكريم- في فن التّجويد، وهو عند النّحاة السّكون المحض، وقد وصفوه بالسّكون الصّريح. وهو السّكون الخالص الذي لا تشوبه أيّة ملابس من روم أو إشمام، أو تضعيف أو نقل. وجاء في النّشر أنّ السّكون: "هو الأصل في الوقف على الكلمة المتحركة وصلاً، لأنّ معنى الوقف التّرك والقطع، مأخوذ من قوله: وقفت عن كلام فلان: إذا تركته وقطعته، ولأنّ الوقف أيضاً ضدّ الابتداء، فكما يختصّ الابتداء بالحركة يختصّ الوقف بالسّكون، فهو عبارة عن تفرّغ الحرف من الحركات الثلاث"². وهو أكثر [مظاهر] الوقف دوراناً على لسان العرب، وتعاملاً مع الكلم"³. وهو الأصل لأنّ الغرض من الوقف هو الاستراحة، "ولأنّ الواقف في الغالب يطلب الاستراحة، وسلب الحركة أبلغ في تحصيل الرّاحة"⁴، فهو ظاهرة صوتية طبيعية.

1- ينظر: الحربي محمد خليل مراد، الوقف في اللّغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2006م، ص: 21.

2- ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر، ج2، ص:

3- المرجع السابق، ص: 24. (بتصرف).

4- الضباع علي محمد، الإضاءة في بيان أصول القراءة،

الرّوم: الرّوم هو النّطق بجزء من حركة الحرف الموقوف عليه، إذ يعرفه بعضهم بأنّه: " النّطق ببعض حركة الحرف الأخير في الكلمة الموقوف عليها¹. فالرّوم هو أن تروم التّحريك، أي تروم الحركة ولا تتمها، بل تختلسها اختلاسا، تنبئها على الأصل من الضّم أو الكسر. أي أن تقوم بالنّطق بالحركة الخفيفة بحيث لا يشعر به الأصم؛ حرصا على بيان الحركة التي تحرك بها آخر الكلمة في الوصل، أو هو إخفاء الصّوت بالحركة، أو النّطق ببعض الحركة، قال ابن الجزري: "وحاذر الوقف بكل الحركة إلا إذا رمت فبعض حركة"².

وسمي رَومًا، لأن المتكلم يروم الحركة ويريدها ويطلبها، حين لم يسقطها. ويدرك الرّوم الأعمى الصّحيح السّمع إذا استمع، لأن في آخر الكلمة صوتا خفيفا. ويكون الرّوم في المواضع والحالات الآتية³:

- 1- المعرب بالحركات الثلاث: الرّفْع، والنّصْب، والجرّ.
- 2- المبني على العلامات الثلاث: الضّم، والفتح، والكسر.
- 3- السّاكن الآخر، وقبل آخره حرف متحرك، ويزول هذا السّاكن في الوصل، نحو (يسري، والقاضي)، فيجوز حركة ما قبل السّاكن، وهو الكسرة، لأنّ الياء قبلها تزول في الوصل، نحو: يسري القوم ليلا، إذ تلفظ: (يسر القوم ليلا) إذ تحذف الياء لالتقاء السّاكنين.
- 4- المفتوح: وهو نوعان: أ/ منوّن، نحو: (رأيتُ زيدًا) فلا خلاف أنّه لا يجوز فيه الرّوم.

ب/ المفتوح غير المنون نحو: (رأيت الرّجلوأحمد)، فالرّجل وأحمد منصوبان غير منونين، الأول بسبب التّعريف والثّاني بسبب منعه من الصّرف. فلا يجوز روم الفتح فيهما على مذهب الفراء، لأنّ الفتح لا جزء له لخفته، وجزؤه كلّهُ، وعند سيبويه وغيره من النّحاة يجوز الرّوم فيه كما في المرفوع والمجرور.

1- الحصري محمود خليل، أحكام قراءة القرآن الكريم، ضبط نصّه وعلّق عليه محمّد طلحة بلال منيار، المكتبة المكيّة، مكة المكرمة -السعودية، ط1، 1416هـ -1995م، ص: 233.

2- زكريا الأنصاري، الذّقائق المحكّمة في شرح المقدمة، ص: 172.

3- ينظر: الاسترادي رضي الدين، شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهد لعبد القادر البغدادي، ج2، ص: 275.

ولا يتحقق الرّوم في المواضع الآتية¹:

- 1- ميم الجمع، لأنّها في حال الوصل تتحرك بحركة مجانسة لحركة الواو أو الياء المديتين، اللّتين تحذفان عند الوصل، وعند الوقف تسكّن الميم والرّوم محله المتحرك.
- 2- هاء التّأنيث المبدلة من التّاء في الوقف، نحو: (فاطمه) لا يتحقق فيها الرّوم، ولأنّ المراد بالرّوم بيان الحركة للحرف الموقوف عليه، ولا حركة للهاء في الأصل، وإنّما الحركة للّتاء.

الحركة العارضة: وهي الحركة الحاصلة بسبب التقاء الساكنين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

أَسْتَهْزَيْتَ بُرْسِلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ [10]

الأنعام: 10]، فقد كُسِرَتِ الدّالّمن (وَلَقَدْ) فلا تزام أو تطلب هذه الحركة في حال الوقف على

مثل هذه الألفاظ، لأن الرّوم يكون في الحركة المقدّرة في الوقف، والحركة العارضة للساكنين لا تكون إلا في الوصل.

2- الإشمام:

عرّف كثير من النّحاة الإشمام، وخلاصة تعريفاتهم أن الإشمام هو عملية ضم الشّفتين بعد تسكين الحرف الأخير مباشرة، ويترك المتكلم بين شفتيه فرجة ليخرج منها النّفس، فيراهما المخاطب مضمومتين، فيعلم أنّ المتكلم أراد بذلك الحركة.

يقول ابن الجزري: "..... وأشّم

إشارة بالضمّ: في رفع وضم"².

والإشمام يختص بإدراك العين دون الأذن، فلا يدركه الأعمى، بخلاف الرّوم³. "واشتقاقه

من « الشّم »، كأنك أشممت الحرف رائحة الحركة، بأن هيأت العضو للنطق بها"⁴.

1- ينظر: المصدر السابق، ج2، ص: 276 - 278.

2- زكريا الأنصاري، الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، ص: 172.

3- يقول ابن بري في الدرر اللوامع: وصفة الإشمام إطباق الشّفاة

بعد السكون والضّير لا يراه.

4- زكريا الأنصاري، الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، ص: 174.

وفائدة الإشمام بيان " الفرق بين ما هو متحرك في الوصل فسكن للوقف، وبين ما هو ساكن في كل حال"¹.

ومحل الإشمام في الكلام العربي يكون في المرفوع والمضموم²، على قول ابن الجزري الذي أوردناه سابقاً: (وأشم ... إشارة بالضم في رفع وضم)، حيث أن ضم الشفتين بعد إسكان الحرف، يبين أن الحركة كانت ضمة، لأن المخاطب حين يراك مضموم الشفتين يعلم أنك أردت بضمهما تصوير الضمة، فالإشمام لا يكون إلا في المضموم والمرفوع، ولا يكون في حالتي الفتح والكسر.

يقول ابن بري في الدرر اللوامع:

"وصفة الإشمام إطباق الشفاه

بعد السكون والضيرير لا يراه.

من غير صوت عنده مسموع

يكون في المضموم والمرفوع"³

أما مواضع الإشمام فهي⁴:

1- الإشمام مثل الروم لا يدخل في هاء التأنيث التي لم ترسم تاء، تشبيهاً لها بألف

التأنيث.

لا يتحقق الإشمام في ميم الجمع، نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ

جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل

عمران: 173]. لأن الغرض من الإشمام وكذا الروم بيان حركة الموقوف عليه حالة الوصل.

1- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- ينظر: محمد خليل الحربي، الوقف في اللغة العربية، ص: 31.

3- ينظر: زكريا الأنصاري، الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، ص: 174. (الهامش)

4- ينظر: الرضي الاستريادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج2، ص: 275-276. وينظر: الأنصاري، الدقائق المحكمة،

ص: 174.

وخلاصة القول إنّ السّكون المحض حالة من حالات الوقف على أواخر الكلمات وهو موجود في الكلام العربي العامّي أو العلمي فهو ظاهرة طبيعية، تكون بعفوية أثناء عملية الكلام، وكذلك الأمر بالنسبة للرّوم والإشمام في اللّهجات العربية القديمة، غير أنّ الوقف بالسّكون هو الحالة المتبقية من حالات الوقف في الكلام العربي، في حين أنّ الرّوم والإشمام " لم يعودا في الوقت الحاضر وجها من الوجوه العربية، لأنّ اللّهجات التي كانت ترور وتشمّ قد اندثرت وماتت"¹. ولم يبق إلاّ أن الوقف بالرّوم والإشمام في زمننا هذا وسيلة تعليمية فيالقرءاتالقرآنية "لهدي النّاشئين إلى حركات الإعراب في أواخر الآيات"². ويمكننا أن نصنّف هذه الظواهر الثّلاث التي تمثّل حالات الوقف في الدّراسات اللّسانية الصّوتية لأنّها ترتبط بالحركات.

2. علاقة الوقف بعلم الصّرف:

لعلم الوقف والابتداء في القرآن الكريم علاقة بعلم الصّرف، إذ تظهر هذه الصّلة في نقاط تتعلق بالوقف على أواخر الكلمات، واختلاف هذه الظاهرة أي ظاهرة الوقف بحسب أنواع الكلمات، فالوقف على الصّحيح غير الوقف على المعتل.

كما تظهر العلاقة بينهما في بعض حالات الإبدال، مثل إبدال الألف في الاسم المنون المنصوب، والاسم المقصور والمنقوص، وهنا تختلف هذه الظواهر باختلاف الظواهر الصّرفية للكلمات الموقوفة عليها. كما توجد حالات أخرى لها علاقة بمباحث علم الصّرف مثل إثبات الياء وحذفها وزيادة الألف، وإبدال الهمزة، والتّضعيف، ونقل الحركة. وسنكتفي بذكر أمثلة عن هذه الظواهر في علاقتها مع الوقف على أواخر الكلمات من باب التّدكرة وربط الوقف بمباحث علم الصّرف.

1- إبدال الألف:

يتم الوقف على الألف، وإبداله بما قبله في المواضع الآتية³:

1- محمد خليل الحربي، الوقف في اللّغة العربية، ص: 32.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- ينظر: كتب علم الصّرف، مثل: الرضى الاسترياذي، شرح شافية ابن الحاجب، ج2، ص: 279.

أ- الاسم المنصوب المنون: فأبدل الألف من التّونين في نحو: (أكرمت زيدًا)، فعند الوقف نقول (أكرمتُ زيدًا).

ب- الاسم المقصور: وهو كل اسم معتل اللّام وقعت واوه أو ياءه بعد حرف مفتوح، وله نظير من الصّحيح، نحو (جوى، وهدى، وعمى، وعصا ورحى). ويوقف على هذه الأسماء مما كان منونا، وألفه منقلبة عن واو أو ياء هي لام الكلمة بالألف نحو: (عصا و هدى).

ج- النّون في (إذن): فقد ابدلت نون (إذن) ألفا تشبيها بالتّونين اللاحق للمتمكن الأمكن، والمقصور.

د- نون (اضربن) ونحوه، مما آخره نون التّوكيد الخفيفة المفتوح ما قبلها، فتبدل ألفا لأنّ الألف لا يستثقل بل تخفّ به الكلمة، أمّا إذا كان ما قبلها مضموما نحو (اضربن) في خطاب الجمع المذكور، أو مكسورا نحو (اضربن) في خطاب المؤنثة، فلا يقلب تنوين المرفوع واوا، والمجرور ياء، كما قلب تنوين المنصوب ألفا، لأداء ذلك إلى التّقل في موضع الاستخفاف.

2- إبدال تاء التّأنيث الملحقة بالاسم هاء:

متى ما كان الاسم تاء التّأنيث مثل (طلحة) وفاطمة. فإن الوقف عليه يكون بالهاء، وذلك في الرّفْع والنّصب والجرّ. والذي يدلّ على أنّ الهاء بدل من التّاء، أنّها تصير تاءا في الوصل، إذ الوصل ترجع فيه المفردات إلى أصلها. وقد أبدلت التّاء هاء حتى لا تشبه التّاء الأصلية نحو: (بيت أو أبيات)، والملحقة نحو (بيت وأخت) مع إرادة الفرق بينهما، وبين التّاء اللاحقة للفعل نحو: قامت وقعدت¹.

3- زيادة الألف: وردت زيادة الألف في الضّمير (أنا) واسم الفعل (حيهلا) وما الاستفهامية.

فالألف في (أنا) تثبت حال الوقف، وتسقط حال الوصل. وهنا نمثّل لهذه الحالة لأنّ الاستطراد في هذا الموضوع لا يخدم هذا البحث وإنما نحن هنا بصدد الإشارة فقط إلى الحالات التي يحدث فيها الوقف على آخر الكلمة تغييرا في بنيتها وهنا يكون مجال علم الصّرف.

1- ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4/166. وينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج81/9.

4- إثبات الياء وحذفها:

تكون الياء المتطرّفة في الكلام العربي على ثماني حالات:

1- الياء التي في الاسم المنقوص: وتثبت الياء في المنقوص المنصوب غير المنوّن، نحو: (رأيت القاضي) و(جواري) إذ لا يجوز حذف يائه، بل يجب إسكانه في الوقف¹.
فيقال: (رأيتُ القاضي وجواري)، لأن الياء لما تحركت في الوصل صارت قوية كالحروف الصّحيحة، فأجريت مجراها، لأنّها قويت بالحركة، بخلاف الساكنة فإنّها ضعفت بالسّكون.
أما المنقوص ذو اللّام في حالتي الرّفْع والجر؛ فيوقف فيه على الياء، فيقال: (جاء القاضي) و (مررت بالقاضي).

وفي حالة كونه منكراً منصوباً، فيوقف عليه بالألف، فيقال: (رأيتُ قاضيًا) وبحذفها في حالتي الرّفْع والجرّ، فيقول: (هذا قاضي) و (سلمت على غازٍ) فذهبت في الوقف كما ذهبت في الوصل. فبعض العرب يحذف الياء في الوقف، لكونه موضع استراحة، والياء المكسور ما قبلها ثقيلة².

2- ياء المتكلم، في نحو: (جاء غلامي) و (غلامي) و (رأيتُ غلامي) و (إني قادم) بفتح ياء الضمير في جميعها، وتسكن يائها للوقف، أو تلحقها هاء السّكت لتبيّن ما قبلها، فنقول: (هذا غلامي)³.

3- ياء المتكلم الساكنة في الفعل: إن حذف هذه الياء حسن، لأنّ قبلها نون عماد مشعرا بها، كقوله تعالى: ﴿ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾¹⁵ ، وقوله تعالى: ﴿ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾¹⁶ [الفجر: 15-16].

4- الياء في المنقوص المنادى، نحو: (يا قاضي) وفيها مذهبان:

الأول: إثباتها، فتقول: (يا قاضي).

1- ينظر: الرّضي الاسترّبادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج2، ص: 300.

2- سيويه، الكتاب، ج4، ص: 178. وينظر: الرضيا لاسترّبادي، شرحشافيةابنالحاجب، ج2، ص: 300.

3- ينظر: الرّضيلاسترّبادي، شرحشافيةابنالحاجب، ج2، ص: 300.

الثاني: حذفها، فتقول: (يا قاض)، وهو الأولى، لأن المنادى موضع التّخفيف.

5- الياء الساكنة في الفعل الناقص، نحو: (يرمي) لا تحذف وقفاً، لأنّه لم يثبت حذفها في

الوصل، لأنّها لو حذفت لالتبست بالمجزوم، إلاّ أنّه يجوز حذفها في الفواصل القرآنية،

والقوافي، قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾ [الفجر:4].

6 - الياء الناشئة من إشباع كسرة ضمير الغائب المذكر، نحو: (مررت به) إذ تنطق:

(مررت بهي) فتحذف في الوقف فيقال: (مررت به).

7 - الياء التي هي ضمير المخاطبة المؤنثة، فيجوز حذفها في الوقف. مثالها قول عنتره: يا

دار عبلة بالجواء تكلم

وعمي صباحا دار عبلة واسلم.

8- الياء الناشئة من إطلاق القافية المكسورة، قال امرؤ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلي

بسقط اللوى بين الدّخول فحوملي.

5- إثبات الواو وحذفها¹:

ترد الواو متطرفة في الكلام العربي في المواضع الآتية:

1- الواو في الفعل المضارع الناقص، نحو: (يغزو) فنثبت في الوقف ولا تحذف، لأنّه لم

يثبت حذفها في الوصل، لئلا تلتبس بالمجزوم، وإثباتها وحذفها في فواصل القرآن والقوافي

فصيح.

2- الواو الناشئة من إشباع القوافي المرفوعة، لتكون زائدة للإطلاق، وقد تحذف للتقل،

مثالها قول زهير:

وقد كنت من سلمى سنين ثمانيا

على ضمير أمر ما يمر وما يحل.

1- ينظر: المصدر السابق، ج2، ص: 301 - 307.

3- الواو التي تنشأ من إشباع ضمة ضمير الغائب المنكر، نحو:
(ضربوهو)، فيوقف عليها بالحذف فيقال: (ضربه).

4- واو الجماعة الذكور في الفعل الماضي نحو: (ضربوا) إذ يجوز حذفها في القوافي.

مثالها قول الشاعر: لا يبعد الله إخوانا تركتهم

لم أدر بعد غداة البين ما صنع.

أي: ما صنعوا، وقد يحذفونها في حشو البيترعاية للوزن، ويجتزئون بالضمة عنها، مثالها

قول الشاعر:

فلو أن الأطباء كان حولي

وكان مع الأطباء الشفاة

إذن ما أذهبوا ألما بقلبي

وإن قبل الشفاة هم الأساة.

6- إبدال الهمزة: ¹

تبدل الهمزة حرفاً من جنس حركتها عند من يخففونها، ولا يحققونها، والحرف الذي يسبقها لا يخرج عن كونه: ساكناً أو مضموماً أو مكسوراً أو مفتوحاً. ومثال ما قبلها ساكن: الخباء. فمن لا يحقق الهمزة يقول: الخبا. وهكذا حال الهمزة المفتوح ما قبلها والمضموم والمكسور. مثل: أكمؤ أبدلت الهمزة واوا فيقال: أكمو. وأهنئ تصبح عند إبدال الهمزة: أهني.

7- التضعيف: ²

يوقف على الحرف المضعف المرفوع والمكسور بالإسكان ثم يضعف الحرف الموقوف عليه. أما المنصوب فإن كان منوناً، فيوقف عليه بالألف وإن لم يكن الموقوف عليه منوناً حال النصب، يجوز فيه التضعيف كما في حالي الرفع والجر.

8- نقل الحركة: ¹

1- ينظر، المرجع السابق، 310/2.

2- ينظر، المصدر نفسه، 314/2.

الوقف بالنقل هو تسكين الحرف الأخير، ونقل حركته إلى الحرف الذي قبله. وشرطه أن يكون ما قبل الحرف ساكنا، قابلا للحركة نحو: (هذا الرجل)، فإن كان ما قبل الآخر محركا لم يوقف عليه بالنقل، وكذلك إن كان ساكنا لا يقبل الحركة.

ومن حالات علاقة الوقف بعلم الصّرف أيضا، الوقف على الأسماء².

ونعلم أن الأسماء في اللّغة العربية من حيث مباحث علم الصّرف نوعان صحيح ومعتل. وقد سبق أن ذكرنا الحالات التي تلحق الوقف على آخر الحرف من الكلمة، مثل إبدال الألف، وهذا يكون في الصّحيح المنصوب المنون حيث يبدل التّنوين المنصوب ألفا حال الوقف. أما ما يلحق الاسم المعتل حال الوقف على آخر؛ فهو يرتبط بحالات حذف الواو أو الياء في مثل القاضي أو العصا. وهذا ما نجده في الاسم المنقوص والمقصور، وكذا ما يلحق من إبدال الهمزة في حال الوقف على الاسم المهموز، وحالات الوقف على الاسم المضعف، هو ما ذكرناه سابقا في هذا الجزء من البحث.

هذا باختصار بيان علاقة علم الوقف بعلم الصّرف، ونحاول في ما يلي بيان علاقته بعلوم العربية الأخرى من نحو وبلاغة، والعلوم الإسلامية التي ترتبط بالمعنى حال الوقف مثل علم التفسير وعلم القراءات وعلم الفقه، وعلم رسم المصحف.

3. علاقة علم الوقف والابتداء بالنحو:

يقول ابن الأنباري: "ومن تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه وغريبه معرفة الوقف والابتداء فيه، فينبغي للقارئ أن يعرف الوقف التّام والوقف الكافي الذي ليس بتام والوقف القبيح الذي ليس بتام ولا كاف"³. ولهذه الأقسام فروقات؛ تفصل بينها علاقة الوقف بالمعنى والتّركيب كما أوضحنا سابقا في مبحث أقسام الوقف والابتداء. فمن يكون عالما بالنحو يكون عالما بمواضع

1- ينظر: المصدر نفسه، 321/2.

2- ينظر: محمد خليل الحربي، الوقف في العربية، ص: 51 وما بعدها.

3- أبو بكر الأنباري محمد بن القاسم، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تحقق: محيي الدين عبد الرحمان رمضان، مطبوعات مجمع اللّغة العربية، دمشق - سوريا، (د ط)، 1391 هـ - 1971م، ج1، ص: 108.

الوقف والابتداء في القرآن الكريم وهي معرفة تلازميّة، وقد تبين لنا في المبحث الأول أنّ علماء الوقف والابتداء ممن ألف في هذا الفن أغلبهم علماء النحو.

ذكر ابن النحاس¹ في باب ما يحتاج إليه من حقّ النظر في التمام، ويقصد بالتمام الوقف على ما تمّ معناه، أنّ صاحب علم التمام يحتاج إلى المعرفة بالنحو وتقديراته، ويعطي أمثلة عن ذلك بقوله: "ألا ترى أنّ من قرأ: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ...﴾ ﴿٧٨﴾ [الحج: 78] منصوبة بمعنى: كلمة، ومن أعمل فيها ما قبلها لم يقف على ما قبلها، ومن نصبها على الإغراء وقف على ما قبلها"². وفي تفسير القرطبي لقوله تعالى هنا في هذه الآية توضيح حيث يقول في "قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ...﴾ ﴿٧٨﴾ قال الزجاج: المعنى اتبعوا ملّة أبيكم. الفراء: انتصب على تقدير حذف الكاف، كأنه قال كلمة. وقيل المعنى وافعلوا الخير فإفعل أبيكم، فأقام الفعل مقام الملّة"³. نلاحظ من هذا المثال تغيير التقدير النحوي بتغيير الوقف. ومن أمثلة هذا كثير في القرآن الكريم. وسنفضّل القول في هذا الموضوع في الفصل الثالث.

وفي بيان علاقة الوقف والابتداء بالنحو يورد ابن أوس في كتابه الوقف والابتداء باباً سماه باب ما لا يتم الوقف عليه؛ يقول: "اعلم أنّه لا يوقف على المبتدأ دون خبره، ولا على المنعوت دون نعته، ولا على ما دون البدل حتى يوصل البدل بما قبله..."⁴. وهو هنا يذكر عدم جواز الوقف على كل متعلق وفصله قراءة عما يتعلق به مما يسبقه، ثم يقص كل حالة في ما يلي من كتابه بالتفصيل والتّمثيل، والتّوضيح بشواهد من الذّكر الحكيم. فيقول مثلاً في مسألة عدم جواز

الوقف على المبتدأ دون الخبر: "فأما الابتداء فقوله جل من قائل [الفاتحة: 1] لا يوقف على ﴿الْحَمْدُ﴾ لأنّ الخبر في ﴿لِلَّهِ﴾⁵.

1- ابن النّحاس، القطع والانتشاف، ص: 32.

2- المصدر نفسه، ص: 32 - 33.

3- القرطبي أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، اعتنى به وصحّحه: هشام سمير البخاري، دار

عالم الكتب، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط2، 1423 هـ - 2003 م، ج12، ص: 101.

4- أحمد بن أوس، كتاب الوقف والابتداء، ص: 113.

5- ابن أوس، كتاب الوقف والابتداء، ص: 116.

ويقول أبو عمرو الداني في كتابه "المكتفى في الوقف والابتداء" في علاقة الوقف والابتداء بالنحو إنَّ للوقف علاقة بالنحو إذ: لا يتم الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا على الرفع دون المرفوع، ولا على المرفوع دون الرفع، ولا على المنصوب دون الناصب، ولا عكسه...، والحاصل أن كل شيء كان تعلقه بما قبله لا يجوز الوقف عليه¹. وكما لا يتم الوقف على المتعلق دون ما يتعلق به، لا يتم الابتداء بمتعلق دون ما قبله، إلا في حالة الاضطرار؛ فهنا يعتمد القارئ إلى إعادة قراءة ما سبق لربطه معنى وتركيبا بما لحق، حتى يتحقق المعنى المقصود.

وأما النحو فهو فرع من المعنى -حسب قول مساعد الطيار-، ولا يكون الإعراب إلا بعد فهم المعنى الذي هو التفسير، وهذا العلم يعتبر أساسا من الأساسات التي يقوم عليها علم الوقف، لذا قال أبو بكر بن مجاهد (ت 324هـ): ((لا يقوم بالتتمام إلا نحوي عالم بالقراءات...)).

4. علاقة علم الوقف والابتداء بالبلاغة:

ليست البلاغة بمعزل عن العلوم التي يتعلق بها علم الوقف والابتداء، فكل هذه العلوم متكاملة تجمعها نقطة التقاء هدفها خدمة المعنى وبيان المقصود من الكلام. وفي علاقة الوقف والابتداء بالبلاغة، يمكننا الحديث عن علاقة الفصل والوصل بالبلاغة، وهنا تكمن الصلة القويّة، بل نجد تطابقا في المفاهيم التي تدل عليها مصطلحات متباينة للمفهوم الواحد. فقد قيل في تعريف البلاغة إنها "معرفة الفصل من الوصل"². ومن تعريفنا اللغوي للوقف والابتداء في المبحث الثاني من هذا البحث، تبين أن من مرادفات الوقف: الفصل، ومن مرادفات الابتداء: الوصل، والاستمرار. كما اشرنا سابقا إلى أن الكلام البليغ هو كلام الخطيب الذي يعرف مفاصل الكلام، ومتى يصل كلامه بما يليه، ومتى يفصله عما

1- أبو عمرو الداني، المكتفى في الوقف والابتداء، ص: 58.

2- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، البيان والتبيين، تحقق: عبد السلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1418هـ - 1998م، ج1، ص: 88.

سبقه. ومنه حديث رسول الله ﷺ في قوله: "بئس الخطيب أنت" في حادثة الرجل الذي قال: "من أطاع الله ورسوله فقد فاز، ومن يعصهما." وتوقف هنا. فكان الفصل بين مفاصل كلامه قبيحا، فغير المعنى المراد من قوله، وهو المعنى الذي ينظر السامع أن يتلقاه، فكان جواب رسول الله ﷺ بقوله: "بئس الخطيب أنت"!!، دلالة على ضرورة الوقف الحسن والابتداء الحسن في الكلام حتى يصل على أحسن وجه، وأكمل صورة له إلى ذهن المتلقي. وفي هذا يقول مساعد الطيار: "وبمعرفة الوقف والابتداء تتبين مقاطع الكلام ومبادهيه، وتظهر مراداته ومعانيه، إذا الوصل قد يدخل في معنى الكلام ما ليس منه، والقطع قد يخرج من معنى الكلام ما هو منه، أو يكون كلاما غير مفهوم، نظرا لبقاء جزء منه لم يتصل به"¹.

ويدور مصطلح الفصل والوصل في البحث البلاغي حول مفهومين: "أولهما يستشعر ذلك المدلول اللغوي ... في صورة ملاحظات عامة، ونصائح أولية تقوم على مراعاة التناسب بين المعاني والاهتمام بمقاطع الكلام عند الخطابة والإنشاد، فيقع الفصل بين المعاني المختلفة أو عند تمام الكلام، ويكون الوصل بين المعاني المتأخية أو عند احتياج الكلام لما قبله"².
ويذكر أحمد سعد محمد أن أوضح تطبيق للفصل والوصل يتمثل في تلاوة القرآن الكريم، وذلك فيما يعرف بفن الوقف والابتداء في علم التجويد³.

غير أن البلاغيين انتهجوا في مبحث الفصل والوصل غير ما هو موجود في علم الوقف والابتداء في نقطة أنّ منهم من جعل الوصل في المفردات والجمل، وقد خص منهم مبحث الفصل والوصل بالحديث عن أن حرف الواو هو أداة الوصل دون غيره⁴.

غير أن عبد القاهر الجرجاني لم يغرب عن أن يلخص لنا حالات فصل الجمل ووصلها فبيّن "أن الجمل على ثلاثة أضرب: جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف

1- مساعد الطيار، ووقف القرآن وأثرها في التفسير، ص: 27-28.

2- أحمد سعد محمد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، ط2، 1418هـ - 1997م، ص: 357.

3- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، (د ط)، (د تا)، ص: 222-224.

والتأكيد مع المؤكد فلا يكون فيها العطف ألبته، لشبه العطف فيها، لو عطفت بعطف الشيء نفسه. وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلا أنه يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى"، مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلا أو مفعولا أو مضافا إليه، فيكون حقها العطف. والجملة ليست في شيء من الحالين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء، فلا يكون إياه ولا مشاركا له في معنى، بل هو شيء إن ذكر لم يذكر إلا بأمر ينفرد به، ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله، لعدم التعلق بينه وبينه رأسا، وحق هذا ترك العطف ألبته، فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حال بين حالين¹.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد تبين أن للوقف علاقة وطيدة بالمعنى، وأنه لا يتم الوقف على مقطع من الكلام إلا وقد أدى معنى يتوقعه السامع ويفهم منه المقصود من الكلام. وهذا الأمر لا بد منه في كل كلام يراعي فيه المتكلم الشروط التي تتوافق مع مفهوم الكلام، وهو الإفادة. فكيف ونحن نتحدث عن الوقف والابتداء في كلام الله عز وجل؟!، فعلى القارئ تحقيق الفائدة وبيان المعنى المقصود دون الإخلال به.

ومن أنواع الوقف وقف البيان وهو في معناه: "الوقف على كلمة لها تعلق لفظي بما بعدها، للإشارة إلى معنى معتبر قد لا يفهم إلا بالتوقف، ثم الاستئناف بما بعدها"².

ولأنّ البيان هو أهم دواعي الوقف، والبلاغة هي البيان عن المعنى حتى يصل إلى السامع على أكمل صورة له، ويفهم المقصود من كلام المتكلم، فدواعي الوقف يراد بها حاجة كل من المرسل والمتلقي، أما المرسل فهو إما أن يكون قارئاً أو متكلماً، فإن كان قارئاً كانت حاجته إلى الوقف تعود إلى سببين:

الأول: ليتنفس، فهو لا يستطيع ذلك أثناء القراءة. والثاني: لينشئ هواء (ما يسمى بهواء الزفير) حتى يمكنه من متابعة القراءة.

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 224.

2- محمود بن عبد الجليل روزن، الوقف البيان في القرآن الكريم، ص: 172.

وأما المتلقي فيحتاج إلى وقت يتفكر في الكلمات التي تلقى على مسمعه، فيديرها في ذهنه، ويجمع بين شتى المعاني التي تربط المقال بالمقام، بهدف الوصول إلى ما يقصده المتكلم من كلامه.

ومن كل هذا يتبين أن علاقة الوقف بالبلاغة هي أن الوقف سبب في بلاغة الكلام وبيان معناه، والبيان كما يعرفه الجاحظ هو: "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"¹.

فالوقف هو بيان مفاصل الكلام وبه يتضح المعنى المقصود، فيؤثر في السامع، ويحقق المراد من كلام المتكلم.

5. علاقة علم الوقف والابتداء بالتفسير:

يذكر كثير من الباحثين في موضوع الوقف والابتداء أن علم الوقف والابتداء يرجع إلى علم التفسير، إذ الوقف أثر عن فهم المعنى، ومن اختار وقفا فقد فسّر²، فالقارئ عندما يقرأ آيات من القرآن الكريم يحرص على فهم المعنى قبل أن يقف، لكي يختار الوقف الصحيح المناسب للمعنى المراد في الآية، يقول ابن النحاس: "... فقد صار في معرفة القطع والانتاناف التفريق بين المعاني، فينبغي لقارئ القرآن أن يفهم ما يقرأه ويشغل قلبه به، ويتفقد القطع والانتاناف، ويحرص على أن يفهم المستمعين في الصلاة والتلاوة، وأن يكون وقفه عند الكلمة مستغن عما قبلها في المعنى، وأن يكون ابتدأه حسنا، أما احتياجه إلى المعنى فضرورة لأن معرفة مقاطع الكلام إنما تكون بعد معرفة معناه"³.

1- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص: 60.

2- المصدر نفسه، ج1، الصفحة نفسها.

3- النحاس، القطع والانتاناف، ص: 97.

وما يعنى به التفسير أي علم التفسير كيفية فهم الآيات من القرآن الكريم، وأسباب نزولها ومعانيها وأحكامها، وما ترمي إليه من مقاصد، ويتم ذلك بالرواية أي بالعرض أو بالتقيناو بكلا الأمرين¹، أو بالدراية وهي أن يلم الطالب بأحكام العلم النظرية دراسة ومعرفة ثم يبدأ بتطبيقها. وهذه المعاني والمقاصد ترتبط بتركيب الجملة، الذي يختلف باختلاف الوقف والابتداء، ومن أمثلة ما قدمه الباحثون في هذا المجال عن علاقة الوقف والابتداء بالتفسير² ما يلي:

مثاله قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: 26].

فالوقف على قوله: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ يدل على أن الله عز وجل قد حرم الأرض المقدسة على بني اسرائيل أربعين سنة فقط. فيكون ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ ظرفا للتحريم.

أما حين الوقف على قوله: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾، فيكون المعنى أنها محرمة عليهم أبدا، وأتيم يتيهون أربعين سنة، ويكون ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ ظرف زمان للتيه، فحينئذ يكون الفصل في هذه المسألة للتفسير، ويتم الوقف بحسب ذلك. وهنا يختلف التفسير طبقا للوقف والابتداء. وهذا ما سنفصل الكلام فيه في الفصل الثالث.

وهذا المثال دليل واضح على صلة الوقف بالتفسير والمعنى. فللوقف تعلق بالتفسير، حيث إن التفسير بيان مراد الله من كلامه، والوقف فرع عن المعنى المفهوم في ذهن القارئ، فإن ترجم هذا الفهم إلى وقف صحيح كان المعنى حقيقيا بالوصول إلى المستمع على وجه صحيح ومفهوم.

1- ومعنى العرض أن يقرأ الطالب على الشيخ، ومعنى التلقين أن يقرأ الشيخ على الطالب ثم يعيد الطالب ما قرأه الشيخ عليه.
2- ينظر: أحمد عارف حجازي عبد العليم، الوقف والابتداء في ضوء اللسانيات الحديثة، دار فرحة، المنيا، ط1، 2008م، ص: 118. وينظر: عبد الله بن سالم الثمالي، وقوف القرآن وعلاقتها بالمعنى والتركيب من خلال كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله لابن الأنباري، رسالة دكتوراه، المملكة العربية السعودية، ص: 18.

6. علاقة علم الوقف والابتداء بالقراءات:

القراءات هي كيفية قراءة القرآن الكريم بأكثر من وجه، حسب ما جاء عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهي قسمان¹:

القراءة الصّحيحة: وهي ما توفر فيها شروط ثلاثة:

1- صحة سندها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2- مطابقتها لخط المصحف.

3- مطابقتها لقوانين اللّغة العربية في نحوها ودلالاتها وصرفها وصوتها.

والقراءة الشاذة: وهي ما افتقدت شرطا من الشروط السابقة. أي عدم صحة سندها عن

رسول الله ﷺ. أو عدم مطابقتها لخط المصحف، أو لقوانين اللّغة العربية.

والقراءات الصّحيحة قسمان: مشهورة ومتواترة، والمتواترة سبعة، أصحابها هم²:

1- عبد الله بن عامر (ت 118هـ).

2- عبد الله بن كثير (ت 120هـ).

3- عاصم بن أبي النّجود (ت 128هـ).

4- أبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ).

5- حمزة الزيّات (ت 156هـ).

6- نافع بن أبي نعيم (ت 169هـ).

7- علي بن حمزة الكسائي (ت 189هـ).

" إن اختلاف القراءات له أثر كبير في الوقف والابتداء، فقد يكون الوقف على بعض ألفاظ القرآن الكريم على قراءة من القراءات تامًا، والوقف على الموضع نفسه على قراءة أخرى كافيًا أو حسنًا"¹.

1- ينظر: صبرى الأشوح، إعجاز القراءات القرآنية، دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء، مكتبة وهيبة، القاهرة - مصر، ط1، 1998م، ص: 15.

2- ينظر المرجع السابق، ص: 72 - 79.

وفي كلام ابن الجزري دليل على علاقة علم الوقف والابتداء بعلم القراءات حيث يقول: "لابد من معرفة أصول مذاهب الأئمة القراء في الوقف والابتداء ليعتمد في قراءة كل مذهبه، فنافع كان يراعي محاسن الوقف والابتداء، بحسب المعنى كما جاء عنه النص بذلك، وابن كثير روينا عنه نصاً أنه كان يقول: إذا وقفت في القرآن على قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾، وعلى قوله: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، وعلى: ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّمَ أُنزِلَ عَلَيْهِمْ قُلُوبًا ﴾. وهذا يدل على أنه يقف حيث ينقطع نفسه، ورؤي عنه الإمام الصالح أبو الفضل الرّازي: أنه كان يراعي الوقف على رؤوس الآي مطلقاً؛ ولا يعتمد في أوساط الآي وقفا سوى هذه الثلاثة المتقدمة. وأبو عمرو فروينا عنه أنه كان يعتمد الوقف على رؤوس الآي، ويقول هو أحب إليّ، وذكر عنه الخزاعي أنه كان يطلب حسن الابتداء، وذكر عنه أبو الفضل الرّازي أنه كان يراعي حسن الابتداء، وذكر الخزاعي أنّ عاصماً والكسائي كانا يطلبان الوقف من حيث يتم الكلام، وحمزة اتفقت الرواة عنه أنه كان يقف عند انقطاع النفس، فقيل لأنّ قراءته التّحقيق والمدّ الطويل، فلا يبلغ نفس القارئ إلى وقف التّمَام ولا إلى الكافي، وعندي أن ذلك من أجل كون القرآن عنده كالسّورة الواحدة، فلم يكن يتعمد وقفا معينا، ولذلك آثر وصل السّورة بالسّورة، فلو كان من أجل التّحقيق لآثر القطع على آخر السّورة، والباقون من القراء كانوا يراعون حسن الحالتين وقفا وابتداءً"².

من هذا النص يتبين أن لكلّ من القراء مذهبه في الوقف والابتداء وتذكر خديجة المفتي أن "العلاقة بين الوقف والقراءات علاقة الفرع بالأصل، فالوقف يبني على القراءات، وتختلف مواضع باختلافها."³

1- عبد الرحمان الجمل، أثر الاختلاف في القراءات في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، مجلة جامعة النّجّاح للأبحاث (العلوم الإنسانيّة)، كلية أصول الدين، غزة - فلسطين، مج 18، 2004م، ص: 286.

2- ابن الجزري، النشر، ج1، ص: 238.

3- خديجة أحمد مفتي، الوقف والابتداء عند النّحاة والقراء، رسالة دكتوراه، إشراف: عبد الفتّاح إسماعيل شبلي، المملكة العربيّة السّعوديّة، جامعة أمّ القرى، كلية اللّغة العربيّة، 1405 - 1406 هـ، ص: 38.

والأمثلة الدالة على علاقة الوقف والابتداء بالقراءات كثيرة جدا، "وقد حررها العلماء في كتبهم سواء أكانت كتباً تختص بعلم الوقف ككتاب جعفر النحاس، أم كتباً تختص بالقراءات، وممن رأيتُه اعتنى بهذا الجانب بالذات، وخصه بالتأليف تبعا للقراءة الشيخ أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون (ت: 399هـ) يحرص على بيان أثر القراءة في الوقف"¹.
ومن الأمثلة التي ضربها العلماء² التي تدل على علاقة علم الوقف والابتداء بالقراءات نذكر ما يلي:

قرأ ابن كثير: ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 74] بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. فمن قرأ بالتاء لم يبتدئ به، لأنه خطاب متصل بالخطاب الذي تقدمه وهو قوله: ﴿ثُمَّ فَسَّتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [البقرة: 74]، فهو متعلق به. ومن قرأ بالياء جاز له أن يبتدئ به، لأنه استئناف اختيار "وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: 153]، قال: "وقرأ حمزة والكسائي: ﴿وَإِنَّ هَذَا﴾ بكسر الهمزة مع تشديد النون، وقرأ عامر، ويعقوب بفتح الهمزة وتخفيف النون، وقرأ الباقون بفتح الهمزة وتشديد النون.

فمن كسر "إِنَّ" جاز له أن يبتدئ بها، لأنها مستأنفة، وأما من فتحها سواء خفف النون، أو شددتها، فإنه لا يبتدئ بها، لأنها مرتبطة بما قبلها: إمّا ب (ما) من قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالْبَالِغِينَ إِحْسَانًا...﴾ [الأنعام: 151] بالعطف عليها تقديره أتل ما حرم ربكم عليكم وأتل أن هذا صراطي مستقيما وإما بالهاء من قوله تعالى: ﴿... ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: 151]، وبأن هذا صراطي ثم حذف الباء من "أَنَّ" لطول الاسم تخفيفا".

1- مساعد الطيار، وقوف القرآن وأثرها في التفسير، ص: 32.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 32-33.

ومن هذه الأمثلة يتّضح تغيّر الوقف بتغيّر القراءة، "وذلك لما للقراءة من أثر في المعنى،
يترتب على القارئ مراعاته عند الوقف"¹.

وأيضاً غير واحد ممن درس علاقة علم الوقف والابتداء بالقراءات أنّه لا شك في الصّلة
الوثيقة بين هذين العلمين²، لأن تغيّر القراءة يمكن أن يغيّر حكم الوقف وقسمه، فقد يجعل التّام
في القراءة غير تام في قراءة أخرى، والكافي في قراءة غير كاف في قراءة أخرى، وكذا الحسن
في قراءة غير حسن في قراءة أخرى، وكل هذا ينجم عن تغيّر في بنية الجملة تحكمها قوانين
النحو، وتغيّر المعنى.

7. علاقة علم الوقف والابتداء بالفقه:

نظراً لعلاقة علم الوقف والابتداء بالمعنى والتّفسير، فقد أنّر في العلوم العربية والعلوم
الإسلامية منها ما ذكرناه سابقاً، ومن العلوم الإسلامية التي أنّر فيها: الفقه والعقيدة وليس يهمننا
في بحثنا هذا إلا علاقة علم الوقف والابتداء بالعلوم العربية لأنها تعمل كوحدة متكاملة في بناء
الكلام أو النّص.

غير أنّ ذكرنا لعلاقة هذا الأخير ببعض العلوم الإسلامية وارد في تحليل النّص من
جانب علاقة اللّغة بالمقام أي انسجام النّص.

وليس هدفنا في هذا إلا الإشارة إلى التّغير الذي يمكن أن يحدثه الوقف والابتداء على
مفصل من مفاصل الكلام، في حكم شرعي أو مذهب من مذاهب أهل السّنة.

أما عن علاقة الوقف والابتداء بالفقه، فهو حاجة العالم بالوقف والابتداء إلى المعرفة
بشيء من أحكام الفقه، فيلزمه "كما يقول ابن مجاهد أن يعلم من الفقه ما يصلح به أمر دينه،
ولا بأس من الزيادة في الفقه بحيث يرشد طلبته وغيرهم إذا وقع لهم شيء"³.

1- مساعد الطيّار، وقوف القرآن وأثرها في التفسير، ص: 33.

2- ينظر: عبد الله الثّمالي، وقوف القرآن وعلاقتها بالمعنى والتّركيب، ص: 20.

3- خديجة المفتي، الوقف والابتداء عند النّحاة والقراء، ص: 36.

غير أن الآيات التي يُستشهدُ بها لعلاقة الوقف والابتداء بالفقه قليلة¹ وأشهر مثال في ذلك هو آية القذف من سورة النور² قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [النور، الآية: 4-5].

فمن قال من الفقهاء لا تقبل شهادة القاذف حتى و إن تاب. يتم الوقف على (أبدًا) ويكون الوقف تامًا.

ومن قال تجوز شهادة القاذف إن تاب، كان الكلام عندها متصلا والوقف حينئذ يكون عند قوله تعالى: (فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾)، فقول الفقهاء هنا يكون بحسب الوقف. وأما عن علاقة الوقف والابتداء بالعقيدة؛ فإن معرفة الوقف تُظهرُ مذهب أهل السُنَّةِ من مذهب المعتزلة³، أو تُرجِّحُ مذهب الحنفيَّةِ مثلا عن بقية المذاهب في الحكم على مسألة فقهية⁴. وأمثلة ذلك:

1- قولها تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصاص: 68].

فالوقف على (وَيَخْتَارُ) مذهب أهل السُنَّةِ لنفي اختيار الخلق لا اختيار الحق، فليس لأحد أن يختار، بل الخيرة لله تعالى.⁵

فقد انقسم القراء في توجيه هذه الآية فريقين¹: الأول اعتبر أن الوقف على (وَيَخْتَارُ) هو ما اتفق مع مذهب أهل السُنَّةِ وعد غيره من الوقف القبيح.

1- ينظر: مساعد الطيار: وقوف القرآن وأثرها في التفسير، ص: 34.

2- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- ينظر: خديجة المغتي، الوقف والابتداء عند النحاة والقراء، ص: 31.

4- ينظر: عزت شحاته كرار، الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفيَّةِ، مؤسسة المختار، القاهرة - مصر، ط2، 1427هـ - 2006م، ص: 25 وما بعدها.

5- ينظر: الصباغ، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ص: 46.

والثاني: وفقهم على (يشاء)، ثم يقول: (وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ) وهو مذهب المعتزلة.

وفي أثر ترجيح الوقف لحكم مسألة فقهية عند الحنفية² قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: 178].

فهذه الآية تتحدث عن حكم القصاص في القتل العمد، وما دلّت عليه من وجوب المساواة في الحكم، فالذين قالوا بعدم قتل الحرّ بالعبد والرجل بالأنثى والمسلم بالكافر، قالوا بأنّ الكلام متصل، فينتهي عند قوله تعالى: (وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ)، أمّا الذين قالوا يُقْتَلُ الحرُّ بالعبد والرجل بالأنثى؛ فقد أعملوا الوقف في الآية؛ فقالوا بأنّ قوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ) كلام تام قائم بذاته غير مفتقر إلى غيره.

"بخلاف الحنفية الذين قالوا بأنّ السيّد لا يقتل بعبده لأنّه بعض ماله"³.

من هذا المثال يتّضح أنّ الوقف أثر في الحكم الفقهي عند الحنفية ومن وافقهم في الرأى. ومن هنا يمكن للوقف أن يؤثر في الحكم بقول مذهب عن مذهب، أو ترجيح حكم فرقة عن أخرى، وهذا كلّه لتعلّق الوقف والابتداء بالمعنى والتركيب.

8- علاقة الوقف والابتداء بمرسوم الخط:

الرّسم هو: "الأثر"، والمراد به أثر الكتابة في اللفظ⁴، وهو تصوير الكلمة بحروف هجائه

1- ينظر: خديجة المفتي، الوقف والابتداء عند النّحاة والقراء، ص: 32.

2- ينظر: عزت شحاته، الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفية، ص: 34-43.

3- عزت شحاته، الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفية، ص: 35.

4- ينظر: الفتح الرياني في العلاقة بين القراءات والرسم العثماني، ص: 19.

بتقدير الابتداء به، والوقوف عليه¹. وخطُ المصحف "هو الإمام الذي يعتمده القارئ في الوقف التمام ولا يعدو رسومه، ولا يتجاوز مرسومه"².

والذي يهمننا هنا علاقة الوقف بالرسم، إذ تظهر العلاقة في الوقف على التاء التي تبدل هاء. "فحين نعرض لقول القراء في الوقف عليها نجد أكثرهم يتبعون الرسم لا يتعدونه فما كان في المصحف بالتاء وقفوا عليه بالتاء، وما كان بالهاء وقفوا عليه بالهاء"³.

ومن مظاهر علاقة الوقف برسم المصحف أيضا: الإبدال. وهو ما ذكرناه في علاقة علم قف بعلم الصّرف، والإبدال نوعان:

1- المنصوب المنون غير المؤنث (أي المنصرف ولا لام فيه للتعريف). وهذا يبذل ألفا مطلقا بدلا من التنوين مثاله: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة: 26]، وقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: 28].

2- الاسم المفرد المؤنث ما لم يرسم بالتاء، وتبدل تاؤه وصلا هاء ووقفا سواء أكان منونا أو غير منون، مثل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف، الآية: 72]، وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة: 7].

1- القسطلاني، لطائف الإشارات، مج2، ص: 551.

2- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 253.

3- خديجة المفتي، الوقف والابتداء عند النحاة والقراء، ص: 70.

ومن ذلك أيضا، النون المشددة مثل: ﴿...وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 228]، مثل: ﴿...أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4].

والنون التي هي ضمير جمع المؤنث مشددة، أو مخففة نحو: فأتَمَّهِنَّ، يأكلُهُنَّ، منهنَّ.

"فالتحويون يجيزون إلحاق الهاء بها وقفا، كما في الوقف على إِنْ وَأَنَّ المشدَّتين"¹.

ومن مظاهر علاقة الوقف بالرسم: المشدَّد المبني مثل: ﴿أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 31]، ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأحقاف: 9]، فنصَّ بعض القراء على الوقف عليه بالهاء، وأكثرهم قال بحذف الهاء وقفا.²

"فالمبني يجوز الوقف عليه عند النِّحَاة بالهاء. أما القراء فأكثرهم لا يقفون بالهاء اتباعا للرسم"³. ومنها أيضا أحد أحرف العلة الثلاثة: الياء والواو والألف، فأما الياء فممنه ما يحذف للالتقاء الساكنين. ومنها ما هي ساكنة ولقيها تنوين مثل: (هاد) و (واق)، (وال)، (باق) ... ومن مباحث علاقة الرسم بالوقف مبحث المقطوع والموصول، فالمقطوع: هو الكلمة التي تفصل عما بعدها في رسم المصاحف العثمانية، والموصول: هو الكلمة التي توصل بما بعدها في رسم المصاحف العثمانية.⁴

1- ينظر: خديجة المغتي، الوقف والابتداء عند النِّحَاة والقراء، ص: 81.

2- ينظر: المرجع السابق، ص: 82.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- ينظر: زكريا الأنصاري، الدقائق المحكمة، ص: 148، 160.

الفصل الثاني: لسانيات النّص: مفاهيمها، وقوانينها وضوابطها.

مدخل إلى لسانيات النّص.

المبحث الأول: لسانيات النّص: مصطلحاتها ومفاهيمها.

المبحث الثاني: لسانيات النّص قوانينها وضوابطها.

المبحث الثالث: لسانيات النّص وعلاقتها بعلوم اللّغة.

مدخل إلى لسانيات النص:

منذ ظهور كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة"، والجملة تشكّل محور اهتمام اللسانيين، فهي الوحدة اللغوية الكبرى التي يصل إليها الوصف.

وكانت لسانيات الجملة ولمدة طويلة من الزمن هي مجال الدراسة اللسانية، وفي هذا يقول دي بوجراند: "لقد اعتمدت دراسات التراكيب اللغوية جميعا على وجه التقريب منذ نشأتها في العصور السحيقة على مفهوم الجملة (SENTECE) دون غيره".¹ ثم ظهرت بعد ذلك مؤشرات إلى وجود وحدات لغوية لا يمكن وصفها إلا إذا تجاوزنا حدود الجملة الواحدة، وهنا بدأ التساؤل عن وحدة لغوية أكبر من الجملة هي "النص".

وفي هذا المدخل نحاول التطرق إلى مفهوم الجملة عند علماء اللغة العربية لما لذلك من أهمية في ذكر تعريف الجملة والكلام والفرق بينهما، ومفهومها عند اللغويين الغربيين، وكذا كيفية الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص.

فما هو مفهوم الجملة عند علماء العربية وعند اللسانيين المحدثين؟ وما هي معالم الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص؟.

1- مفهوم الجملة عند علماء اللغة العربية:

لقد فرّق علماء النحو العربي القول في بيان معنى الكلمة، والكلم، والكلام والقول. ويتّضح ذلك مما جاء في متون النحو، مثاله ما جاء في ألفية ابن مالك حين قال:

"-كلامنا لفظ مفيد: كاستقم *** واسم، وفعل ثم حرف-الكلم.

-واحد كلمة، والقول عم *** وكلمة بها كلام قد يؤم".²

وفي تعريف الكلام عنده هو: "اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها"³.

1- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418 هـ - 1998 م، ص: 88.

2- ابن عقيل بهاء الدين عبد الله العقيلي المصري الهمداني، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار التراث، القاهرة - مصر، ط20، 1400 هـ - 1980 م، ج1، ص: 13.

3- المصدر السابق، ص: 14.

فاللفظ على حد قول ابن عقيل هو جنس جامع لمعنى الكلام، والكلمة، والكلم، ويشمل الصوت الذي لا معنى له في تواضع أهل اللغة مثل: (أ). ويشمل المستعمل في تواضع أهل اللغة والمتكلمين بلسان واحد، مثل: زيد (اسم علم في الكلام العربي). فيخرج ابن عقيل من هذا التعريف للكلام: كل لفظ ليس له فائدة يرجوها السامع من كلام المتكلم. وهنا يقصد في النحو الكلمة المفردة مثل لفظ: ديز، و"بعض الكلم - وهو ما تركيب من ثلاث كلمات فأكثر ولم يحسن السكوت عليه - نحو: "إن قام زيد"¹.

وهنا نلاحظ أن تعريف الكلام عند النحاة يقارب مفهوم الكلام: الذي هو موافق لمفهوم النص، فالنص هو كلام مكتوب مدون - في لسانيات النص والبحث التداولي، فالكلام فيهما هو كل لفظ أدى معنى عند السامع، فيمكن أن يكون صوتا أو كلمة واحدة يشترط فيها ظروف وملايسات يحققها المقام، فتفيد فائدة يتلقاها السامع، ويفهم منها معنى معيناً من سياق اللفظ والمقام، قد تنجر عنه أفعال وأقوال تؤدي إلى التفاعل بين المتكلم والسامع.²

وهناك من علماء اللغة العربية من عرّف الجملة والكلام؛ فطابق بين مفهوميهما وهناك من فرق بينهما، وفصل مفهوم الجملة عن مفهوم الكلام فقارب بذلك مفهوم الكلام عند اللسانيين المحدثين. وفي هذا يعرف ابن جني الكلام بقوله إنّه: "كل لفظ مستقل بنفسه مفيد بمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل"³. وهنا يتضح من كلام ابن جني أنّ الكلام ليس جملة واحدة، بل هو (الجملة)، أي جمل متتابعة يفسر بعضها بعضاً حتى تؤدي فائدة. غير أن ابن جني لم يوضح الفرق بين الجملة والكلام.

ونجد العكبري يفسر معنى الجملة بأنّها الكلام حين قال: "الكلام عبارة عن الجملة المفيدة فائدة تامّة كقولك: زيد منطلق، إن تأتي أكرمك، وقم وصهوما كان نحو ذلك، فأما المفردة نحو: زيد ... وحده ... ونحو ذلك فلا يسمى كلاماً بل كلمة، وهذا قول الجمهور"⁴. وهنا يخص

1- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

2- سنتطرق لاحقاً بشيء من التفصيل إلى الوجوه المختلفة التي عرفت النص.

3- ابن جني، الخصائص، ج1، ص: 73.

4- العكبري أبو البقاء، مسائل خلافية في النحو، تحقق: محمد خير الحلواني، دار الشرق العربي، بيروت، ط1، ج1، ص: 35.

العكبري الكلام بمفهوم الجملة التي فيها فائدة يرجوها السّامع ويحسن بالمتكلم السّكوت عليها، فهي تقيّد فائدة يحسن السّكوت عليها. لكنها جزء من الكلام في رأيي، فلا يمكن أن نقول: قم، وصه لمخاطب إلاّ إذا نتج عنه فعل ما أو قول ما، كما لا يمكننا إعلام المخاطب بخبر معين إلاّ إذا كان بين المتكلم والمخاطب مقام معين وكلام سابق.

كما أن العكبري في هذا التّعريف حصر الكلام في الجملة التي تقيّد فائدة يحسن السكوت عليها، فأخرج بذلك الجملة التي لا تقيّد فائدة يحسن السكوت عليها مثل: جملة الشرط مثلا. ومن هنا نستنتج أن الكلام يستلزم وجود فائدة فيه يرجوها المتلقي، أما الجملة فهي جزء من الكلام فقد تقيّد فائدة يحسن السكوت عليها، وقد لا تقيّد معنى يفهمه المتلقي. فهي لا تستلزم وجود فائدة فيها، والمهم فيها الإسناد، أي المسند والمسند إليه حسب.

وفي موضع آخر يساوي عبد القاهر الجرجاني بين مصطلحي الجملة والكلام من حيث المفهوم إذ يقول: "اعلم أن الواحدة من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة، فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا، نحو: "خرج زيد" سمي كلاما وسمي جملة"¹. ويضيف بقوله إن: "الألفاظ المفردة هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد"². فدائرة اللفظ المفيد يمكن أن تشمل الجملة التي تتركب من مسند ومسند إليه ويحسن السكوت عليها لأنها تحقق فائدة مرجاة لدى السامع، ويمكن أن تكون تتالي جمل يفهم من انضمام بعضها إلى بعض فائدة. فعبد القاهر الجرجاني يقسم الألفاظ في اللغة العربية إلى كلمة وجملة أو كلام.

فالكلمة لا يعرف معناها في نفسها إلا إذا انضمت إلى كلمات أخرى غيرها لتحقيق فائدة تفهم عند المتلقي.

ويعرف الزّمخشري الكلام بأنّه: "المركب من كلمتين أسندت إحداها إلى الأخرى، وذلك لا يتأتّى إلا لاسمين كقولك: زيد أخوك ... أو فعلا واسما نحو: ضرب زيد ... وتسمى جملة"³.

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 415.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص: 18. وينظر: شرح الرضى لكافية ابن الحاجب، ج1، ص: 16.

نلاحظ من هذا أن هؤلاء العلماء وضعوا الجملة والكلام تحت مفهوم واحد يشترط فيهما الإفادة، وأن كل جملة تفيد معنى يحسن السكوت عليه هي كلام. ومنهم من جعل الكلام هو ما تتركب من مسند ومسند إليه وهذا هو مفهوم الجملة. فلم يتم الفصل جيدا بين مفهوم الكلام ومفهوم الجملة في النحو.

إلا أن بعضهم ميز بين هذين المصطلحين وفصلا مفهوميهما عن بعض، وفي ذلك يقول الرّضي الاستربادي في شرح الكافية: "والفرق بين الجملة والكلام: أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي (سواء)، كانت مقصودة لذاتها، أولا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ... والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي، وكان مقصودا لذاته، فكل كلام جملة، ولا ينعكس"¹. وهنا يبين الاستربادي العلاقة الضمنية للكلام والجملة، فكل جملة كلام؛ أي أن الجملة جزء من الكلام قد تفيد فائدة يحسن السكوت عليها فتحقق في هذه الحال مفهوم الكلام. وقد لا تفيد فائدة يحسن السكوت عليها وهنا شرطها في النحو الإسناد. فكل كلام جملة، وليست كل جملة كلاما.

ويوضح ابن هشام مفهوم الكلام بشكل أكثر دقة وتوضيحا في قوله: "الكلام هو القول المفيد بالقصد... والجملة عبارة عن الفعل وفاعله... والمبتدأ وخبره... وما كان بمنزلة أحدهما، وبهذا يظهر لك أنهما ليسا مترادفين، كما توهمه كثير من الناس"². فهنا يتضح من كلام ابن هشام أن الجملة هي كل مسند إليه حتى وإن لم تقد فائدة يحسن السكوت عليها مثل قولهم: جملة الشرط، وجملة جواب الشرط، وجملة الصلة، فكل ذلك ليس مفيدا فائدة يحسن السكوت عليها مع توفر شرط الإسناد فيها، فهو ليس كلاما، إذ شرط الكلام الإفادة.

نحن هنا بصدد تحديد مفهوم الجملة عند علماء العربية، فاتضح أن هؤلاء العلماء من ميز بين الجملة والكلام، وأن الجملة جزء من الكلام وكما سبق أن أشرت فإن النص هو كلام

1- الرضي الاستربادي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، دراسة وتحق: يحيى بشير مصري، الإدارة العامة للثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، ط1، 1417هـ - 1996م، ج1، ص: 18.

2- ابن هشام الأنصاري جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، دون معلومات النشر، ج2، ص: 419.

مكتوب، لهذا السبب حاولت توضيح ما أورده علماء العربية فيما يتعلق بمفهومي الجملة والكلام نظرا لأهمية ذلك في هذا البحث.

وفي ما يلي محاولة لمعرفة مفهوم الجملة عند اللغويين الغربيين.

2. مفهوم الجملة عند اللغويين الغربيين:

لم تكن الجملة محل اهتمام النحاة العرب حسب، وإن كان أكبر الباحثين اللسانيين وأحدثهم -تشومسكي- قد تبين أنه اعتمد في بحوثه على ما جاء من مفاهيم عند النحاة العرب القدامى¹.

فما يهمننا هنا ما مفهوم الجملة عند اللغويين الغرب؟ - وهي كما سبق أن ذكرت مجال الدراسة اللسانية طوال المدة التي ظهرت فيها اللسانيات الوصفية والمدارس اللسانية بعد دي سوسير حتى السبعينيات من القرن الماضي.

لقد اختلف الباحثون الغرب في تعريف الجملة، وفي ذلك يذكر "دي بوجراند" تعريفات متباينة للجملة عند بعض الباحثين نذكر منها:²

أن الجملة هي كل فكرة تامة، أو هي: تتابع عناصر القول حتى ينتهي بسكتة، أو هي نمط تركيبى له مكونات شكلية خاصة.

ويذكر أحمد عفيفي³ مجموعة من التعريفات للجملة تستكمل في نظره التعريف الشامل لها حين يقول إنها تتابع بشكل سلسلة من المفردات النحوية التي يتم اختيارها. أو هي بناء لغوي مكتف بذاته، تقوم عناصره على مبدأ الترابط المباشر أو غير المباشر للمسند إليه الواحد أو المتعدد، أو هي وحدة لغوية تحقق معنى كاملا في ذاته، أو هي عبارة عن ملفوظ تتصل عناصره بمحمول أو أكثر بينهما ترابط.

1- ينظر: مازن الوعر، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، ع:11، جوان 2010، ص: 32. وينظر: مجلة اللسانيات، ع:6، 1984.

2- ينظر: دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 88.

3- ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس التحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة - مصر، ط1، 2001م، ص: 17-18.

ويضيف أحمد عفيفي معلقاً على تنوع هذه التعريفات للجملة قائلاً إن: "المتأمل لهذه التعريفات يرى هذا التباين الواضح في الاتجاهات التي تعتمد عليها التعريفات، فبعضها يركز على منطوق دلالي محض، وبعضها يركز على منطوق شكلي محض، وبعضها الثالث يعتمد على المزيج بين الدلالة والشكل"¹. ويشير أحمد عفيفي إلى أن معظم هذه التعريفات يؤكد استقلالية الجملة، وهذا ما يحققه نحو الجملة أو يهتم به أو يقوم على أساسه التحليل اللغوي للكلام، "حيث يقتصر على دراستها منزوعة عن سياقها"² اللغوي، ويردف أحمد عفيفي تعريفاً للجملة يرى أنه تعريف يقترب بالجملة من الاستقلالية الدلالية مع ارتباطها بالسياق من جهة أخرى، يقول: "إن الجملة وحدة تركيبية تؤدي معنى دلالياً واحداً، واستقلالها فكرة نسبية تحكمها علاقات الارتباط والربط والانفصال في السياق"³. وهنا نلمس في هذا التعريف انتقالاً من مفهوم الجملة كونها وحدة لغوية مستقلة عن غيرها من الوحدات اللغوية الأخرى في السياق اللغوي، وهي وحدة كبرى في التحليل في ما يسمى بنحو الجملة. إلى نحو أكبر من نحو الجملة، ترتبط فيه الجملة بغيرها من الجملة المكونة للسياق اللغوي، فشكل علاقات ارتباط، وربط، وانفصال، والجملة هنا هي "جزء من النسيج العام في بنية النص الكلية"⁴ وفي هذه الحالة يقسم الأزهر الزناد الجملة إلى نوعين⁵:

1- الجملة - نظام (System sentence): وهو الشكل المجرد للجملة التي تتولد عنه جميع الجمل الممكنة والمقبولة في نحو لسان بشري معين، وهذا المفهوم هو ما قام عليه النحو التوليدي التحويلي.

وهنا تدرس الجملة مستقلة عن السياق اللغوي. بوصفها أكبر وحدة في التحليل.

1- المرجع السابق، ص: 18.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها، نقلاً عن: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، لونجمان - القاهرة، 1997م، ص: 148.

4- أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 18-19.

5- ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان والدار البيضاء - المغرب، ط1، 1993م، ص: 14.

2- الجملة - النصية (Text sentence)، وهي الجملة المنجزة فعلا في المقام وهنا يتجاوز التحليل اللغوي الجملة الواحدة إلى الترابط بين الجمل، في علاقة لها مع المتكلم والمخاطب والمقام، وهذا ما يحققه الاتساق والانسجام في النص.

ويذكر أحمد عفيفي رأيا آخر في تقسيم الجملة، حيث يقسم جون لوينز (John Lyons) الجملة إلى¹:

1- جملة نصية: وهي التي لا ارتباط لغوي بينها وبين غيرها من الجمل داخل النص، أي لا تحكمها علاقات نسيج النص كونها مستقلة دلاليا وخطيا عن غيرها من الجمل المكونة للنص الواحد.

2- جملة غير نصية: وهي التي تحكمها علاقة ارتباط بالجملة اللاحقة أو السابقة واللاحقة لها في نسيج النص.

وباختلاف التعريفات اللغوية للجملة، فإننا نلاحظ أن مفهومها عند اللغويين العرب والدارسين الغربيين كلها تشترك في أن الجملة هي محور الدراسة، وهي الوحدة اللغوية الكبرى في التحليل، وبها يتم الوصول إلى نظام لسان بشري ما.

رغم هذا كله فقد ظهرت بعد نحو الجملة دوافع إلى تحليل ما يتجاوز حدود الجملة الواحدة إلى ما هو أكبر منها وهو النص وظهر ما يسمى بنحو النص مقابلا لنحو الجملة.

فما هي مسوغات ظهور نحو النص أو لسانيات النص؟ وكيف هي بدايات نشأته؟.

عند حديثنا عن نشأة لسانيات النص، لا بد لنا من الحديث ولو في عجالة عن حلقة الوصل بين لسانيات الجملة ولسانيات النص.

وهنا نعود إلى أول من ميز بدقة بين اللسان والكلام، في ثنائية (اللسان/كلام) (langue/parole) حيث عرّف دي سوسير اللسان بأنه ليس إلا جزءا محددًا من اللغة ...

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 20.

يكون اللسان في ذات الوقت انتاجا مجتمعا حادثا عن ملكة اللّغة وعن أنواع التواطئ والاتفاقات الضرورية أقرها المجتمع وسنها لكي تتأتى ممارسة هذه الملكة عند الأفراد¹.

والكلام انطلاقا من هذا التعريف للسان، هو نتاج فردي، ميزها لاختيار الحر، أي حرية المتكلم في اختيار الجمل التي يعبر بها عن فكره الشخصي، ويستخدم في ذلك آيات نفسية وفيزيائية، لهذا فالكلام يولد خارج النظام، لأنه سلوك لفظي يومي، له طابع الفوضى والتحرر².

فمن ثنائية (اللسان/الكلام) تحدد منهج الدراسة اللسانية حيث درس اللسانيون اللسان البشري وأبعدوا دراسة الكلام عن مجال دراستهم، فابتداء من دي سوسير وكل المدارس اللسانية التي جاءت بعده إلى هاريس، وبلومفيلد، وتشومسكي كانت الجملة هي الوحدة الكبرى التي يصل إليها التحليل اللساني، وهي محور اهتمام علم اللسان الذي اهتم بدراسة اللغة منها وإليها، دون اعتماد الوسائل غير اللغوية في التحليل إلى أن بدأت دوافع التخلي عن الجملة أساسا للتحليل واكتشاف وحدة لغوية أكبر هي النص، حين انفتح علم اللسان على علوم أخرى أسهمت في انتهاج طرق حديثة في التحليل اللساني، منها علم النفس وعلم الاجتماع، فلا بد من تفعيل الوظيفة الاجتماعية للغة، والعوامل النفسية والتواصلية التي تؤثر في المتكلم، ويتأثر بها السامع في عملية إنتاج الكلام وفهمه وبدأت نتاج هذا كله مؤشرات إلى ميلاد علم جديد هو علم النص، الذي منهجه دراسة الكلام في جزء (الكلام) من ثنائية (اللسان/كلام)، المجال الذي أبعد الوصفيون عن مجال دراستهم في السابق، ومن أسباب الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص، وجود وحدات لغوية لا يمكن وصفها إلا إذا تجاوزنا حدود الجملة. منها الضمير العائد³ ... وقد أقر الأزهر الزناد بشرعية وجود نحو النص إلى جانب نحو الجملة، فلا يمكن القطيعة

1- فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني، مراجعة: أحمد حبيبي، سلسلة البحث

السيمياي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1987م، ص: 18.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 23.

3- ينظر: مفتاح بن عروس، الإتساقالنصي دراسة في ظاهرة العائد في اللغة العربية، ص: 02.

بينهما، والشرعية هنا علمية منهجية في رأيه. تقوم على أكثر الركائز قرارا في تصنيف العلوم، هي: الموضوع، والمنهج والغاية¹.

1- الموضوع: تدرس لسانيات الجملة أو نحو الجملة (الجملة) وما دونها من الوحدات حتى أصغر وحدة لغوية غير دالة على معنى في ذاتها وهيالفونيم (Phonèm) وقد اختلف في تعريف الجملة كما سبق أن أوردت من عالم لآخر، فبعضهم يربط حدودها باستيفائها المعنى. وبعضهم يربط حدودها باستيفائها الشكل والمعنى، وبعضهم يربط مفهومها بالشكل فقط.

ويدرس نحو النّص أو لسانيات النّص (النّص)، وقد اختلف في تحديد مفهومه عند علماء علم النّص، فمفهوم النّص عند بعضهم يمكن أن يكون لفظا واحدا في توفر ظروف المقام وملابساته ما يمكن السامع من فهم معنى معين، وبعضهم يحدده على أنه ما يكون في حدود الجملة وما يتجاوزها². وسنأتي على ذكر التعريفات المختلفة لمفهوم "النّص" في المبحث الأول من هذا البحث.

وفي ارتباط النّص بالجملة، ومنه لسانيات الجملة بلسانيات النّص وتكاملهما في التحليل اللساني يقول الأزهر الزناد إن: "النّص يحتوي الجملة وما يفوقها وما هو دونها، فإذا ما حصل التطابق بين النّص والجملة في الكمية، فلقائل أن يقول: ما الفائدة من نحو آخر يدرس الموضوع نفسه؟ ... أما إذا تلفظ المتكلم بما هو دون الجملة وفهم عنه سامعه، فيطرح سؤال من نوع آخر يتعلق بآليات ذلك الفهم ومفاتيحه، فهذا الملفوظ الناقص من حيث المنطوق، تام من حيث المفهوم"³. وهذا التمام أساسه المقام الذي يحتوي عناصر غير لغوية تسهم في تحقيق معنى للسامع.

1- الأزهر الزناد، نسيج النّص، ص: 14-15.

2- ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النّص، ص: 15.

3- المرجع نفسه، ص: 16.

2- المنهج: أما من حيث المنهج فنذكر الأزهر الزناد أن النظر الصحيح المميز بين نحو الجملة ونحو النص يرتبط بالتصنيف¹. حيث تقسم الجملة إلى أنواع باعتماد معايير تختلف عن آليات تحليل النص.

فالجملة تقسم إلى: اسمية، وفعلية، وبسيطة، ومركبة، وهي معايير لغوية محضة استنبطها النحو الواصف لها في شكلها بعيدا عن معناها.

أما النصوص فهي أنواع تصنف وفق مضمونها، فالنص منه أدبي وقانوني، وسياسي... إلخ، اعتمادا لموضوعه. كما تقسم النصوص إلى أصناف فرعية باعتماد معيار الشكل وحده أو الشكل والمضمون معا. فمنها العلمية من حيث الشكل، والأدبية. وتصنف الأدبية بحسب الشكل اللغوي إلى نثر وشعر. والشكل الفني إلى رواية، ومسرح، وخرافة، وخاطرة... إلخ.

غير أن "معايير التصنيف في نحو الجملة أكثر قرارا وتجريدا من المعايير المعتمدة في تصنيف النصوص، وهذا التعدد يعود إلى تداخل بين معايير علوم مختلفة تلتقي في موضوع واحد هو "النص"، وكل واحد منها يرصد فيه شيئا ويغيب من اهتمامه أشياء أخرى، وهذا مدخل الضرورة في بناء علم مستقل متميز عن كل علم آخر هو "لسانياتالنص" (Textlinguistics) أو (LinguistiqueTextuelle).

3- الغاية:² يسعى كل من نحو الجملة ونحو النص إلى وصف النظام الذي يقوم به موضوع درسه، والنظام هو مجموعة العلاقات التي تحكمها قواعد تقييم معايير يقاس عليها الكلام، فيكون صحيحا مقبولا، أو صحيحا من حيث الشكل غير مقبول من حيث المعنى، أو غريبا خاطئا من حيث المعنى، مقبولا من حيث الشكل (البناء النحوي)، أو خاطئا معنى وغير مقبول لعدم مطابقته أي شكل من الأشكال اللغوية التي توافق نظام اللغة.

فالصحة ترتبط بالبنية "الموافقة للشكل أو خروجها عنه. أما المقبولية فيحكمها المعنى. أما في نحو النص فلا وجود لقواعد معيارية كما هو في نحو الجملة. فالنص من هذه الوجهة "يفلت

1- المرجع السابق، ص: 17.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 20.

من الضبط، لا لأنه يعسر ضبطه وإنما لاختلاف المعايير الضابطة له في التصور القديم عن ضوابط الجملة¹، والحديث عن نحو الجملة ونحو النص هل هما اتصال لنحو واحد أم هناك قطيعة بينهما فيه العديد من وجهات النظر، التي لسنا بصدد الخوض فيها هنا. وإنما كان هدفنا توضيح نقطة الوصل بين لسانيات الجملة أو نحو الجملة، لسانيات النص أو نحو النص من حيث مجال الدراسة، إذ يصنف نحو الجملة ضمن دراسة اللسان، ومنهج علم اللسان ومنهج لسانيات النص أو نحو النص هو دراسة الكلام وكل من اللسان والكلام هما ثنائية من ثنائيات دوسوسير. ولا يمكن فصل الكلام عن اللسان، فالتعبير اللغوي يبدأ فردياً ويكون حينئذ مجاله الكلام، ثم يصبح جماعياً فيدخل مجال اللسان².

فمن لسانيات الجملة انتقل البحث اللساني إلى مجال أوسع هو لسانيات النص. فمتى ظهرت؟ ومن هم أول من ألف فيها؟.

يذكر سعيد حسن بحيري عن نشأة علم النص، أنه لم ينشأ ببلد معين أو بمدرسة بعينها أو باتجاه محدد، بل عكس ذلك كله، فإن أقطابه مختلفة. حاول منها لسانيون مختلفون تلمس البدايات الأولى في أعمال محددة، تعود نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين³.
إلا أن "البداية الفعلية لهذا العلم كانت في بداية السبعينات"⁴.

وأما عن الأعمال الأولى التي رسمت معالم علم النص، فيذكر مفتاح بن عروس في مقدمة أطروحته الإتساق النصي أهم هذه البحوث والدراسات وهي:

• محاولة هاريس من كتابته لمقال "تحليل الخطاب حيث تكلم عن وحدة أكبر من الجملة سماها دون تمييز تارة النص (Texte) وأخرى الخطاب (Discours) وتارة أخرى القول المتتابع (énoncé suivi)⁵، وكان ذلك سنة 1952م.

1- المرجع السابق، ص: 20.

2- ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص: 35.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 17.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- ينظر: مفتاح بن عروس، الإتساق و الانسجام في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه الدولة، تخصص: لسانيات النص، قسم

اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007-2008، ص: 06.

ويذكر مفتاح بن عروس في مقدمة رسالة الماجستير الموسومة بالاتساق النصي دراسة لظاهرة العائد في اللغة العربية المحاولات الأولى التي تبعت مقال هاريس في الحديث عن وحدة أكبر من الجملة هي¹:

- مقال للباحث "إوالدانغ" « EWALD Lang » نشر في مجلة "اللغة" « Langage » بعنوان: « Quand une grammaire de texte est-elle plus adéquate qu'une grammaire de phrase ».

- وبعده بفترة قليلة (1973م)، كانت هناك محاولة لتعريف النص، التي قام بها (V.Dijk) فان ديك.

- ثم محاولة "جان ميشال آدم (J.M.Adam) التي قام فيها بتقديم تحديد للنص عن طريق مقارنته بالجملة، وكان ذلك سنة (1976م).

- وغير بعيد عن هذا قام ميشال شارول (M.Charolles) سنة 1978م بوضع تحديد للنص أيضا من مقارنته بين الجملة والنص.

- والمحاولة نفسها لتحديد مفهوم النص، قام بها هاليداي (M.A.K.Halliday)، حين قارن فيها بين الجملة والنص.

ونلاحظ هنا أنّ بدايات ظهور لسانيات النص كانت مجرد أعمال متفرقة هنا و هناك، لباحثين لسانيين حاولوا تعريف وحدة لغوية أكبر حجما من الجملة هي "النص".

- الهدف من لسانيات النص:

لقد كان وصف الأبنية اللغوية وحده عاجزا عن تفسير النص بدقة، لذلك ظهرت الحاجة إلى الاستعانة بعناصر غير لغوية (خارجة عن اللغة) مثل المقام و علاقته مع المتكلم وتأثير الكلام في المتلقي، وما ينجم عنه من أفعال وأقوال. لهذا فمهمة علم النص أو لسانيات النص هو وصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي أو أشكال الاتصال وتوضيحها. كما يطمح علم النص "إلى شيء أكثر عمومية وشمولا، فهو من ناحية يشير إلى جميع أنواع

1- ينظر: مفتاح بن عروس، الاتساق النصي، ص: 02-03.

النصوص وأنماطها في السياقات المختلفة، كما أنه من ناحية أخرى يتضمن جملة من الإجراءات النظرية والوصفية والتطبيقية ذات طابع علمي محدد.¹ فلسانيات النص تسعى إلى تحليل البنى النصية واكتشاف العلاقات النسقية التي تتمثل في آليات اتساق النصوص وانسجامها، والكشف عن أغراضها التداولية، حيث يرى صبحي إبراهيم الفقي أن مهام لسانيات النص تتمثل في إحصاء أدوات الروابط التي تسهم في التحليل، والوصف لشكل النص، وموضوعاته ووصف هذه الأدوات والروابط وتحليلها بإبراز دورها في تحقيق التماسك النصي مع الاهتمام بالسياق وأنظمة التواصل المختلفة.²

ويرى دي بوجراند أن العمل الأهم للسانيات النص هو دراسة مفهوم النصية (Textuality)، لأنه عامل ناتج عن الإجراءات الإتصالية المتخذة لأجل استعمال النص.³

ويرجع صبحي إبراهيم الفقي الأسباب الملحة إلى الانتقال إلى دراسة النص؛ إلى أن أوجه الترابط التي أفرزتها التحليلات على مستوى الجملة لم تعد كافية لتغطية مستوى النص. كما أن من أسباب اللجوء إلى دراسة النص هو العلاقة بين فقرة وأخرى ونص ونص آخر، إذ لا يمكن إدراك هذه الصلة والترابط من خلال نحو الجملة بل لابد من تجاوز الجملة إلى النص.⁴

لقد حاولنا في هذا المدخل الإشارة إلى أهم النقاط التي تم فيها الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص، في حين خصصنا المبحث الأول من هذا الفصل إلى ذكر أهم مصطلحات هذا العلم وبيان مفاهيمها.

فلسانيات النص جاءت لتمييز النص عن اللانص، فما هو نص يمكن أن يعتمد في الدراسة والوصف والتحليل النصي، في حين أن ما ليس نصًا فهو غير قابل للتحليل، أو يمكن

1- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992م، ع: 164، ص: 229.

2- ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص: 56.

3- ينظر: دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 95.

4- ينظر: المرجع السابق، ج1، الصفحة نفسها.

أن يكشف التحليل عن مدى ترابط النص بالعلاقات الاتساقية بين أجزائه والتحامها وانسجامها وتحققها لعملية التواصل، والعكس بالعكس.

فلسانيات النص هي مجال أوسع من لسانيات الجملة هدفها هو تحديد الوسائل التي تربط الجمل بعضها ببعض للوصول إلى وحدة أكبر هي النص.

المبحث الأول: لسانيات النص: مصطلحاتها ومفاهيمها.

المبحث الأول: لسانيات النَّصِّ ومصطلحاتها ومفاهيمها:

لسانيات النص علم حديث النشأة - كما سبق أن ذكرنا في المدخل إلى هذا الفصل - ولكل علم مصطلحاته ومفاهيمه. إلا أن ما يمس كل علم من العلوم الحديثة النشأة؛ هو تداخل في مفاهيم مصطلحاتها لأول وهلة بسبب ترجمة المصطلحات من لغة إلى أخرى، وكذا المترادفات في اللغة المترجم إليها من جهة. وانتقال دلالة المصطلح من لغة العامة إلى اللغة المتخصصة أو من علم إلى علم آخر من جهة أخرى....، ثم تدريجياً وبمرور مدة من الزمن تستقر مصطلحات العلوم الحديثة النشأة، بمجرد ما أن يستقر ذلك العلم المستحدث وتتطور نظرياته وتكتمل.

ونحاول في هذا المبحث التركيز على أهم مصطلحات لسانيات النص، وتوضيح مفاهيمها. وأول مصطلح يتعين علينا تحديد مفهومه هو مصطلح: "النص". غير أن تعريفه كما يذكر بعض الباحثين هو: "أمر صعب لتعدد معايير هذا التعريف و مداخله ومنطقاته...."¹ وأحسن مدخل إلى تعريف أي مصطلح وتحديد معنى أي مفردة هو المعجم، لهذا لا بد من تحديد معنى مفردة "النص" لغة كما جاء في معاجم اللغة العربية قديمها وحديثها. وكذا المعاجم الأجنبية بحكم أن المصطلح مفردة مترجمة وهو مقابل للمصطلح الأجنبي: / (Le texte) (The text) ثم تحديد مفهومه الاصطلاحي لنكشف عن العلاقة الدلالية للمعنيين اللغوي والاصطلاحي لمفردة "نص" عند اللسانيين النَّصِيِّين.

1-النص (Le texte):

أ- معنى النص لغة:

النص لغة مأخوذ من الأصل الصحيح نص (ن. ص. ص.)²، نقول: "نصتُ الحديث إلى فلان نصّاً أي رفعته .." و "المنصّة: التي تقعد عليها العروس ..." و "نصت الرجل:

1- الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 11.

2- ينظر: الفراهيدي، كتاب العين، ج7، ص: 86-87. ينظر: الأزهر، تهذيب اللغة، ج12، ص: 117، وينظر: ابن فارس، مقاييس اللّغة، ج5، ص: 356.

استقصيتُ مسألته عن الشيء"، و "يقال نص ما عنده أي استقصاه حتى يستخرج ما عنده". و"نص كل شيء منتهاه" و "النَّص: رفعك الشيء"، و "نصصتُ ناقتي: إذا رفعتها في السير... وقال الأصمعي: "النَّصُّ السَّيرُ الشَّدِيدُ حتى يستخرج أقصى ما عندها"¹.

ومن معاني "نص" أيضا: "قولهم نصصت المتاع إذا جعلت بعضه على بعض"². ومن معانيه الحركة والتحريك و"النصنصة إثبات البعير ركبتيه في الأرض وتحركه إذا هم بالتهوض.... ونصنصت الشيء حرَّكته"³، ومن معاني نصَّ أيضا⁴: الاستواء والاستقامة، و"انتص الشيء وانتصب، إذا استوى واستقام". وكذلك من معانيه: التعيين والتوقيف ف "النَّصُّ الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والنَّصُّ: التَّوقيف، والنَّصُّ التَّعيينُ على الشيء".

- وجاء في المعجم الوسيط⁵:

" نصوا فلانا سيذا: نصَّبوه". و(المنصَّوصُ) عليه: المبيِّن المعينُ". " والنَّصُّ: صيغةُ الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف...، وما لا يحتملُ إلا معنى واحدا، أو لا يحتمل التَّأويل، و منه قولهم: لا اجتهاد مع النَّصِّ".

نستخلص من كل ما سبق ذكره عن معاني مفردة "نص" لغة أنه:

* الرِّفَع والارتفاع والظهور.

* منتهى الشيء وبلوغ غايته وأقصاه.

* استقصاء الشيء وتتبع منتهاه، وبلوغ أقصى ما عنده.

* الحركة والتَّحريك.

* التَّراكم وجعل بعض الشيء فوق بعضه الآخر.

* الاستواء والاستقامة و الانتصاب.

1- ينظر: المعاجم السابقة، الأجزاء نفسها، الصفحة نفسها. وينظر: الجوهري، الصحاح، مج3، ص: 1058. مادة: (ن ص ص).

2- ابن منظور، لسان العرب، مج6، ص: 4440. (مادة ن ص ص).

3- الفراهيدي، كتاب العين، ج7، ص: 87.

4- ينظر الأزهرى: تهذيب اللغة، ج12، ص: 116-117.

5- مجمع اللغة العربية جمهورية مصر العربية، المعجم الوسيط، القاهرة - مصر، ط4، 2004م، ص: 926.

* التّعيين والتّوقيف والإسناد إلى الأعلى والتّبيين.

نلاحظ أن هناك دلالة لغوية - تقترب إلى مفهوم مقابل للمصطلح الأجنبي (Text) - وردت في المعجم الوسيط هي: أن النّص كلام أو صيغة الكلام الأصلية التي تحتمل التّأويل ولها معنًى واحدٌ وصريحٌ.

نفهم من هذا كله أنّ النّص كلام مفيد وواضحٌ وصريحٌ أي له خاصية وجود الفائدة مباشرة لا تتحمل التّأويل ولا الغموض.

ب- مفهوم النّص اصطلاحاً:

يعرف هاليداي (Halliday)، ورقية حسن (Ruqaya Hassan) النّص بأنّه " كلمة تستخدم في اللّسانيات لتدل على أي فقرة (any passage) منطوقة أو مكتوبة، مهما طالت أو امتدت ... والنّص هو وحدة اللّغة المستعملة وليس محدّدًا بحجمه... و يرتبط عموماً بالطريقة التي ترتبط بها الجملة بالعبارة ... ولا شك أنه يختلف عن الجملة في النوع"¹.

ويضيف هاليداي ورقية حسن بقولهما في تحديد مفهوم النّص أنّه وحدة دلالية (A semantic unit) وهذه الوحدة ليست شكلاً (form) بل هي معنى (meaning)، فالنّص يتصل بالعبارة أو بالجملة، بالفهم والتحقيق لا بالحجم². هذا هو المفهوم المتكامل للنّص في آخر ما وصلت إليه لسانيات النّص وقتئذٍ مع مؤلّف هاليداي ورقية حسن. غير أن هناك كثيرين من حاولوا تحديد مفهوم النّص؛ وهم يتفاوتون في تعريفه كل يركز على وجهة معينة نذكر من هذه التعريفات ما يلي:

- النّص هو: " الورود الطبيعي للغة يعني دائماً أفعالاً كلامية واقعة وسياقات أفعال.

¹- Vu : M.A.K HALLIDAY. And Ruqaya HASSAN. Cohesion in English, LONGMAN, London and New York, 1976, P: 01.

²- Vu : Ibid, P :02.

(ينظر في الترجمة إلى العربية: شريف بلحوت، الإحالة، دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (Cohesion in English) م.أ.ك. هاليداي ورقية حسن، مذكرة ماجستير، تخصص ترجمة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ص:

ونطلق على اللغة الواردة في تلك الأفعال الكلامية نصاً¹. فالنص هنا هو الفعل أو العملية التي يقوم بها المتكلم الطبيعي أثناء استعماله للغة الطبيعية.

- والنص عند دومينيك مونغونو (DOMINIQUE MAINGUENEAU): " انطلاقاً من المسلمة المنطقية، النص ليس مجرد تتابع لجمل تشكّل وحدة لغوية محدّدة... إذ يمكن للمتحدثين إنتاج وتفسير ملفوظات تتجاوز حدود الجملة"².

- ويعرفه برنكر (Brinker) وإيزنبرج (Isenberg) وشتاينتز (Steinitz) وغيرهم - حسب أحمد عفيفي- أنّ النصّ: " تتابع مترابط من الجمل، ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزءاً صغيراً ترمز إلى النصّ، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام، أو علامة تعجب، ثم يمكن بعد ذلك وصفها على أنّها وحدة مستقلة"³. وهنا إشارة إلى علامات الوقف التي ذكرناها في الفصل الأول من هذا العمل، على أنّها التعبير بالرموز عن عملية الوقف التي تفصل أجزاء الكلام بعضها عن بعض. غير أن هذا التعريف فيه نقص إذ يوحي بأنّ النصّ قد يكون تراكماً من الجمل المتراففة المتتالية، أو مركباً من عدة جمل أو نصوص قد تؤدي إلى غموض النصّ. أو انعدام الروابط أحياناً لاستقلال الجمل نسبياً. ولهذا علق "برند شبلنير" (Brend spillner) على هذا التعريف بقوله إنّ: "هذا التعريف كما هو واضح دائري بمعنى أنّه يوضح النصّ بالجملة، والجملة بالنصّ، كما أنّه غير منهجي علمياً، لغموض الرموز والعلاقات التي يتضمنها اتساع الوصف، ومن ثم لا يمكن تطبيقه"⁴. فلا يمكن

1- ينظر: فرنزكليماير وآخرون، أساسيات علم لغة النص، تر: حسن سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2009، ص: 51.

2 - «en partant du postulat , de bon sens , qu'un texte n'est pas une simple succession de phrases qu'il constitue une unité linguistique spécifique . Puisque les sujets parlants sont capables de dire d'une suite de phrases si elle est cohérente ou non on est en droit , pensait - on , de poser l'existence d'une sorte de « compétence textuelle » en vertu de laquelle les locuteurs peuvent produire et interpréter des énoncés qui dépassent le cadre de la phrase. »
-Eléments de linguistique pour le texte littéraire , DOMINIQUE MAINGUENEAU , DUNOD,paris, 1993,P :143 .

2- أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 22.

4- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تطبيقه لعدم وضوح الحدّ الفاصل بين الجملة والنّص كما يقول أحمد عفيفي¹ هذا من جهة، ومن جهة أخرى إمكانية وصف الجمل على أنها وحدات مستقلة. فلا يمكننا الفصل هنا من هذا التعريف في مسألة أنّ النّص وحدة أكبر من الجملة وتوسيع مجال الدّراسة من دراسة الجملة إلى دراسة النّص.

- والنّص في معجم اللّسانيات هو كل: " مجموعة ألفاظ لسانية خاضعة للتّحليل... ويمكن أن يكون منطوقاً أو مكتوباً"².

وبما أنّ النّص هو هدف البحث في لسانيات النص، فقد قدّم علماء اللغة عدة تعريفات قسمها بعضهم إلى قسمين:³ الأول: يصف المكونات اللّغوية للنّص، وكيفية تنظيمها مما يشكل نصاً متماسكاً. أي يرتبط بالاتساق النّصي و آليته، وكل ما يدرس نسيج النّص والعلاقات اللّغوية بين الجمل المكونة له.

أما الثّاني فيرتكز على النّص باعتباره حدثاً تواصلياً أي تفاعلاً لغوياً يرتبط بثلاثة أبعاد رئيسية هي: كيفية استخدام اللّغة، وكيفية إنتاج النّص، والتّفاعل في السياقات الاجتماعية. وهنا يتداخل علم النّص مع علوم أخرى - كما سنوضح ذلك في المبحث الموالي -، منها علم اللّغة، وعلم النّفس وعلم الاجتماع

2- الخطاب (Le Discours):

أ- الخطاب لغة: من الأصل الثلاثي الصحيح (خ. ط. ب)، منها⁴ الخطبُ الشّان والأمر صَعُرَ أو عَظُمَ، وقيل هو سبب الأمر، يقال: ما خطبك؟ أي: ما أمرك؟ وتقول هذا خطب جليل وخطب يسير، والخطب كذلك الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشّان والحال، ومنه قولهم: جل الخطب أي عظم الأمر والشّان، وجمعه خطوب، ويقال خطب المرأة يخطبها خَطَبًا وخطبةً بالكسر، والخطبُ الذي يخطبُ المرأة...، واختطب القومُ فلاناً إذا دعوه على تزويج صاحبته.

1- ينظر: المرجع السّابق، ص: 22-23.

2- Jean Dubois et autre , Dictionnaire de Linguistique, LAROUSSE, paris, 2001, p :482. (ترجمتي)

3- عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، تقديم: سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، ط2، 1430هـ - 2009م، ص: ز.

4- ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص: 275.

والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا، وهما يتخاطبان، والخطبة عند العرب الكلام المنثور والمسجع ونحوه.

وقال الراغب الإصفهاني: "الخطب والمخاطبة والتخاطب: المراجعة في الكلام ومنه الخُطْبَةُ والخُطْبَةُ لكن الخُطْبَةُ تختص بالموعظة، والخُطْبَةُ بطلب المرأة، ويقال من الخُطْبَةِ خاطب وخطيب ومن الخُطْبَةِ خاطب لا غير، والفعل منها خَطَبَ. والخَطْبُ الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب...، وفصل الخطاب ما ينفصل به الأمر من الخطاب"¹. فمعنى (خ. ط. ب) تدور لغة حول دلالة محورية هو الأمر أو الشأن الذي يحدث فيه أو من أجله المخاطبة أو الخطاب.

ب. مفهوم الخطاب اصطلاحاً:

ويعرفه "إيميل بنفنيست" (E. Benveniste)، بأنه "كل تلفظ يفترض متكلماً، ومستمعاً ويكون لدى المتكلم مقصد التأثير في الآخرين على نحو ما وبطريقة ما"². فالخطاب في نظر بنفنيست لا يتحقق إلا بوجود ثلاثة عناصر هي: المخاطب، المخاطب، والقصد. وقد أشار الجابري إلى أن الخطاب - أو نظام الخطاب - لا يتعدى ما عبّر عنه الجرجاني بـ ((تعليق)) الكلام بعضه على بعض مع ((توخي معاني النحو وأصوله وقوانينه)) مع ما يرتبط بذلك ممّا أسماه السكاكي المعرفة بـ ((خواص تراكيب الكلام وصياغات المعاني))³.

ويذكر الجاحظ في مسألة مفهوم فصل الخطاب من أنّه قدرة المتكلم على إيصال رسالته من أيسر الطرق دون كلفة بقصد التأثير في المتلقي، قال الجاحظ فيما نقله عن عمرو بن عبيد: "إنك إن أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين، وتخفيف المؤونة على المستمعين،

1- الراغب الإصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، (دم)، (د ط)، (د ت)، ج1، ص: 157.

2- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 121.

3- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، الرباط - المغرب، ط9، 2009م، ص: 108.

وتزيين تلك المعاني في قلوب المریدین بالألفاظ المستحبة في الآذان المقبولة على الأذهان رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب"¹. فالخطاب كما أوضح معناه الجاحظ مبناه على مخاطب ومخاطب وعناصر القول المؤثر في المخاطبين من إقامة الحجة باستعمال آليات اللغة كالتوكيد والتقديم والتأخير واختيار الألفاظ المناسبة، والتخفيف على المستمعين ونفي الشواغل عنهم (أي الغموض أو انصراف الذهن إلى التفكير في شيء آخر...).

فتعريف الخطاب عند الجاحظ جاء منذ زمن في أكمل معانيه بعكس ما عرّفه اللسانيون الغربيون الذين، يتجاوزوا حدود التفرقة بينه وبين الجملة في الشكل والحجم. إذ يعرفه هاريس بقوله هو: "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نطل في مجال لساني محض"².

أما "جون ديبوا" فيعرفه بقوله إن الخطاب: " هو كل وحدة مادية مساوية أو أكبر من الجملة؛ ومكونة من سلسلة تشكل رسالة لها بداية ونهاية"³. نلاحظ من هذا التعريف أن مفهوم الخطاب اصطلاحاً عند علماء العربية أدق مما هو عند اللسانيين الغربيين المحدثين، إذ عرّف علماء العربية وحدّدوا آلياته بدقة، في حين اكتفى اللسانيون الغرب بتعريف سطحي شكلي للخطاب.

ومن هنا تبدو معالم لسانيات النص أو الخطاب جلياً عند علماء العربية في مباحث علم البلاغة والبيان أسبق وأعمق من حيث الزمن والمضمون والمفاهيم العلمية.

1- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص: 114.

2- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الدار البيضاء - المغرب، ط3، 1997، ص: 17.

3 -Jean Dubois et autre , Dictionnaire de Linguistique, p :150. (ترجمتي)

والخطاب كما يظهر في الدراسات المختلفة عملية تواصل تحدث في إطارين تحدّدهما
خلود العموش في ما يلي:¹

- إطار لغوي، يكون متواليّة من الجمل المكتوبة أو المنطوقة ينتجها متكلّم واحد أو أكثر
من واحد، كما يحدث في الحوار أو غيره.
- إطار غير لغوي يشمل كلاً من العادات و التقاليد والأعراف ... وهو ما أطلق عليه
(إنثو جرافيا الخطاب).

ج- الفرق بين النص والخطاب:

يتداخل مفهوم مصطلحي النص والخطاب تداخلاً كبيراً في الدرس اللغوي الحديث لدرجة
يصعب فيها التمييز بينهما على حد قول بعضهم².
واختلفت الآراء في تباين المفهومين أم ترادفهما؟!.
فمن بين الذين يرون أن النصّ هو الخطاب:

- روجر فاوّلر (Roger Fowler) يقول إنّ: " كل نص خطاب، فعل لغة من لدن
مؤلف ضمنّي له تصميم محدد الهوية"³.

- ومن الذين جعلوا من المصطلحين مترادفين لمفهوم واحد جوليا
كريستيفا⁴ (J. Kristeva)، التي ترى بأن النصّ الأدبي خطاب يخترق في هذه الآونة العلم
والأيديولوجيا والسّياسة.

- ويستخدم مصطلح "النص" غالباً مقابلاً لمصطلح "الخطاب"، كما هو الحال في
دراسات جرار جنيت (J.Génette) وتدوروف (Todorov) وفاينريش (H.Weinrich)⁵.

1- خلود العموش، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النصّ والسياق، الجامعة الهاشمية، الأردن، (د ط)، (د تا)، ج1،
ص: 23.

2- المرجع السابق، ج1، ص24.

3- فاوّلر روجر، اللّسانيات والرّواية، تر: لحسن احمامة، دار الثقافة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1997م، ص: 66.

4- جوليا كريستيفا، علم النصّ، تر: فريد الزّاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال، الدّار البيضاء - المغرب، ط2،
1997، ص13.

5- تدوروف وآخرون، في أصول الخطاب النّقدي الجديد، تر: أحمد المدني، 1997، ص: 105.

ومن كثرة تداخل المصطلحين ما أدى بمحرري المعجم الموسوعي للسميائية إلى معالجة المفهومين في فقرة مشتركة¹.

غير أن هناك من فرق بين مفهومي المصطلحين - النص والخطاب. حيث يرى "مايكل ستابلز" (Michel Stables) بأن هناك فروقات طفيفة بين مصطلح "النص" و"الخطاب" منها أن النص يكون مكتوباً سواء أكان طويلاً أم قصيراً، ويتميز بالانسجام في الشكل والصيغة، في حين أن الخطاب يكون مشافهة (محكيًا) طويلاً، وعميق الانسجام من حيث الدلالة أو المعنى²، معنى ذلك أن الفرق بين النص والخطاب في الشكل وحسن السبك، لما لأهمية الكتابة مقارنة مع ما هو شفهي، يركز فيه المتكلم المخاطب على بلاغة الكلام؛ وحسن التأثير في المتلقي، وإن كان الخطاب قابلاً لأن يحتوي بعض الهفوات الناتجة عن المشافهة والارتجال مثل: التسيان، والتكرار، والسعال، والانقطاعات الناتجة ربّما عن الحوار والتفاعل مع المخاطب...

ويرى ميشال شارولز (M.CHAROLLES) أن النص مجموعة لسانية منغلقة على نفسها، لأنها بنية صورية مجردة في زمن المتكلم؛ الذي يقوم بتوسيعها إلى خطاب وذلك بدمجها مع المقام، أما الخطاب فهو مجموعة لسانية مفتوحة على المقام الذي هو شرط إنتاجها في المقام³.

ويفرق "ميشال فوكو" (M.Foucault) بين النص والخطاب، حيث يرى أن الخطاب يختلف عن النص؛ باعتباره مصطلحاً لسانياً يتميز عن النص والكلام والكتابة وغيرها. إذ يشمل الخطاب كل إنتاج ذهني سواء أكان نثرًا أو شعرًا، منطوقًا أو مكتوبًا، فرديًا، أو جماعيًا، ... في

1-Vu: Encyclopedic Dictionary of Semeiotics, p1088

2- ينظر: سارة ميلز، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2016، ص: 16.

3- ينظر: الزهرة ختو، ملامح التحليل النصي في التحرير والتتوير سورة الإسرائ، أنموذجاً، أطروحة دكتوراه الطور الثالث ل م د، تخصص: لسانيات النصوص والخطاب، إشراف الأستاذ: مفتاح بن عروس، قسم علوم اللسان، كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية، الجزائر ، 2016-2017، ص: 18.

حين أن المصطلحات الأخرى تقتصر على جانبٍ واحدٍ، فالخطاب عند "فوكو" هو " كل كلام أو نصوص ذات معنى وتأثير في عالم الواقع"¹.

أما فان ديك (V.Dijk)، فيقدم تمييزا دقيقا لمفهوم النص والخطاب، إذ يرى أن النص بنية عميقة في حين أن الخطاب يمثل البنية السطحية، فهو ينظر إليهما بوصفهما مظهرين، يمثل النص المظهر التجريدي، ويمثل الخطاب المظهر الحسي، أي الوحدة اللسانية التي تظهر في شكل الملفوظ اللغوي.²

وتختصر "خلود العموش" مختصرا مفيدا ودقيقا عن كل البحوث المتصلة بمصطلحي (الخطاب) و(النص)، لتفرق بينهما بشكل فاصل، إذ تجد أن "الخطاب كلمة تستخدم للدلالة على كل كلام متصل اتصالا يمكنه من أن ينقل رسالة كلامية من المتكلم أو الكاتب، وليس كل خطاب نصًا، وإن كان كل نص بالضرورة خطابا، فالكلام المتصل خطاب، ولكنه لا يكون نصًا إلا إذا اكتمل ببداية ونهاية وعبر عن موضوعه ببناء متماسك منسجم"³.

يتضح من كل هذا أن الخطاب بنية اجتماعية محسوسة أما النص فهو بنية لسانية صورية مجردة، ويمثل المقام شرطًا أساسًا لإنتاج الخطاب، ويعزى له الدور في صياغة العناصر اللغوية في الملفوظ أو ما يسمى بالسياق⁴.

وهنا يتضح أن لمصطلح السياق علاقة بالنص وعامل من عوامل التحليل النصي. كما أن مفهومه لاقى في البداية بعض الغموض ثم فرّق الباحثون بين سياق النص (اللغة) وسياق المقام. وهنا نرى ضرورة التطرق ولو باختصار إلى مفهوم مصطلح السياق؛ كونه من بين المصطلحات المهمة في لسانيات النص. إذ ارتبط هذا المصطلح في كثير من المؤلفات والدراسات بمصطلحي (النص) و(الخطاب).

1 - سارة ميلز، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، ص:18.

2- ينظر : خلود العموش، الخطاب القرآني، ج1، ص:24.

3- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

4- ينظر : الطاهر لوصيف، المقاربة التبليغية وتعليم اللغة وتعلمها، مجلة لغات ، جامعة الجزائر، ع3، 2004، ص:

3- السياق (context):

أ- السياق لغة¹: من ساق الإبل يسوقها سياقاً، وتساوقت الإبل أي تتابعت. وفلان يسوق الحديث أحسن سياق، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، ومعنى السياق أيضا النمط الذي يتخذه الحديث في تتابعه، وساق الحديث: سرده وسلسله وساقه: تابعه وسايره وجاراه، وسياق الكلام: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه.

ب- السياق اصطلاحاً: أما السياق اصطلاحاً، فليس وليد المدارس اللغوية الحديثة حسب، بل كان محور اهتمام علماء العربية فقد اهتموا بالسياق الذي أطلقوا عليه: المقام أو مقتضى الحال، حين عبروا عنه بقولهم: "لكل مقام مقال". كما اهتم النقاد والدالليونواللسانيونوالأسلوبيون بالسياق من جهات مختلفة، وتعددت الميادين واختلفت الاتجاهات النظرية لأصحابها؛ ورغم ذلك فإنها "تتفق في أن السياق يفسر الكثير من العمليات المصاحبة لأداء اللغة في وظيفتها التواصلية والإبلاغية لدى كل من منتج الكلام والمتلقي، وأنه ركن أساسي في فهم الرسالة اللغوية"².

والسياق نوعان³: السياق اللغوي، والسياق الحالي أو المقامي.

والأول منهما: أي السياق اللغوي - هو الذي يعطي الكلمة أو العبارة معناها الخاص في الحديث أو النص، فهو يزيل اللبس.

والثاني: هو سياق الحال أو المقام، فهو ما يزيل اللبس عن الجمل والنصوص.

ويجمعهما آدم بقوله إن "السياق عنصراً يكمل أو يتيح التفسير العام للمنطوق والمقام الذي يأتي منه، إما بشكل مباشر أو غير مباشر... ثم تتداخل المعطيات المستمدة من البيئة

1- ينظر : الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ج1، ص328-329، وينظر: ابن منظور لسان العرب. وينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، وينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، وينظر: معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط. مادة: (س ي ق).

2- خلود العموش، الخطاب القرآني، ص:26.

3 - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

اللغوية المباشرة، مع المعطيات المستمدة من الوضعية غير اللغوية¹. ويقصد بالبيئة اللغوية المباشرة السياق اللغوي. أما الوضعية غير اللغوية فيقصد بها المقام.

ولسنا هنا بصدد التوسع في تعريفات هذه المصطلحات، إنما هدفنا ذكر أهم مصطلحات لسانيات النص وتبيان وتوضيح مفاهيمها. ويعتبر المقام عنصرا مهما جدا من عناصر النص، ومعطى من معطياته، التي تعين في تفسير وفهم النص بشكل أكثر وضوحا، وهو في لسانيات النص من أهم الظروف والملابسات التي تحقق دراسة النص بشكل أكثر عمقا وأقرب تصوّرا وفهما. "ودراسة النص اللغوي وفهمه فهما عميقا يحتاج إلى معرفة بالعوامل السياقية، وفي مقدمتها الثقافة والبيئة والوسط الاجتماعي"². فالمقام عنصر مهمّ جدًا ووسيلة من وسائل تحليل النص، وهو من وسائل ومعطيات تحقيق الانسجام.

4- لسانيات النص: (linguistique textuelle)(text linguistics):

إن حديثنا عن هذا المصطلح يحيلنا إلى مجال دراسة بحد ذاته، وقد تحدثنا في المدخل من هذا الفصل عن ظروف نشأة هذا العلم. والذي نريد الإشارة إليه هنا هو مصطلح لسانيات النص، والمترادفات المختلفة التي عبّرت عنه في اللغة العربية. والغاية من هذا إلمام القارئ لهذا البحث بمختلف المصطلحات المقابلة لمفهوم واحد هو "لسانيات النص".

لقد ذكر بعض الباحثين أنّه لا صعوبة تواجه علما من العلوم مثلما تواجه علم لغة النصّ " حيث إنّ بعد مرور ما يربو على ثلاثة عقود على نشأته الفعلية لم يتحدد بدرجة كافية"³.

ولعل سبب هذه الصعوبة ترجع إلى منشأ هذا العلم حيث يرجعه الدارسون إلى علاقة النصّ بعلوم أخرى، " فقد أصبح هناك تواصل بين علم اللغة وعلوم أخرى كثيرة مثل: علم الاجتماع، وعلم الأجناس البشرية، وعلم الوراثة، وعلم الحياة العام، وعلم وظائف الأحياء... الخ، وكذلك علم اللغة النصّي اتصل بدوره بعلوم الأدب والبلاغة والشعر، والأسلوب وعلوم النفس

1-LA LIGUISTQUE TEXTUELLE ,ADAM, 3^eédition ,cursus lettres , Armand colin,Paris ,2011 ,P : 38 .

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصّي، ج1، ص: 24-25.

والاجتماع والفلسفة وغيرها"¹. حيث كان لهذا الاتّصال بين علم النّصّ وهذه العلوم سبباً في صعوبة تحديد هذا العلم. غير أنّ مصطلح علم النّصّ

وعلم النص عند الغرب هو: " الدّراسة اللّسانية لبنية النّص "2. أمّا مقابله في اللّغة العربية فقد حدث له مثل كل المصطلحات المترجمة لمفاهيم العلوم في مختلف التخصصات، وهذا من إشكاليات علم المصطلح التي لا يزال يواجهها الباحثون في علم المصطلح، وهي المرادفات المختلفة لمفهوم واحد، فلسانيات النّص هي أحدث فروع اللسانيات وأهمّها كونها نقطة التقاء وتكامل كل علوم اللسان انطلاقاً من الصّوت اللغوي وصولاً إلى الكلام في أدنى شكل له، وهو إيصال الفكرة المعبر عنها، وأرقى أشكال الكلام وهو الشعر والنثر الأدبي الفني الجمالي.

وهنا نجد عددًا من العلماء والباحثين عرب الذين عرّفوا لسانيات النّص واختلفوا في المصطلح المقابل لها باللّغة العربية. نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- تدرس لسانيات النّص "النّص من حيث هو بنية مجردة تتولّد بها جميع ما نسمعه ونطلق عليه لفظ (نصّ) ويكون ذلك برصد العناصر القارّة في جميع النّصوص المنجزة"³. ويقصد بلسانيات النّص هنا "نحو النّص" أي استقراء واستنباط كل القوانين التي تحكم النّظام العام للنصوص. في مقابل "نحو الجملة" الذي توصلت إليه كل المدارس اللسانية بدءاً من دوسوسير إلى المدرسة التّحويلية التّوليدية عند تشومسكي.

- تختلف لسانيات النّص عن جميع العلوم الأخرى التي تهتمّ بالنّص في أنّها تتجاوزها لأنّها أقصاها تجريداً في ما تقيّمه⁴.

- وإذا عرّفناها انطلاقاً من هدفها لسانيات النّص هي: " الوصف والدّراسة اللغوية للأبنية النّصية، وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التّواصل النّصي"⁵.

1 - المرجع نفسه، ص: 25.

2-The CAMBRIDGE ENCYCLOPEDIA OF LANGUAGE, DAVID CRYSTAL, second edition, CAMBRIDGE university press, p: 438.

3 - الأزهر الرّزاد، نسيج النّص، ص: 18.

4 - ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

5 - أحمد عفيفي، نحو النّص، ص: 31.

- لسانيات النص " فرع من فروع علم اللغة مادتها الأساسية هي النص منطوقاً كان أو مكتوباً، وذلك من خلال دراسة جوانب عديدة، أهمها الترابط ووسائله والإحالة المرجعية وأنواعها، وسياق النص ودور المشاركين في إنتاجه.¹

- لسانيات النص كونها منهجاً يتكفل " بدراسة بنية النصوص وكيفيات اشتغالها، وذلك من منطلق مسلمة منطقية، تقتضي بأن النص ليس مجرد تتابع مجموعة من الجمل، إنما هو وحدة لغوية نوعيّة ميزتها الأساسية الاتساق والترابط.²

نلاحظ من كل هذه التعريفات أنها تشترك في أنّ لسانيات النص هي العلم الذي يدرس بنية النص. وهو تعريف يتوافق مع تعريفها عند العرب.

أما بخصوص الترجمات المختلفة لمصطلح "لسانيات النص" في المؤلفات العربية بعد اختلاف الترجمات حيث يسميه سعيد حسن بحيري "علم لغة النص"، بينما يزواج الأزهر الزناد بين "لسانيات النص" و" نحو النصوص" و"نسيج النص"، ويسميه محمد خطابي "لسانيات النص". ويسميه أحمد عفيفي "نحو النص"، و يعدّ هذا الأخير بعض المصطلحات المقابلة لمفهوم هذا العلم منها: "علم النص"، و"علم اللغة النصي"، و"نظرية النص"، و"لسانيات النص"، و"علم لغة النص"، و"أجرومية النص".³ هذه المقابلات المختلفة للمفهوم نفسه هو (textlinguistics أو (linguistique textuelle). نرجعه كما سبق أن ذكرنا إلى إشكالية علم المصطلح العربي، وهذا مثلما حدث مع ترجمة مصطلح اللسانيات (linguistique) سابقاً إلى اللغة العربية.

5.الاتساق = (Cohésion) / (Cohesion): هو مصطلح تزامن لمدة طويلة مع مصطلح الانسجام وشكلا القضايا الرئيسية للسانيات النصيّة، وقد أكدت جان ماري شايفر على ضرورة حصر بعض النقاط المركزية، بحيث يجب على أية نظرية للنص أن تعالجها كي

1- صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص: 36.

2- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية، بيروت- لبنان، ص: 59.

3- ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 31-33.

تصبح جديرة بهذا الاسم - اللسانيات النصية- ومن بين هذه النقاط: الاتساق والانسجام.¹ فما مفهومهما؟ يمثل الاتساق في لسانيات النص أحد المفاهيم الأساسية الخاصة بالتماسك النصي على المستوى البنائي الشكلي². ويعرفه محمد خطابي بكونه: "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة للنص خطاب ما تهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته".³

يضع بعض الباحثين النصيين مصطلح (السبك) مقابلاً له في اللغة العربية ويقصد به ما " يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية ... على شكل وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، ... بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط"⁴. ولقد حدّد " ميشال آدم" (M.ADAM) أربع فرضيات تحدّد إطار التحليل اللساني النصي التداولي من بينها أنّ شروط النصية و" قوامها الترابط والاتساق والانسجام"⁵. وحدّد مفهوم النص تبعاً لهذه الفرضية بأنّه: "منتوج مترابط متسق، ومنسجم (وليس تجاوراً عشوائياً لكلمات وقضايا أو أفعال كلامية.

فالاتساق باختصار هو مجموع تلك العلاقات التي تربط جملة لاحقة بجملة سابقة فتجعل النص بشكل نسيج من العلاقات بين الجمل خطياً ودلالياً.

6. الانسجام = (Cohérence) / (Coherence): منذ مدة من الزمن وثنائية (الاتساق/ والانسجام) تمثل جوهر المصطلحات المفاتيح للسانيات النصية⁶، ورغم اشتراك

1Cohésion et cohérence études de LA LIGUISTQUE TEXTUELLE ,Sous la direction de ANNA JAUBERT , ,ENS EDITION , LYON, 2005 , P :09 .

2- ينظر: زولديسكيووجان ماري تشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، ص: 540.

3- محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 5.

4- ديوجراند، النص الخطاب والإجراء، ص: 103.

5 - خولة طالب الإبراهيمي، قراءة في اللسانيات النصية مبادئ في اللسانيات النصية، جان ميشال آدم، مجلة اللغة والأدب، ع:12، ديسمبر 1997، ص: 115.

6-Vu : Cohésion et cohérence études de LA LIGUISTQUE TEXTUELLE

Sous la direction de ANNA JAUBERT , P :07 .

المصطلحين في البداية في المفهوم نفسه إلا أنّ اللسانيين في علم النصّ ميّزوا بين المفهومين في ما بعد، فالانسجام ليس كالاتساق تحقّقه أدوات لسانية تستنبط من النصّ، بل هو آلية تبنى وهو بقدر ما يرتبط بالنصّ "بقدر ما هو في أذهان المتلقين في صورة قاعدة تحكم تأويل (ومن ثمّ إنتاج) الأقوال"¹ وفق معطيات خارجة عن اللّغة (النصّ) مرتبطة أساسا بالمعرفة السابقة للعالم وبسياق التواصل الذي أنتج فيه النصّ. وهذا ما يجعل مفهوم الانسجام أعمّ وأعمق من مفهوم الاتساق، كونه يتجاوز الظاهر في النصّ من المعطيات اللسانية إلى الكامن منه وهو العلاقات الدلالية أو التّرابط المفهومي (Conceptual connectivity) كما سمّاه "دي بوجراند"، وبناء عليه حدّد وسائل الانسجام في²:

- 1- العناصر المنطقية (السببية، العموم، الخصوص، الخ).
 - 2- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف (سياق التّواصل).
 - 3- تفاعل المعلومات التي يعرضها النصّ مع المعرفة السابقة بالعالم.
- وهي عمليات إدراكية ترتبط بالمتلقي (القارئ/السامع) الذي لا يستقبل النصّ (الأقوال = énoncés) بذهن فارغ كما لا يتوقف عند الروابط الظاهرة كوجود عناصر تكرارية أو إحالية، بل قد يكون النصّ منسجما حتى في غياب هذه الروابط كما هو الحال في الإعلانات والعناوين ومختصرات الأخبار.
- إذا ما قارنا بين الاتساق والانسجام نجد أنّ هذا الأخير أكثر تجريدا وأقل معيارية؛ لأنّه يعتمد على الإدراك والتّأويل وفهم المتلقي أكثر من اعتماده على وسائل لغوية محسوسة، وبالتّواصل إلى آليات تحقيقه ينتج متكلمين مثاليين ذوي ملكة نصيّة يملكون ناصية اللّغة والتّواصل.

نقلا عن: عزوز فوزية، المقاربة النصّية بين النّظرية والتّطبيق، 12: p. CHAROLLES, M. 1-
دراسة ميدانية تحليلية الطور الابتدائي الجزائري أنموذجا، رسالة ماجستير، تخصص: علوم اللّغة، إشراف الدكتور: مفتاح بن
عروس، جامعة الجزائر 2، قسم علوم اللسان، 2011 - 2012، ص: 61.

2- ينظر: دي بوجراند، النصّ والخطاب والإجراء، ص: 103.

7. القصدية = (Intentionnalité) / (Intentionality): يتضمن معيار القصدية"

موقف منشئ النص من كون صورة من صور اللغة قُصدَ بها أن تكون نصا (متسقا ومنسجما) وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها. فالقصدية هي معيار يرتبط بالمتكلم، وما يقصد به أن يفيد سامعه إفادة تامة. إذ تكمن وظيفة النص في قصدية¹ من جهة فالنص يكتسب دلالاته من قصدية. ومن جهة أخرى تؤثر هذه القصدية في بنائه، فكلمًا اتسم النص بالاتساق والانسجام كان يتَّجه نحو تحقيق غايته. وهنا ينفي بعضهم معيار القصدية عن لغو الكلام وحشوه وكلام السكران².

ويذكر ابن خلدون في مقدّمته في فصل "بيان المطبوع من الكلام والمصنوع وكيفية جودة المصنوع وقصوره" إشارة واضحة لمفهوم القصدية حيث يقول: "ثمّ اعلم أنّهم إذا قالوا " الكلام المطبوع" فإنّهم يعنون به الكلام الذي كملت طبيعته وسجيّته من إفادة مدلوله المقصود منه، على أنّه عبارة وخطاب، وليس المقصود منه النطق فقط، بل المتكلم يقصد به أن يفيد سامعه ما في ضميره إفادة تامة، ويَدلّ به عليه دلالة وثيقة"³. يقصد بالكلام المطبوع هنا الكلام الحصيف (pertinent). إنّ تحقق معيار القصدية مرهون بتحقق معيار آخر مرتبط بالمتلقي هو المقبولية.

8. المقبولية = (Acceptabilité) / (Acceptability): تقوم عملية التّواصل على

قطبين أساسيين هما المتكلم والمتلقي، ويمكن القول إنّ المتكلم قد حقق قصده إذا تمّ قبول نصه من السامع/ القارئ، الذي يقوم بتلقي كلام المتكلم. ويتوقف قبول المتلقي للنص على عدّة أمور أهمّها:

- أن يكون النص متسقا، فأول ما يلفت انتباه السامع البناء النحوي والتعالق الدلالي المتتالي بين الجمل المشكلة في تتابعها وعلاقاتها الدلالية فكرة جزئية تنمو نحو اكتمال النص.

1- ينظر : جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزّاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال، الدّار البيضاء - المغرب، نشر هذا الكتاب باتفاق مع دار سوي باريس، (د ط)، (د تا)، ص: 44.

2 - ينظر : أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 80.

3 - ابن خلدون، المقدمة، ص: 518.

- أو على الأقل لابد من ضرورة كون النص منسجماً إذ يعد الانسجام شرطاً ضرورياً لقبول النص، أو بالأحرى لاعتباره نصاً، لأن المتلقي قد يغيض الطرف عن عدم اتساق النص في حالة يكون فيها ما يتلقاه ذا فائدة تكسبه معرفة جديدة.

ويرى دي بوجراند أنّ المتلقي يمكن أن يتغاضى أحياناً عن اتساق النص "وللقبول أيضاً مدى من التغاضي (Tolérance) في حالات تؤدي فيها المواقف إلى ارتباك"¹. كما يرتبط هذا المعيار بشدة بمحتوى النص، وهو العامل الذي يؤلف المعيار الموالي:

9. الإعلامية = (Informativité) / (Informativity): وهي أيضاً الإخبارية، ويراد بها مدى التوقع الذي تحظى به وقائع النص المعروف في مقابل المجهول². فكلما قلّ توقع المتلقي للمعلومات الواردة كانت إعلامية النص مرتفعة والعكس، كانت المعلومات التي يحملها النص متوقعة، ولا تقدم أي جديد فإنّ درجة إعلامية النص حينئذ تكون منخفضة. ويرتبط هذا المعيار بالتدرج الموضوعاتي.

10. الموقفية = (Situationalité) / (Situationality): لكل مقال مقام، فكل قول لا يأخذ معناه إلاّ في المقام الذي قيل فيه حتّى وإن كان متسقاً ومنسجماً وذا قصد، كأن يسألك أحدهم: "كم الساعة؟" فتجيب: "أعيش مع والدي". فمعيار الموقفية يمثل البعد التداولي للنص الذي "ينبغي ... أن يتصف بموقف يكون فيه. وتتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف وهذه البيئة الشاسعة تسمى "سياق الموقف"³. فالموقفية تعني "الحصافة بالنسبة إلى سياق التلفظ"⁴. فالإمام بمعنى النص لا يكتمل إلاّ بمعرفة السياق الذي أنتج فيه: المتكلم المتلقي، المتفاعلون، الأشخاص، الأشياء، الزمان، المكان،...

1- دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 104.

2- إلهام أبو غزالة وعلي خليل محمد، مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات

3- دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 91.

4- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية

للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 2008م، ص: 116.

7. التناص = (Intertextuality) / (Intertextualité): التناص هو مفهوم يشير

إلى " مجموع العلاقات الصريحة أو الضمنية التي تربط نصوصاً ما بنصوص أخرى"¹. إي هو حضور نص في نص آخر أو تداخل النصوص فيما بينها عن طريق الاستشهاد، أو الاقتباس أو التضمين. فالتناص يمثل الجانب التفاعلي للنص مع غيره من النصوص (حوار النصوص فيما بينها)، فيحقق النص بذلك نصيته ويميزه عن اللانص وعن الجملة. وفي هذه الحالة يتوقف فهمنا للنص على اطلاعنا على نصوص سابقة له، ومن جهة أخرى تعتبر عملية التناص إثراء وإغناء للنصوص بعضها ببعض. كما أنّ معظم النصوص التي ننتجها ما هي إلاّ صدق لنصوص سمعناها أو قرأناها، خزّنت معارفها في الذاكرة ثمّ أعدنا استغلالها مرة أخرى، إما عمداً عن طريق الاستشهاد أو المناقشة أو الحجج، وإما عن غير قصد عن طريق التأثير بمقتطفات (مقولات) منها تتسرب إلى نصوص.

1 - المرجع نفسه، ص: 70 - 71.

المبحث الثاني: لسانيات النص قوانينها وضوابطها.

1. الاتساق النصي وأدواته.

2. الانسجام وآلياته.

المبحث الثاني: لسانيات النصّ قوانينها وضوابطها:

عرفنا - فيما سبق - أنّ الوحدة اللغوية التي تسعى لسانيات النصّ إلى دراستها هي النص، وتتعامل معه على أنّه وحدة كلية، فكان ولوج التحليل النصّي بإبراز كيفية تماسكه، وتحديد أدوات اتساقه، وآليات إنسجامه، ومعايير نصّيته.

ونعرض هنا هذه الأدوات والآليات في التحليل النصّي باعتبار أنّها قوانين وضوابط تحكم النص وتجعله وحدة لغوية متكاملة تتجاوز حدود ما وصلت إليه اللسانيات السابقة في التحليل والوصف. فكل من الاتساق والانسجام هما أساس نصية نص معين، وبها يكون النص نصًا ويتميز عن اللانص. وفي هذا المبحث سنتطرق إلى أدوات الاتساق وآليات انسجام النصّ عمومًا بغرض توضيح قوانين وقواعد كل واحدة على حدة. وهي قواعد و قوانين ضابطة تحكمها قواعد اللغة و معايير النصية.

1- أدوات الاتساق النصّي :

سبق وأن عرّفنا الاتساق ومفهومه الاصطلاحي، فهو اختصار ودقّة، البحث عن العلاقات بين الجمل المكوّنة لنص معين. وفي مايلي نتطرق إلى القوانين والقواعد التي تحكم أو تمكن من وصف النصّ بأنّه متسق. وأول من تكلم بالتفصيل عن أدوات الاتساق، وأصبح مصدرًا للنصيين هما "هالداي" و"رقية حسن" في كتابهما: "الاتساق في الانجليزية" حيث حدّدا أدوات الاتساق في خمس أدوات هي¹:

1. الإحالة أو المرجعية (Référence)

2. الاستبدال (Substitution)

3. الحذف (Ellipse)

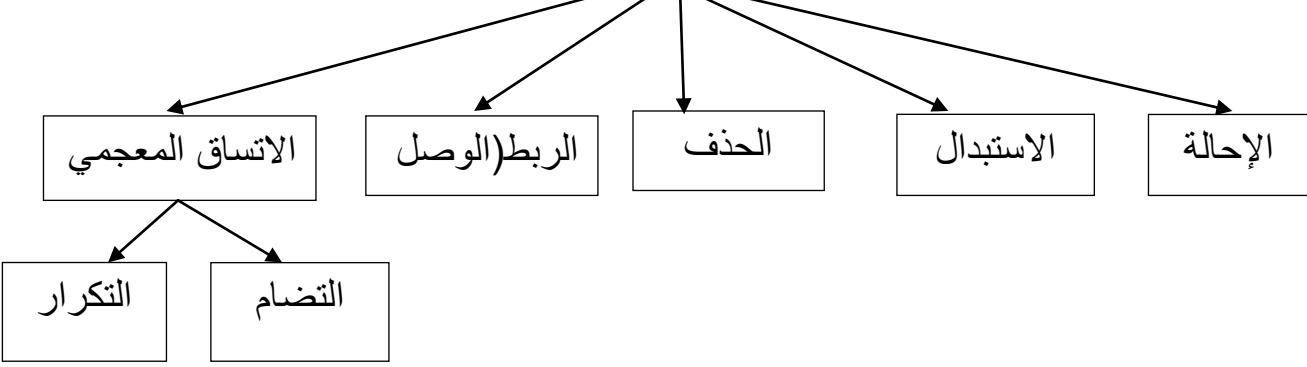
4. الوصل أو الرابط أو العطف (Conjonction)

5. الاتساق المعجمي (Lexical cohesion)

ونجمل هذه الأدوات في المخطط الموالي:

¹- Vu : Halliday and Hassan, cohesion in English, p: 29.

أدوات الاتساق:



ونحاول في ما يلي تعريف كل واحدة في من هذه الأدوات ولو باختصار:

1- الإحالة:

هي من أهم وسائل التماسك في نحو النص، لدورها الأساسي في الربط بين أجزاء النص من بدايته حتى نهايته في إطار اتساق محكم فهي تعتمد على عناصر مهمة جدًا أهمها الضمائر وأسماء الإشارة و أدوات المقارنة.¹

ويحدّد مفهومها هاليداي ورقية حسن من أنّ "العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها. وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة".² فمفهوم الإحالة يظهر من هذا القول أنّه العلاقة الدلالية القائمة بين الوحدات اللغوية، فهي لا تخضع لقيود نحوية حسب قول محمد خطابي³، إنّما يحكمها ضابط دلالي، ويستلزم وجود تطابق للخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه. فالإحالة عند كثير من علماء النص هي ما يمثل العلاقات بين العناصر اللغوية.

فالإحالة عند كثير من علماء النص هي العلاقات بين العناصر اللغوية ويحددها دي بوغراندي بأنها علاقة بين العبارات والأشياء (Objectes) والأحداث (Events) والمواقف (Situations) في العالم يدلّ عليه بالعبارات أي الطابع البدائي في نص ما إلى شيء ينتمي

1- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 17.

2- المرجع نفسه، ص: 16-17.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 17.

إلى نفس عالم النص¹. ويعرّفها بعضهم بأنّها علاقة تحدّد جزئية تكون مثبتة في خطاب ما على المحور التركيبي بين جملتين وتستعمل للجمع بينهما². فهي رابط بين أجزاء النص، وبناء الصغرى بعضها ببعض لتجعلها تتعلق فيما بينها دلاليًا حتى ينتج في ذهن المتلقي نصّ مترابط و متماسك يحقق فائدة.

ويعرّفها الأزهر الزناد بكونها "ذات وظيفة اتساقية تجعل من النصّ كلّ واحدًا كما أنّها لا تكتفي بذاتها كيفما كان نوعها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، ولا تخضع الإحالة للقيود النحوية حتى تؤسس علاقات دلالية بين العنصر المحيل المحال إليه، وتطلق تسمية العناصر الإحالية على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب فشرط وجودها هو النصّ³. فالإحالة عند هاليداي ورقية حسن بأنّها علاقة دلالية تتحقق بواسطة ارتباط عنصرين هما المحيل والمحال إليه⁴.

وخلاصة لما سبق يمكننا اعتبار الإحالة ضابطاً يرتكز عليه محلّ النص حتى يثبت مدى اتساق هذا النص.

وقد أفرد علماء النصّ الإحالة بشيء من التفصيل⁵ كونها تنقسم إلى أقسام، وتتفرّع إلى أنواع، كما أنّ لها وسائل لغوية تحدّدها فهي أكثر أدوات الاتساق النصّي أهمية، لأنّها الأكثر تواجدًا على حد قول هاليداي ورقية حسن إلا أنّها تختلف وسائلها من لغة إلى أخرى .

1- روبرت دي بوغراند، النصّ والخطاب والإجراء، ص:320.

2- ينظر: نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم -سورة النور نموذجًا-، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 2006-2007، ص:118.

3- الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 118.

4- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 17.

5- Vu : Halliday and Hassan, Cohesion in English, P :31-87.

وينظر: شريفة بلحوت، الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب « Cohesion in English » أم أ ك هاليداي و رقية حسن، رسالة ماجستير، ص: 115-124.

وسنتطرق فيما يلي إلى أقسام الإحالة وأنواعها، ووسائلها، بهدف بيان الضوابط والقوانين التي تحكم النص، فهي نفسها المعايير الكاشفة عن نصية نص ما؛ أو عدم نصيته.

1- أقسام الإحالة :

تنقسم الإحالة إلى قسمين هما:¹

1-1- عنصر إحالي معجمي (Elément anaphorique lexical): أو إحالة

معجمية (Exophorie): : وتجمع كل أنواع الإحالات التي تعود على مفسر له يدل

على ذات أو مفهوم مجرد، وهي متوفرة في كل النصوص، وهي ضرورة في كل ملفوظ.

1-2- عنصر إحالي نصي/مقطعي (Textuel taxophorie /élément anaphorique):

وهي كل إحالة تجمع وحدة لغوية تعود على مفسر هو مقطع من ملفوظ (جملة أو نص

أو مركب نحوي)، ويمكن أن تكون في نص دون آخر.

2- أنواع الإحالة :

وتنقسم الإحالة إلى نوعين هما : إحالة مقامية وإحالة نصية.

1-2 الإحالة المقامية:

وهي إحالة الوحدة اللغوية داخل النص إلى عنصر خارج النص.

أي أنها تعني إحالة وحدة لغوية على عنصر غير لغوي موجود في المقام الذي نتج فيه

النص، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات المتكلم، ويمكن أن تحيل الوحدة اللغوية على

المقام ذاته، أو في جزء منه².

وتسمى أيضًا إحالة خارجية (خارج النص)، أو إحالة إلى غير مذكور كما يسميها " تمام

حسان" ترجمة لمصطلح" دي بو جراند (Explore Référence). فهذا النوع من الإحالة يعتمد

على المقام الخارجي للنص. فالإحالة هنا تهتم " بكل مكون تحتاج في فهمه إلى مكون آخر

يفسره و هو يمثل أبسط عنصر في بنية النص الإحالية"³.

1- ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 119.

2- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع السابق، ص: 118.

2.2- الإحالة النصية أو الإحالة الدّاخلية (داخل النصّ) أو (داخل اللّغة):

يقصد بها إحالة الوحدة اللغوية وحدات لغوية سابقة أو لاحقة لها داخل النص. وهي تنقسم إلى قسمين إحالة نصية إلى سابق، وإحالة نصية إلى لاحق. وهي حسب مفتاح بن عروس نوعان إحالة (داخلية - داخلية) أي داخل الجملة الواحدة، أي إحالة وحدة لغوية إلى وحدة لغوية أخرى داخل الجملة الواحدة. والنوع الثاني: إحالة (داخلية - خارجية)¹، وهي إحالة الوحدة اللغوية إلى وحدة لغوية أخرى خارج الجملة ذاتها. و هذا النوع الثاني من الإحالة الداخلية هو ما يحقق اتساق النص. لأنّه يكشف عن العلاقات والروابط اللغوية بين الجمل. ولا بد للمتلقي من العودة إلى العناصر المحال إليها عند تلقيه للنص حتى يستطيع الوصول إلى الفائدة التي يرومها من عملية التواصل. وينقسم هذا النوع من الإحالات قسمين هما:

2-2-1 إحالة إلى سابق (قبلية) (Anaphore) : وهي إحالة عنصر أو وحدة لغوية إلى وحدة لغوية سابقة لها في تركيب النص² و تسمى أيضًا إحالة بالعودة.

" وهي تعود على مفسر سبق التلفظ به "³. و يمكن أن تحيل إلى ضمير أو إلى لفظ تكرر في كل جملة من جمل النص قصد تأكيد الموضوع، و هي ما يسمى بالإحالة التكرارية. و تمثل الإحالة بالعودة إلى سابق أكثر أنواع الإحالة دورانًا في الكلام⁴.

2-2-2 الإحالة إلى لاحق (بعدية) (R.Cataphore) :

و هي إحالة وحدة لغوية إلى وحدة لغوية أخرى ستستعمل لاحقًا في تركيب النص⁵. حيث تعود إلى عنصر إشاري يذكر بعدها في النصّ ويكون لاحقًا لها في بناء الكلام⁶. مثل ضمير الشأن في اللغة العربية⁷. و يعتبر هذا النوع من الإحالات أقل استخدامًا في الكلام من

1- ينظر: مفتاح بن عروس، رسالة الماجستير، ورسالة الدكتوراه

2- ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص:38.

3- أحمد عفيفي، نحو النص، ص:117.

4- ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص:119.

5- ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص:40.

6- ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص، ص:117.

7- ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 119.

الإحالة إلى سابق، لأنّ السامع/ المتلقي يتوقع نكر الشيء أولاً ثم الإحالة إليه بعد ذلك¹.

3- وسائل الإحالة :

وسائل الإحالة متنوعة بها قد يحدث التماسك النصي، وقد لا يحدث لأنّ مفهوم التماسك أو الاتساق الذي أقصد هو العلاقات والروابط بين الجمل، والإحالة أنواع نوع يكون داخل الجملة الواحدة وهذا لا يحقق رابطاً بين الجملتين فأكثر، ونوع يكون بين الجمل. ووسائل الإحالة هي جزء مهم من النظام اللغوي العام و تتفرع هذه الوسائل حسب النصين إلى ثلاث وسائل هي : الضمائر، أسماء الإشارة وأدوات المقارنة.

وهي كلها ضوابط وقوانين تحكم نصية نص ما -في رأيي- وأنا في هذا المبحث بصدد ذكرها وتعريفها باختصار لتوضيح هذه الضوابط والأحكام التي تحكم النص. لأنّ المقام لا يكفي لتوسع في كل واحدة منها على حدّة. فكل جزئية تحتاج إلى بحث مستقل بذاته.

1- الضمائر : للضمائر أهمية بالغة في تماسك النص، كونها تنوب عن الأسماء، وكذا عن الجمل لأنّ " التعيين الاسمي البديل هو إعادة نصية لاسم ما من خلال الضمير... وعادة ما تتعاون في النصّ الضمائر مع الأسماء المتكررة. [وتشكل] معاً شبكة اسمية إحالية، وحين يضم نص ما عدّة شبكات اسمية فإنّ واحدة منها في الغالب هي موضوع النصّ"². ولا تتوقف وظيفة الضمائر في الإحالة فقط أو التعويض عن الاسم الظاهر، لكن لها وظيفة نصية مهمة تتمثل في كونها رابطاً تحقق التماسك النصي. ومن هنا فلها أهمية قصوى يكشفها التحليل النصي. ومن هنا أكدّ علماء النصّ أنّ للضمير أهمية في كونه يحيل إلى وحدات لغوية سبق ذكرها في النص³.

1- ينظر: خليل بن ياسر البطاشي: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، عمان، ط1، 2009، ص:91.

2- زنسيسلافوورزنيك، مدخل إلى علم النصّ مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط2، ص:138-139.

3- ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص: 161.

ويميّز هاليداي ورقية حسن بين ثلاثة أنواع من الإحالة¹:

- إحالة الضمائر (Personl reference).

- إحالة أسماء الإشارة (Demonstrative reference).

- إحالة المقارنة (Comparative reference).

ونحن هنا بصدد عرض هذه الأدوات الاتساقية من باب التعريف بها وربطها بموضوع البحث، إذ لا يسعنا المقام للتفصيل في كل واحدة على حدة. فقد تحتاج كل جزئية إلى بحث خاص منفرد. فهدفنا هنا توضيح أنّ هذه الوسائل قواعد وقوانين ضابطة للنص، فهي خطوات التحليل النصي، والمعايير التي يكشف عنها التحليل، وفي الوقت ذاته هي قوانين وقواعد النصية.

1. إحالة الضمائر:

وتتمثلها ثلاثة أنواع من الوحدات: ضمائر الشخص، ومحددات الملكية (Les pronoms Possessifs)، وضمائر الملكية (Les pronoms Possessifs)². ويوضح مفتاح بن عروس كيف أنّ الباحثان هاليداي ورقية حسن يقيمان "مقابلة على مستوى ضمائر الشخص بين الضمائر التي تقيم علاقة بالخارج وتحقق إحالة خارجية (reference exophorique)، والضمائر التي تقيم علاقة لغوية وتحقق إحالة داخلية (reference endophorique) وتلعب حينئذ دوراً في الاتساق"³.

ولقد أوضح مفتاح بن عروس هذا النوع من الإحالات بالتفصيل،⁴ ويقسمها محمد خطابي إلى ضمائر وجودية، مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن..... الخ، وإلى ضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابه، كتابنا، الخ.⁵

1- ينظر: شريفة بلحوت، الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب « Cohesion in English » رسالة ماجستير، ص: 134-196.

2- ينظر: مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، ص: 219.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- ينظر: المرجع السابق، ص: 220-221.

5- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 18.

2. الإحالة في أسماء الإشارة :

وتعتبر من حيث المبدأ إحالة خارجية، لأنها تتعلق بتحديد الأشياء في الفضاء، و تظهر الإشارة في شكل ظروف كما يوضح ذلك مفتاح بن عروس¹ وقد تكون داخلية أو خارجية تمامًا كما في الضمائر. ويذكر محمد خطابي² أنّ لها عدّة إمكانيات لتصنيفها: إما حسب الظرفية: الزمان (الآن، غدًا...)، والمكان (هنا، هناك...)، أو حسب الحياد (ال) (The)، أو الانتقاء (هذا، هؤلاء...) أو حسب البعد (ذاك، تلك...) و القرب (هذه، هذا...).
و تتميز هذه الإحالة بكونها "إحالة موسعة"، قد تحيل إلى جملة كاملة أو متتالية من الجمل.

3. الإحالة بالمقارنة (Comparison) :

وتنقسم حسب هاليداي ورقية حسن³ إلى مقارنة عامة ومقارنة خاصة.

1- المقارنة العامة:

ويتفرع منها التطابق ويتم باستعمال عناصر مثل: نفسه (same) والتشابه ويستعمل فيه عناصر مثل: مماثل (similar) والاختلاف باستعمال عناصر مثل: (other) (otherwise).

2- مقارنة خاصة :

وتتفرع إلى كمية (وتتم بوحدات لغوية مثل: أكثر من (more) في الانجليزية، وكيفية مثل: (أجمل من، جميل مثل....) .

ومن هنا فإنّ المقارنة العامّة " تعبر عن التشابه أو عدم التشابه وتعكس علاقة التشابه التطابق/ عدم التطابق (l'identité/mon identité) وبذلك يكونان إمّا متماثلين أو غير متماثلين. و هاتان العلاقتان إحاليتين لأنّ شيئاً ما لا يمكن أن يكون مشابهاً أو مماثلاً إلا لشيء آخر. وعلى هذا الأساس فالمقارنة تنتمي إلى مجال الإحالة"⁴.

1- ينظر: مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، ص: 223.

2- ينظر: محمد الخطابي، لسانيات النص، ص: 19.

3- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، ص: 226.

ويمكن أن تكون المقارنة إلى خارج النص داخلية، كما يمكن أن تكون متجهة إلى الوراء (أي إلى ما سبق)، أو إلى الأمام (إلى ما يلحق) تماما كما يكون هذا في الإحالة.¹

أعيد التذكير أنني لست هنا بصدد الحديث بالتفصيل عن كل نوع من أنواع الإحالة أو أدوات الاتساق، لأنّ المقام لا يكفي لذلك، ولأنني أريد عرض أدوات الاتساق النصي بشكل مختصر يفيد في كونها قوانين للنصية ومعايير لذلك تحكمها قواعد و ضوابط اللغة ونسيج النص. وهذا الذي يهمننا في هذا الجزء هو بيان مدى قيام النصية على قواعد و قوانين ضابطة تمكن من الكشف عن نصية أي نص.

2- الاستبدال (Substituton):

يعتبر الاستبدال عملية تتم داخل النص فهو " تعويض عنصر بعنصر آخر"². ومن هنا فالاستبدال شأنه شأن الإحالة، في كونه يحقق علاقة اتساقية، غير أنه يختلف عن الإحالة في كونه "علاقة تتم في المستوى النحوي-المعجمي بين كلمات أو عبارات، بينما الإحالة علاقة معنوية في المستوى الدلالي"³. وهذا ما أكده مفتاح بن عروس من أن الباحثين هاليداي ورقية حسن يعتبران الاستبدال عملية معجمية نحوية، إذ ينتمي مبدأ إجراء الاستبدال إلى البنى النحوية أي إلى الجانب الشكلي، فهو يرتبط بالاحتفاظ بوحدة لغوية.

فهو عملية تتم دائما داخل النص. على عكس الإحالة التي تتعلق بتحديد محيل عليه إمّا داخل النص وإمّا في المقام (أي خارج النص)⁴.

فالحديث عن الاستبدال يجعلنا نتحدث عن الاستمرارية الدلالية أي وجود العنصر المستبدل في الجملة اللاحقة لما هو موجود في الجملة التي هي محل التحليل⁵.

1- ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها، وينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس

"نحو النص"، جامعة منوبة، كلية الآداب -منوبة- تونس، المؤسسة العربية، مج14، ج1، ص: 127.

2- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 19. وينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج1، ص: 131.

3- محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 19.

4- ينظر: مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، ص: 230.

5- ينظر: أحمد غفيفي، نحو النص، ص: 123.

و ينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع حسب هاليداي ورقية حسن هي¹:

1. استبدال اسمي، 2. استبدال فعلي، 3. استبدال جملي (أو القولي). ونذكر مثالا لكل نوع من هذه الأنواع بهدف التوضيح فقط.

1. الاستبدال الاسمي: يتم في اللغة الإنجليزية بالعناصر اللغوية :

(same, ones, one) / أما في اللغة العربية فيكون عند استبدال اسم باسم آخر مثلا أو بوحدات لغوية مثل: (آخر - آخرون - نفس).²

2. الاستبدال الفعلي : ويمثله في الانجليزية الفعل: (Do) وفي العربية الفعل (يفعل)³.

3. الاستبدال الجملي (أو القولي): ويستعمل فيه العنصران اللغويان: (Not) و (So) في

اللغة الإنجليزية⁴، وهو كما ترجم تعريفه مفتاح بن عروس عن كتاب هاليداي ورقية حسن: "نوع آخر من الاستبدال حيث لا يكون المفترض من العناصر هو عنصر من الجملة ولكن الجملة كلها"⁵. أما في اللغة العربية فأدواته هي: (ذلك، لا).⁶

3. الحذف :

الحذف عنصر مهم من عناصر الاتساق لأنه يعمل على "استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو يعدل بواسطة العبارات الناقصة"⁷.

1-Vu : Cohesion in English, P : 89-90.

وينظر: مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، ص: 230-238. وقد وضع أحمد عفيفي مقابل الاستبدال الجملي، الاستبدال القولي وهو ما يقابل بالأجنبية (Clausal Substitution). ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 124.

2- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- ينظر مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، ص: 230. وينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 19، وينظر: أحمد عفيفي، ص: 124.

4- ينظر: مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، ص: 236.

Vu: Cohesion in English, P :130.

وينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 20.

5- مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، ص: 236.

6- ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 124.

7- روبرت دي بوغراندي، النص والخطاب والإجراء، ص: 301.

وكما أن الاستبدال عملية يتم بها الاتساق النصي، فكذاك الحذف¹. والحذف في لسانيات النص يشبه الاستبدال غير أنه يختلف عن الاستبدال من حيث المبدل منه (الصفير) المنعدم شكلاً، إذ يسميه هاليداي ورقية حسن (Subotitution by zero) ويمثل مفتاح بن عروس الظاهرتين بشكل توضيحي على نحو ما يلي²:

المبدل	المبدل به	
عنصر أو مجموعة من العناصر	عنصر لغوي	الاستبدال
عنصر أو مجموعة من العناصر	0	الحذف

وكما أنّ الاستبدال اسمي وفعلي وجملّي، فكذاك الحذف ثلاثة أقسام حذف اسمي، وفعلي، وجملّي. ونوضح كل قسم على حدة ولو اختصاراً حتى يتضح الأمر في ذهن القارئ أكثر.

1. الحذف الاسمي:

ويقصد به حذف اسم داخل المركب الاسمي. مثاله: أي قبعة ستلبس؟ - هذه هي الأحسن. وقد قدم هاليداي ورقية حسن أمثلة مفصلة عن أقسام الحذف. وانطلاقاً من نتائج بحثهما تبين منها أن الحذف الاسمي لا يقع إلا في الأسماء المشتركة (Common nouns)³.

2. الحذف الفعلي:¹ أي يكون المحذوف فعلاً داخل الجملة أو التركيب مثاله: هل كنت

تسبح؟- نعم فعلت. ماذا كنت تنوي؟، السفر.....

1- ينظر: مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، ص: 239. وينظر: في الاختلاف بين الحذف والاستبدال: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 21.

2- ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 128.

3- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 22. وينظر: أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 127. وينظر: مفتاح بن عروس، عروس، الاتساق والانسجام في القرآن، ص: 240-242.

3. الحذف داخل ما يشبه الجملة أو الحذف الجملي (Clausal ellipsis)².

4. الوصل. (العطف) (Conjunction):

الوصل هو إحدى الأدوات الأساسية التي تسهم في الاتساق النحوي للنصوص. ويرى هاليداي أن الوصل يختلف في طبيعته عن وسائل الاتساق الأخرى كالإحالة، والاستبدال والحذف لأن الوصل يكون متماسكا في ذاته بطريقة غير مباشرة، فهو ليس جهازاً أولياً لإدراك النص السابق واللاحق، فهو يعبر عن معانٍ محدّدة تفترض حضور أو وجود المكونات الأخرى في الخطاب³. وقد تنبه إلى أهميته بعض الباحثين المحدثين ودوره في تحقيق تماسك النص، واعتبروه مظهراً من مظاهر الربط بين الجمل وأفردوا له جزءاً كبيراً من بحوثهم⁴. وجعل بعض الباحثين الربط أحد وسائل الوصل إلى جانب أدوات أخرى تسهم في اتساق النص عن طريق الربط، الذي عدّه أصعب الأدوات تحديداً كونه يشكل تماسكاً وظيفياً بدرجة كبيرة. لأنّ هذا النوع يعتمد على الروابط السببية المعروفة بين الأحداث التي يندلج عليها النص وهي متنوعة تسمح بالإشارة إلى مجموعة المتواليات السطحية بعضها ببعض، بطريقة تشير إلى هذه المتواليات النصية مثل : لأن، وعليه، أو، ولكن... الخ.

ولمّا كانت وسائل الربط في إطار الوصل متنوعة⁵ فقد قسم هاليداي ورقية حسن الوصل أربعة أقسام هي⁶:

1- الوصل الإضافي.(Additive).

1- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 22. وينظر: أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 127. وينظر: مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، ص: 143-145.

2- ينظر: محمد خطابي، المرجع نفسه، الصفحة نفسها. وينظر: أحمد عفيفي، المرجع نفسه، الصفحة نفسها. وينظر: مفتاح بن عروس، المرجع نفسه، ص: 246-247.

3 - Vu : Cohesion in English,p226.

4- ينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج1، الباب الرابع، مظاهر الربط بين الجمل وطرقه، ص: 104 وما بعدها. فقد خصص محمد الشاوش باباً كاملاً في كتابه للوصل.

5- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 23.

6- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

Vu : Cohesion in English,Hallday end Hssan,p.

2- الوصل الاستدراكي أو العكسي.(Adversative).

3- الوصل الزمني.(Temporal).

4- الوصل السببي.(Causal).

سنعرف كل واحد منها على حدة، بشيء من الاختصار، لأننا هنا بصدد التوضيح والتعريف بضوابط وقوانين وقواعد تقوم عليها لسانيات النص، ولا يسعنا المقام للتوسع في كل واحدة بالتفصيل.

1. الوصل الإضافي¹: ويتم بواسطة الأدوات ((و)) و ((أو))، و يندرج ضمنه علاقات أخرى مثل : التماثل الدلالي الذي يتحقق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع : بالمثل ...، وعلاقة الشرح والتفسير، ويعبر عنها بكلمات مثل : أعني، أقصد، أي،...، وعلاقة التمثيل المتمثلة في قولنا : مثل، ونحو...

ويسمي بعض الباحثين الوصل الإضافي "بمطلق الجمع" فهو ما " يربط بين صورتين حيث يوجد اتحاد أو تشابه بينهما يمكن استخدام (الواو أيضا، بالإضافة إلى علاوة على هذا)".²

2. الوصل العكسي أو الاستدراكي : ويقصد به "على عكس ما هو متوقع"³ وله أدوات

مثل : لكن. بل. مع ذلك).....⁴

3. الوصل الزمني : ويمثل هذا النوع من الربط علاقة بين جملتين متتابعتين زمنياً.

وأدواته : ثم... (Then)⁵ لأن، ما دام، من حيث ولهذا، بناء على هذا، من ثم، وهكذا... ويسمي وهكذا... ويسمي هذا النوع أيضا التفريع.⁶

1- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 23.

2- أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 129.

3- محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 23.

4- ينظر: أحمد عفيفي، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

5- ينظر: محمد خطابي، ص: 23-24.

6- ينظر: أحمد عفيفي، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

4. الوصل السببي : هو الوصل الذي " يمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر"¹. و يسمى أيضًا بالوصل المنطقي إذ يعتمد على الجمع بين عنصرين متتابعين بينهما علاقة أساسها السببية². و من أدواته : (لهذا ، بهذا، لذلك، لأنّ، ذلك بأنّ...).وتعبيرات مثل: (نتيجة، ل، بسبب، لسبب...).

نلاحظ من أنواع الوصل أنه يختلف عن كل أدوات الاتساق السابقة، لأنه لا يتضمن إشارة موجهة نحو البحث عن المفترض فيما تقدم أو ما سيلحق، بل يعمل الفكر والمنطق على اكتشاف هذه العلاقات بين السابق واللاحق. فالوصل يحدّد طريقة منطقية توضح طريقة ترابط اللاحق بالسابق بشكل منظمّ، كما يتضمن وسائل متعددة تربط المتتاليات السطحية لوحدات النص بعضها ببعض لتشكل وحدة متماسكة كلية.

ومن أدوات الاتساق النصي أيضا:

5. التماسك المعجمي : أو الاتساق المعجمي :

وهو آخر مظاهر الاتساق النصي غير أنه يختلف عن أدوات جميعها³، لأنه لا يربط عنصراً لغوياً سابقاً بلاحق أو أي شكل من أشكال الربط بين أجزاء النص. فهو يحدّد على مستوى المفردات و ذلك إمّا بتكرارها أو بتوارد الكلمات المرتبطة دلاليا و ينقسم نوعين :

1- التكرار (Reccurence) ، (Reiteration) .

2- التضام (Collocation).

1- التكرار :

هو إعادة عنصر معجمي، ويطلق عليه دي بوجراند (Récurrence)، ويرى أنّ " إعادة اللفظ في العبارة السطحية التي تتحد محتوياتها المفهومية وإحالاتها من الأمور العادية في المرتجل من الكلام"⁴. فإذا بقي التعبير المتكرر يحيل على المرجع نفسه فإنه يستمر بالإشارة

1- ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 48.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 24.

4- دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 303.

إلى الكيان ذاته في النص، وفي هذه الحالة يتدعم ثبات النص بواسطة هذا الاستمرار الواضح، فيحقق التكرار عاملاً مشتركاً بين الجمل يسهم في وحدة النص و تماسكه¹. فالتكرار يلعب في النص دور التذكير للأحداث السابقة فيه ودور الاستمرارية في الإحالة إلى المرجع السابق ووصله بما يليه حتى ينمو النص نحو نهايته. والتكرار أنواع إنما أذكرها اختصاراً من باب الحصر والتوضيح فقط.

وقد قسم هاليداي ورقية حسن التكرار أربعة أنواع هي :

- تكرار الكلمة نفسها.

- الترادف أو شبه الترادف.

- الكلمة الشاملة.

- الكلمة العامة.

1-تكرار الكلمة نفسها : وهو ثلاثة أنواع : مباشر، وجزئي، واشتراك لفظي.

أ-التكرار المباشر : ويسمى أيضا التكرار المعجمي البسيط ويكون عندما يتكرر العنصر المعجمي دون تغيير². كما يسميها مفتاح بن عروس تكرار من نوع p-p- أي تكرار العنصر اللغوي كما هو من بداية النص إلى نهايته.

ب -التكرار الجزئي : يكون باستخدام المكونات الأساسية للكلمة (الجزر الصرفي) مثل (ينفصل-انفصال)، (حكم، يحكم، حكام، حكومة)... و يسمى هذا النوع أيضا التكرار المعجمي المركب.³

ج -الاشتراك اللفظي : وهو تكرار معجمي لوحدة لغوية شكلها واحد ومعناها مختلف، حيث يتكرر استعمال اللفظة بمعنيين مختلفين.⁴

1- ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص، ص: 105.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 106.

3- ينظر: المرجع السابق، ص: 106-107.

4- ينظر المرجع نفسه، ص: 108.

أي هو "اتفاق اللفظين و اختلاف المعنيين".¹ مثل : ولى بمعنى حَكَمَ، وولّى بمعنى الفعل ذهب.

2-الترادف أو شبه الترادف :

ومن وسائل التماسك المعجمي أيضا : الترادف أو شبه الترادف وهو نوع ثان من أنواع التكرار وهو عكس الاشتراك اللفظي، ويعني اشتراك كلمتين في معنى واحد واختلافهما في اللفظ وهو نوعان شبه ترادف وترادف مطلق. ومثال الأول : (بيت و منزل)، و الترادف التام هو في حالة التطابق التام وهو نادر الوقوع في اللغة ومثاله : هاتف/تلفون مثالا.² و قد شغلت قضية الترادف اللغويين القدامى والمحدثين و أثارت جدلاً واسعاً. وما يهمني هنا هو الإشارة إلى أنّ الترادف وسيلة من وسائل الاتساق النصي.

3- الكلمة الشاملة :

ويقصد بالكلمة الشاملة أنّ إحدى الكلمتين تشير إلى فئة، والكلمة الأخرى تشير إلى عنصر من هذه الفئة مثل : طبيب - طبيب أسنان - لحم - لحم خروف ... وكلمة دولة تتضوي تحتها كل دولة مثل : الجزائر - المغرب - تونس - مصر - أمريكا ... فالكلمات الشاملة والكلمات المنضوية تعتبر من أنواع الترادف أحادي الجانب أو التضمين أحادي الجانب، أي ترادف غير قابل للعكس.³

4- الكلمة العامة :

وهي مجموعة صغيرة من الكلمات التي لها إحالة عامة، و تستخدم وسيلة للربط بين الكلمات في النص . و قد قسمها هاليداي ورقية حسن إلى ثلاثة أقسام :

- الاسم الدال على الإنسان : مثل : (الناس، الرجل، المرأة، الطفل، العجوز...).

- الاسم الدال على المكان : مثل : (مكان، موضع، ناحية، اتجاه).

1- إلهام أبو غزالة، مدخل إلى علم لغة النص، ص: 85.

2- ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص، ص: 107- 108.

3_ ينظر: المرجع نفسه، ص: 108.

- الاسم الدال على حقيقة : مثل : (سؤال، فكرة، شيء، أمر، موضع).¹

فهذه الكلمات -كما يؤكد الباحثان- لها دور هام في الإحالة باعتبارها نوعًا من أنواع الترادف. فهي تلعب دورًا دالاً في جعل النص مترابطاً بعضه ببعض.²

وآخر وسيلة من وسائل الاتساق عمومًا، و الاتساق المعجمي خصوصًا هو التضام.

2- التضام :

وهناك من يسميه (التلازم)، وهو وسيلة من وسائل الاتساق المعجمي، فلا ينحصر في تكرار بعض العناصر اللغوية فقط بل قد يعتمد على علاقات أخرى مثل : التضاد، والتعاكس، والتباين والتخالف وهذه العلاقات تحدد وسائل التضام. فالتضام ليس مجرد ترادف بين معنيين أو لفظين متماثلين لكنه" توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرًا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك."³

وهذه العلاقة قد تكون مقيدة وليست حرة، حيث إذا ذكر أحد اللفظين، استدعى - على الفور - اللفظ الآخر الذي يرتبط به في الكلام دلاليًا وتركيبياً، ووسائل التضام هي باختصار⁴:

1-التضاد (Opposite) : ويعني المقابلة بين لفظين حيث تترابط الكلمات بعضها

ببعض من خلال أشكال مختلفة للتضاد مثل : (ولد-بنت)، (وقف-جلس). وهي مكملات، أو متعارضات مثل : (يحب- يكره)....

1- الارتباط بموضوع معين : وذلك كون العناصر المعجمية

الموجودة في النص تدخل كلها ضمن مجال واحد، وذلك نتيجة ظهورها في سياقات متشابهة، ويطلق عليها محمد خطابي علاقة تلازم الذكرى مثل : المرض - الطبيب، النكتة - الضحك...

2- علاقة الجزء بالكل : مثل : البيت - السقف - الجدار...

3- علاقة الجزء بالجزء : مثل : فم - ذقن - أنف - عين...

1- ينظر : المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- ينظر : المرجع نفسه، ص: 109.

3- محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 25.

4- ينظر : عزة شبل محمد، علم لغة النص، ص: 109-110.

هذا باختصار نذكر لوسائل الاتساق النصي وهي بالنسبة للسانيات النص قوانين ضابطة لتحليل النصوص.

2-الانسجام وآلياته:

يعد الانسجام ميزة خاصة يسعى محللو النصوص إلى استنباطها للحكم بنصية نص ما، من عدمها. وباعتباره معياراً مهماً في النص حتى يكون نصاً، فهو في نظري ضابط من ضوابط النصية، وكل آلياته هي قواعد تحكم النص وتضبط تحليله.

في البدايات الأولى لظهور مفاهيم النصية كان مفهوم الانسجام هو نفسه مفهوم الاتساق النصي، فهناك من الباحثين الأوائل في علم النص من لم يفرّق بين الاتساق والانسجام وجعلهما شيئاً واحداً¹. ولكن بمرور الوقت وبعد تعمق الدراسات في مجال لسانيات النص، فرّق بعضهم بين الاتساق- وهو كما بينا معناه في المبحث الأول من هذا الفصل - والانسجام الذي يعده بعض الباحثين أعمّ من الاتساق وأعمق منه، إذ يتطلب من الملتقي صرف الاهتمام إلى العلاقات الخفية التي تنظّم النص وتولده.²

ونحن هنا بصدد التطرّق إلى آليات الانسجام لأنّ الانسجام مفهومًا قد تطرقنا له في المبحث المخصص لمصطلحات ومفاهيم لسانيات النص، ثم إنّ تحديد مفهوم الانسجام قد أختلّف فيه عند المنظرين في لسانيات النص في البدايات الأولى لظهور هذا العلم. ولسنا هنا بهدف التطرّق إلى تلك الوجّهات المختلفة التي تحدّد مفهوم هذا المصطلح الذي عرّف تحديده الدقيق على يد هاليداي ورقية حسن.³

وقبل التطرّق لآليات الانسجام لا بأس أن نذكر مميزات وأقسامه.

فهي بمثابة قوانين تمكن من البحث عن انسجام نص ما وتحديد آلياته.

2-1- مميزات الانسجام :

1- ينظر: مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن، ص: 111.

2- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 5-6.

3- للاستزادة في هذا الموضوع ينظر: مفتاح بن عروس، المرجع السابق الباب الأول: الإنسجام.

للانسجام النصي مميزات حدّتها خولة طالب الإبراهيمي فيما يلي¹:

- 1- الانسجام شروطاً أساساً وقوام لتوفر خاصية "النصية".
- 2- النص هو وحدة وتبادل، يكتسب انسجامه وفصاحته من هذا التبادل والتفاعل، ولذلك ينبغي تجاوز إطار الجملة للاهتمام بأنواع النسيج النصي التي يُحدثها المتكلمون أثناء ممارستهم الكلامية.

3- لا تستقيم قطعة نصية إلاّ بانسجامها، وهذا يأتي عند إدراج النص ضمن إطار السياق، ولا يكتمل إلاّ إذا اكتملت كل أبعاد النص وبعده التداولي.

4- للانسجام علامات خاصة متميّزة تحدّد النص في بعده الجزئي وفي بعده الكلي، أمّا البعد الجزئي أو الميكرو نصي²، فالانسجام فيه علامات أفعال الكلام التي يحتويها النص، وتحدد كذا علامات الخطاب المختلفة. أمّا البعد النصي أو الماكرو نصي فالتوجه التداولي العام للنص هو الذي يحدّد الانسجام العام للنص.

- 5- يرتبط معيار الانسجام بمجموعة من العلوم الأخرى، مثل: الأنتروبولوجيا والتاريخ وعلم النفس الإدراكي ... غيرها من العلوم. فمن هذه المميزات يمكن تحديد خاصية الانسجام في النص.

2-2 - أقسام الانسجام:

للانسجام عدّة أنماط وعلاقات تحكمها منها:

- 1- الانسجام التفسيري: ويختص هذا النوع بالعلاقات التفسيرية أو التوضيحية بين الجمل والفقرات في النص³، فتكون الجملة التالية سبباً في الجملة السابقة أو شرحاً لها مثل قولنا:

- هذا الطبيب ماهر في العلاج (ج1)

- 1- ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبية، حيدرة، الجزائر، (دط)، 2000، ص: 168-171.
- 2- ينظر المبحث الأول من هذا الفصل: لسانيات النص مصطلحاتها ومفاهيمها.
- 3- ينظر: ديوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 103.

- لقد نجح في إنقاذ المريض (ج2) مفسرة

2- الإنسجام القياسي (التوازي): ويعني هذا النوع بالعلاقات

القياسية بيت الجمل أي أن الجمل يقاس بعضها على بعض¹، فتتناول الجملة الأولى والجملة التي تليها الموضوع نفسه مثال:

(ج1) تحصل محمد على علامات جيّدة في كل المواد، (ج2) وتحصل أيضًا على علامة كاملة في الرياضيات.

(ج1) الموضوع نفسه (ج2) ←

3- الإنسجام الإستنتاجي (النتيجة): ويشتمل على العناصر

والجمل المستنتجة أو المستنبطة من الجمل السابقة لها أو التالية عليها²، وتكون الجملة الثانية نتيجة للجملة الأولى. مثاله:

نجح الطبيب في إنقاذ المريض، هو طبيب ماهر.

(ج1) نتيجة (ج2) ←

4- الإنسجام المرئي: ويكون بالاعتماد على العنصر المرئي

في النص كبداية النص والفقرات وتقسيم النص طباعيًا، كأن تُوضّح الجملة الثانية الجملة الأولى بإعطاء معلومات إضافية عنها.³ مثال ذلك يجب أن نشكر هذا الطبيب، فهو الذي أنقذ المريض من الموت.

(ج1) موازية (ج2) ←

5- الإنسجام المفاهيمي (التعليق): ويرتبط هذا النوع

بالمفاهيم المقدمة في النص ومدى التوافق بين العناصر السببية والعموم والخصوص،

1- ينظر: دي بوجراند، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

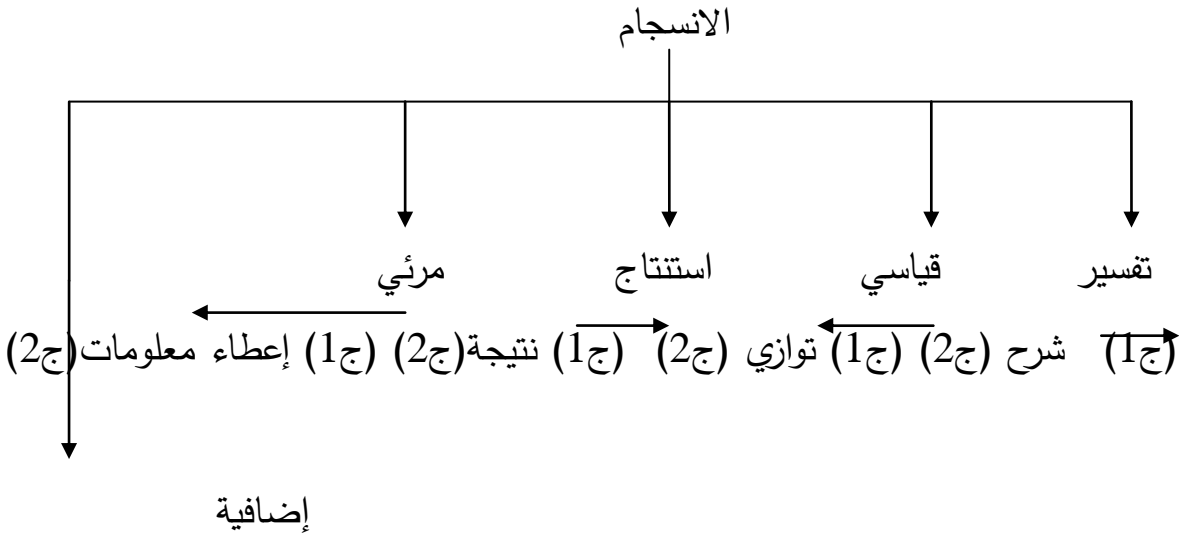
3- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والمعلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال، والموضوعات والمواقف.¹ فتكون الجملة الثانية تعليقًا على الجملة الأولى. ومثال ذلك:

نجح الطبيب في إنقاذ المريض، إنه جرّاح كبير.

(ج1) تعليق (ج2) ←

فأقسام الانسجام نلخصها في المخطط الموالي:



مفاهيمي

(ج1) تعليق (ج2)

ويقسم الانسجام انطلاقًا من علاقات رابطة بين الجمل بعضها ببعض كالتبعية، وعلاقات منطقية كالعلاقة بالأثر، وعلاقة السبب بالنتيجة، وعلاقة الوسيلة بالغرض، وعلاقة الشرط بالجواب، وعلاقة الأساس بالفرع، وعلاقة الغرض بالنتيجة، وهذه العلاقات تقابلها علاقات المجاز المرسل في البلاغة العربية.²

وقد وضع بعضهم عددًا من العلاقات وقسمها إلى:³

1- الأشياء: وهي كل كيان تصويري ذو بنية وهوية ثابتين.

1- ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- ينظر: عبد الحميد جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، (د ط)، 1998، ص: 143-147.

3- ينظر: دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء.

- 2 المواقف: وهي تشكيلات من أشياء متواجدة في حالاتها
الراهنة.
- 3 الحوادث: وهي وقائع تجري تغييراً لموقف أو لحالة ضمن
موقف أو حالة.
- 4 الأحداث: وهي الحوادث يقوم بها فاعل ما، في زمن ما.
وهذه العلاقات التي يبني عليها الانسجام ويتنوع تعتبر بمثابة قوانين تحكم خاصية
الانسجام ومنه يمكن للباحث تحديد نوع الانسجام ثم دراسته وفق آلياته وقواعده.

يطلق عليها بعض الباحثين مبادئ الانسجام¹، وقد يختلفون فيها وفي عددها إلا أنّهم لا يخرجون عن أمرين الأول هو السياق بكل ما يحتويه من مقام وظروف وملابسات.
 - والثاني: هو أهمية المتلقي في التعامل مع النص، لأنه-أي المتلقي- هو الذي يحكم على انسجام النص من عدمه. فالسياق والمتلقي شرطان لا يمكننا التخلي عنهما للوصول إلى انسجام النص أو انعدامه.

1- السياق:

لقد تطرقنا في المبحث الأول من هذا الفصل إلى تعريف السياق لغة واصطلاحًا كونه من بين أهم مصطلحات لسانيات النص، وأهم إجراءاتها في تحليل النصوص. كما تعرفنا إلى أنواع وهما عمومًا نوعان: سياق اللغة أو النص، وسياق الحال أو المقام. لكننا هنا بصدد الحديث عن آليات الانسجام إذ يعدّ السياق أهم وسائل الانسجام النصي، وخصوصًا سياق الحال أو المقام، ولتحليل نص ما؛ والحكم على انسجامه يكون لعامل السياق دور كبير في عملية التحليل، فلا نص بلا مقام. وهناك من الباحثين من يرى أهمية السياق في تحديد المعنى -أو معنى النص-، وهنا تأتي المدرسة الإنجليزية بزعامة "فيرث" (Firth).

إذ يرى بأنّ " المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة، فمعظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وإنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلاّ بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها".²
 فالسياق لا يقتصر على الوحدات اللغوية حسب، بل يمكن أيضًا من تحديد معنى الجمل، ومن ثمّ تحديد معنى النص. وهذا ما يؤدي إلى تحقيق التماسك الدلالي.

واختلف الباحثون في أنواع السياق، فمنهم من قسمها قسمين: -كما سبق أن ذكرنا- السياق اللغوي، والسياق المقامي³.

1- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 52.

2- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط6، 2006، ص 68-69.

3- ينظر: حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية -مصر، ط2، 1993م، ص: 161.

ومنهم من قسمها أربعة أقسام¹: السياق اللغوي، والسياق العاطفي، والسياق الثقافي،
وسياق الموقف.

ويقسمها فيرث قسمين هما:²

- السياق الداخلي للحدث اللغوي: ويتمثل في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية
والدلالية بين الكلمات داخل تركيب معين.

- السياق الخارجي: ويتمثل في السياق الاجتماعي أو سياق الحال بما يحتويه، وهو
يشكل الإطار الخارجي للحدث الكلامي. أي المقام.

وقد صنف " هايس " عناصر السياق. على نحو ما يلي:³

- المرسل: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.

- الملتقي: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.

- الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون يسهم وجودهم في تخصيص الحدث
الكلامي.

- الموضوع: وهو مدار الحدث الكلامي.

- المقام: وهو مكان وزمان الحدث التواصلية، والإشارات والإيماءات والمناسبات.

- القناة: كيف تم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي: كلام، كتابة، إشارة... إلخ.

- النظام: اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.

- شكل الرسالة: درشة، جدال، موعظة، خرافة،... إلخ.

- المفتاح: هو ما يتضمن التقويم لقيمة ونوع الرسالة، هل هي موعظة، أو جدال

أو... إلخ.

- الغرض: وهو ما يقصده المشاركون وينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلية.

1- استيفنأولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، دار الغريب، القاهرة - مصر، (د ط)، (د تا)، ص: 68. وينظر: أحمد
مختار عمر، علم الدلالة، ص: 70 - 71.

2- حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط2، 1993، ص: 161.

3- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 53.

وتسهل هذه الخصائص على الباحث عملية تحليل النصوص المختلفة، حيث إنّ " النص المنجز لا يتم تحليله لغويا إلاّ عن طريق هذا التفاعل بين المبدع والمتلقي، وبين النص ومدلولاته الحديثة والزمنية والمكانية، إنّها باختصار شديد كائن حي يشكل مع القراءة الواعية والتحليل الهادف الذي يجعل للسياق والموقف اللغوي دوراً أساسيا عند التحليل، هذا السياق الذي يحدد مكونات النص، بل ويوجدها"¹. يدلّ هذا الكلام على الصلة الوثيقة بين النص والسياق ودوره في تحقيق انسجام النص.

2- بنية الخطاب/ البنية الكلية:

يقول محمد خطابي في موضوع الخطاب إنه: " يختزل وينظم ويصنف الإخبار الدلالي للمتاليات [كلها]، تلك هي وظيفة موضوع الخطاب الذي يعدّ بنية دلالية بواسطتها يتم وصف الخطاب، وبالتالي يعتبر أداة "إجرائية" حدسية بها تقارب البنية الكلية للخطاب"².

2-1- القارئ النموذجي:

جاء بهذا المصطلح "إيكو" (Ikou) عند تعريفه للنص حيث يقول: إنّ " آلة كسولة تفرض من القارئ نشاطاً تعاضدياً ليملاً الفضاءات المسكوت عنها (Non-dit)³ وهنا يتضح أنّ النص يخفي دائماً فكرة ما بداخله تحتاج إلى من يجعلها ظاهرة واضحة.

وهنا علينا الحديث عن دور المتلقي في الحكم على انسجام النص، والسؤال الذي يطرح هنا هو: كيف يُسهمُ قارئ النص في ضبط انسجام نص ما؟.

يبدو جلياً أنّ للمتلقي دورٌ أساس في الحكم على أنّ النص نصّ، أي بحكمه على تماسك هذا النص. إذ هو أحد أركان التحليل النصي فهو: " يعتبر القراءة الثانية للنص، ولهذا لم يغفل علماء اللغة هذا الدور للمتلقي، فالنص يعدّ حواراً قائماً بين قائل النص والمتلقي له"⁴.

1- أحمد غففي، نحو النص، ص: 42.

2- محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 42.

3- حياة مختار أم السعد، تداولية الخطاب الروائي من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1،

2015، ص: 7.

4- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ص: 110.

حيث ينطلق "إيكو" من اعتبار أن كل قراءة للنص إلا وتعمل على إضاءة سيرورة ولادة بنيته لهذا سيسعى في قرائته للنص لمعرفة حركية القراءة، فمن أجل فهم النص يجب توفر مجموعة من الإستراتيجيات، كما أنّ وضع نظرية للنص بحاجة إلى مجموعة من القواعد التداولية التي تعين لنا الشروط التي يلتزم بها المتلقي لقراءة السياق الداخلي للنص¹.

ويعدّ متلقي النص مشاركون فيه، " وهذه المشاركة لا تضمن قطيعة بين البنية والقراءة، وإنما تعني اندماجاً في عملية دلالية واحدة، فممارسة القراءة إسهام في التأليف، فللقارئ مكان جوهري في عملية التفسير لا يقل عن دور المنتج"². فالقارئ يعدّ ذلك منتجاً ثانياً للنص فهو آلة كسولة أو مقتصدة يعيش بدلالات أو معاني وضعها المستقبل هذا جهة، ومن جهة أخرى لأنّ النص حين يتجاوز أو ينتقل من الوظيفة التعليمية إلى الوظيفة الجمالية يجب أن يترك للقارئ مجال التأويل، وإن كان في الغالب يريد للقارئ أن يفهمه بطريقة واحدة، وأن يختار طريقة منسجمة في التأويل، فالنص بحاجة لمن يجعله يشتغل³.

فالقارئ شريك للمؤلف في تشكيل المعنى، وهو شريك مشروع لأنّ النص لم يكتب إلا من أجله، وعلى هذا النحو لا تتمثل حقيقة العمل الأدبي إلا من خلال تداخل القارئ مع النص بل إنّ المبدع يخلق عملاً ينتزع فيه الكلمات من عالم المحسوسات مجسمة في نسيج عالم خيالي محكم الرّبط والبناء، ومهياً لأن يستكمل على نحو خاص لدى كل قارئ⁴.

وطبيعة الخطاب وبنيته تفرض على المحلل - كما تقول حياة مختار أمّ السعد - البحث في بنيته المتفتحة، حيث يتبنى الدراسة السياقية التي تصرح بأنّ المؤشرات اللسانية ليست المتكفلة بضبط انسجام النصّ ومن ثمة وضعت بعض الأحكام للانسجام والتي تبقى نسبية في ظل غياب أحكام موحدة مجملة في هذه النقاط لرصد انسجام خطاب ما⁵.

- يتحتم على المحلل تجاوز المقاربة الاختزالية للخطاب ورؤيته كلياً.

1- ينظر: حياة مختار أمّ السعد، تداولية الخطاب الروائي من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ، ص: 71.

2- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 111-112.

3- ينظر: حياة مختار أمّ السعد، تداولية الخطاب الروائي، ص: 69.

4- صبحي إبراهيم الفقي، علم لغة النص، ص: 111.

5- ينظر: حياة مختار أمّ السعد، تداولية الخطاب الروائي، ص: 69.

- يجب أن يتخذ الاتصال شرطاً من أجل الوصول إلى الانسجام .
- يجب مراعاة السياق الذي ورد فيه الخطاب.
- يجب امتلاك معرفة موسوعية.
- يجب الوقوف عند مدى احترام الخطاب للاستمرارية الموضوعاتية.
- مدى إمكانية تحديد المقاصد الإخبارية المحلية.
- الوصول إلى إعادة بناء المقصد الإخباري الشامل.

هذا باختصار آليات الانسجام النصي، وهناك من الباحثين من جعل لعلم المناسبة أهمية أو آلية من آليات الانسجام.

وهذا ما جاء في البحوث العربية. حيث يعرف السيوطي المناسبة بقوله: " ومرجعها في الآليات ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص عقلي أو حسي، أو خيالي أو غير ذلك، من أنواع العلاقات والتلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه"¹. ويعرفه البقاعي بقوله: "علم مناسبات القرآن هو علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه الذي يمثل سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود لسورة المطلوب ذلك فيها، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسباته من حيث الترتيب، وثمرته الإطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ماله بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعليق الذي هو كلمة النسب، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة"².

غير أننا نكتفي بالآليتين السابقتين في أنّ السياق بنوعية السياق اللغوي، والمقام، وآلية دور المتلقي في انسجام النص وفهمه، فهما في رأيي آليتان تسهمان في تحليل انسجام النص، في حين أنّ علم المناسبات مثله مثل علم الوقوف والابتداء علوم درست النصّ كونه بنية أكبر

1- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، الاتقان في علوم القرآن، ج2، ص: 103.

2- البقاعي برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1995، ج1، ص:5.

من الجملة، واهتمت بارتباط أجزائه ولكل علم من هذه العلوم نقاط اتفاق ونقاط اختلاف تجعلها توافق علم النّص أو لسانيات النص، لأنّ وحدة دراستها تسلط الضوء على النّص.

المبحث الثالث: لسانيات النص وعلاقتها بعلوم اللسان والعلوم الإنسانية.

1.3. علاقة لسانيات النص بعلوم اللسان:

1.1.3 علاقة لسانيات النص بالنحو.

2.1.3 علاقة لسانيات النص بالبلاغة.

3.1.3 علاقة لسانيات النص بعلم الأدب.

4.1.3 علاقة لسانيات النص بعلم الأسلوب.

2.3 علاقة لسانيات النص بالعلوم الإنسانية:

1.2.3 علاقة لسانيات النص بعلم النفس.

2.2.3 علاقة لسانيات النص بعلم الاجتماع.

3.2.3 علاقة لسانيات النص بالأنثروبولوجيا.

4.2.3 علاقة لسانيات النص بعلم التاريخ.

5.2.3 علاقة لسانيات النص بعلوم القانون والاقتصاد والسياسة.

3.المبحث الثالث: علاقة لسانيات النَّصِّ بعلوم اللسان والعلوم الإنسانية:

1.3.علاقة لسانيات النَّصِّ بعلوم اللسان:

تدرس " لسانيات النَّصِّ " النَّصِّ؛ وهو وحدة لغوية معقّدة يكمن تعقيدها في تداخل اختصاصات كثيرة لأجل تحليل هذه الوحدة ودراستها. لذا فقد عدّ بعض الباحثين "لسانيات النَّصِّ" علماً متداخل الاختصاصات¹ " بانفتاحه على جملة من المعارف كعلم النَّفس والاجتماع والسميائية والأسلوبية والذكاء الاصطناعي ونظرية المعلومات والعلوم اللسانية والأدبية بعامة"². ولأنَّ النَّصِّ في حدِّ ذاته عملية معقّدة؛ ينتجها المتكلّم ويقوم بالتّواصل الاجتماعي بواسطتها، ولها مقام ولها ظروف وملابسات ومتلقٍ، فهذا الأمر جعل علومًا كثيرة تكمن وراء إنتاج نص ما وتلقيه... .

وقد صنفت عزّة شبل العلوم التي تتداخل في تكوين علم النَّصِّ كما يلي³:

1- العلم اللغوي. 2- العلم الموسوعي. 3- علم التّفاعل.

1 - فالعلم اللغوي هو علم اللسان بفروعه: علم الصّوت،

والمعلم النّحو، وعلم البلاغة. وعلم الأسلوب، وعلم الأدب والسميائيات.

2 أمّا العلم الموسوعي فتقصد به كل ما يسهم في فهم كلام

المتكلّم وتحليله من معلومات وعلم المعلومات، وعلم النَّفس، وعلم الاجتماع في علاقتهما

باللّغة. والمعرفة بالعالم وكل ما يرتبط بالمقام الذي تشكل فيه النَّصِّ.

3 أمّا علم التّفاعل فتقصد به كل ما يمكّن من تفسير علاقة

المتكلّم بالمتلقي، وعمليّة التّواصل والتّفاعل بين المتكلّم والمتلقي، فالدّور الحاسم للنّصِّ هو "

1- ينظر: تون فان دايك، علم النَّصِّ مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة - مصر، ط1، 2001م: ص: 14.

2 - نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2012م، ص: 26.

3 - ينظر: عزّة شبل محمّد، علم لغة النَّصِّ النظرية والتّطبيق، ص: 58 - 59.

الذي يقوم به في الاتّصال الإنساني¹. فعلم النّص " لا يتوقف عند كلمات النّص وتحليلها في مستويات الدّرس اللغوي من أصوات وصرف ونحو ودلالة فحسب"². بل يحاول النّفوذ إلى ما وراء النّص باستثمار عوامل معرفية ونفسية واجتماعية، وعمليات عقلية يُعدُّ النّص ناتج تفاعلها³.

ويستهدف علم النّص ما هو أكثر عمومية وشمولية، فهو يرتبط من جهة - بكل أشكال النّصوص الممكنة، والمقامات المختلفة المرتبطة بها، ومن جهة أخرى - يرتبط بمناهج نظرية ووصفية وتطبيقية⁴.

وينظر أيضًا إلى ظهور علم النّص مرتبطًا بظواهر ومشكلات تعالج في علوم ومناحٍ أخرى للبحث، وبخاصة في علم اللّغة العامّ، - كما يذكر "سعيد حسن بحيري"- بوجه خاص في المجالات المهتمّة بالنّصوص؛ التي تستخدم في دائرة المهارات اللّغوية العامة مثل وظيفة المعلّم، وفي علم الأدب وعلم الأسلوب، وكذا في علم النّفس، وعلم الاجتماع في إطار ما يعرف بعلم الأجناس البشرية⁵. يعني هذا أنّ علم النّص لا ينغلق على نفسه في محاولته معالجة النّصوص، وإنّما يأخذ في حسابه دائمًا مكتسبات العلوم الأخرى.

وفي هذا المبحث نريد معرفة العلاقة التي تربط لسانيات النّص بعلوم اللسان من جهة كونها فرعًا من فروع علوم اللسان. ومن جهة أخرى علاقتها ولو بشيء من الاختصار - بعلوم أخرى غير لسانية، يمكن وضعها في حيز العلوم الإنسانية، لعلاقتها بالإنسان (المتكلم، المتلقي، والمقام الذي يحتوي العلاقات الاجتماعية بين الأفراد...).

1.1.2 علاقة لسانيات النّص بالنّحو:

1 - روبرت ديبوغراند وإلهام أبو غزالة وآخرون، مدخل إلى علم لغة النّص، مطبعة دار الكتاب، (د م)، ط1، 1992م، ص: 08.

2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4 - تون فان دايك، علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، ص: 14.

5 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 14 - 15.

إنّ علاقة لسانيات النّص بالنّحو ليست علاقة علم بعلم حسب. بل هي علاقة تقوم على آليات التّحليل النّصي، حيث إنّ النّحو هو العلم الذي يحمي الكلام عموماً والكلام العربي خصوصاً من اللّحن والانحراف عن التّركيب السليم؛ الذي يشترك فيه كل الناطقين بلسان بشري معين؛ ومنه كل الناطقين بلسان عربي فصيح، فلسانيات النّص عمود دراستها ونواته "النّص"، و"النّصّ قطعة لغوية مكتفية بذاتها. وهذه القطعة تخضع لأنظمة متعدّدة ومختلفة أهمّها النظام النحوي"¹. والملاحظ من تطبيقاتنا لتحليل النّصوص أنّ المعرفة بالنّحو - أو بقواعد النّحو- تمكّن من تحديد مفاصل الكلام بدقّة، وانطلاقاً من سلامة هذه المفاصل تحدّد العلاقات والرّوابط التي تشكّل ما يسمى بنسيج النّص. إذ تقوم دراسة الاتساق النّصي على معرفة جيّدة بقواعد النّحو التي تعين على تحديد الفواصل بين الجمل، تقول إلهام أبو غزالة إنّ معيار النّصيّة الأولى هو التّضام (الاتساق)، وموضوعه ما يكون بين مكونات ظاهر النّص، أو الكلمات الفعلية التي في المقام - مكونات النّص التي نسمعها أو نبصرها- من ترابط متبادل ضمن تتال لغوي معيّن. "وتعتمد مكونات ظاهر النّص بعضها على بعض وفقاً للأعراف والأشكال القائمة في علم القواعد، أي إنّ التّضام يعتمد على التّبعية القواعدية"². والواضح من هذا الكلام أنّ قواعد النّحو في مجال لسانيات النّص هي الرّكيزة الأساس للتّحليل والكشف عن العلاقات القائمة بين وحدات النّص. فعلم النّحو لا يعمل فقط على استقامة النّص بل يسهم في مجال علم النّص في تقديم القواعد الضّابطة والآليات التي تحدّد مفاصل النّص بدقّة وسلامة. إذ يتوجّب على الباحث المحلّل للنّصوص أن يلمّ بقدر كاف بقواعد النّحو وسلامة اللغة. ومن الاستنتاجات التي خلص إليها بعض الباحثين فيما يتعلق بإسهامات النّحاة في بلورة لسانيات النّص اهتمامهم "بمسألة العطف والمقاطع والاستئناف على أساس نحوي صرف يعالج الظاهرة بالاعتماد على البنى الإعرابية والعاملية في الجملة وبين الجمل"³ فعلاقة علم النّص بعلم

1 - رشيد برقان، آليات ترابط النّص القرآني، أفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2015م، ص: 18.

2 - إلهام أبو غزالة، مدخل إلى علم لغة النّص، ص: 25.

3 - خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، دار الأمان، الرباط - المغرب، ط1، 2013، ص: 194.

النحو هنا ليست علاقة تكامل فقط، إنّما تقوم سلامة التحليل النصي لتحديد الروابط بين وحدات النص - وهي الجمل - على معرفة عميقة بقواعد النحو. فأى إخلال بمعرفة قواعد النحو، يؤدي باللساني النصي إلى الإخلال في ضبط العلاقات القائمة بين وحدات النص، فما يضمن سلامة نسيج النص تركيبيا عند المتكلم هي قواعد النحو، ولا بد للباحث من أن يكون على علم بهذه القواعد.

2.1.2 علاقة لسانيات النص بالبلاغة:

تدرس لسانيات النصّ النصّ وهو الكلام المكتوب، ومصطلح "الكلام" هو المصطلح المطابق لمفهوم النصّ (Text) عند علماء البلاغة العربية القدامى، أمثال عبد القاهر الجرجاني، الذي صور في كتابه دلائل الإعجاز كيفية تراكم أجزاء الكلام وتلاحمها في مواضع كثيرة من هذا الكتاب. وعلى سبيل المثال يقول عبد القاهر الجرجاني في فصل " في النظم يتحد في الوضع، ويدقّ فيه الصنع": " واعلم أنّ مما هو أصل في أن يدقّ النظر، ويغمض المسلك، في توخي المعاني التي عرفت: أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتدّ ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحداً، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه وهنا في حال ما يضع بيساره هناك. نعم، وفي حال ما يبصر مكاناً ثالثاً ورابعاً يضعهما بعد الأولين..."¹. وقد فتح هنا عبد القاهر الجرجاني باب الاتساق النصي ونسيج النص، وعلاقة الجمل داخل النص بعضها ببعض. وفي قوله: (وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحداً) إشارة إلى انسجام النص حين يعبر تلاحم أجزائه عن المعنى الكلي له. وجل مباحث البلاغة العربية تقدّم أصولاً للسانيات النصّ، حيث نرى أنّ مقولة البلاغيين: " لكل مقام مقال" شكّلت ما يمثل في لسانيات النصّ علاقة النصّ بالمقام وهو فاتحة لدراسة ما يقابل مفهوم الانسجام في النصّ.

ومقياس الكلام في البلاغة العربية من باب الحسن والقبول يكون بحسب مطابقته لمقتضى الحال، " فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسن الكلام تجريده من مؤكّدات

1 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 93.

الحكم، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الحكم تحليته بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفاً وقوةً، وإن كان مقتضى الحال طيِّ ذكر المسند إليه فحسن الكلام تركه، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه، فحسن الكلام وروده عارياً من ذكره، وإن كان إثباته مخصصاً بشيء من التخصيصات فحسن الكلام نظمه على وجوه المناسبة، من الاعتبارات المقدم ذكرها، وإن كان المقتضى عند انتظام الجملة مع أخرى فصلها أو وصلها أو الإيجاز معها أو الإطناب، فحُسُّ الكلام تأليفه مطابقاً لذلك¹. فمراعاة الكلام أو نظم الكلام بمطابقتها المقام هو محور مباحث البلاغة العربية وهو في الآن نفسه من مبادئ الدراسة اللسانية النصية للنصوص. ونلاحظ هنا من قول السكاكي تلميحا إلى التسيج من العلاقات والروابط التي تشكلها الجمل أو انتظام الجمل بعضها ببعض حين يقول: (كان المقتضى عند انتظام الجملة مع أخرى فصلها أو وصلها)، وهو مدار الدراسة في لسانيات النصّ.

وتؤكد إلهام أبو غزالة أنّ لعلم البلاغة اشتراكا مع لسانيات النصّ في أمور كثيرة منها²:

- 1- يمكن أن يُخَصِّع التّواصل إلى الأفكار، وترتيبها للضبط المنهجي.
- 2- إن الانتقال بين الأفكار والتعبيرات غير مستعصٍ على التّدريب الواعي.
- 3- إنّ بين النّصوص المختلفة التي تعبر عن تشكيلة معيّنة من الأفكار نصوصا أرقى من سواها.
- 4- يمكننا تقييم النّصوص بدلالة ما تحدثه من تأثير في المتلقي.
- 5- تعدّ النّصوصُ وسائط نقل للتّفاعل.

نلاحظ أنّ نقاط الاشتراك بين لسانيات النصّ والبلاغة - التي قدّمها إلهام أبو غزالة - لا تخرج عن أنّ النصّ هو الوحدة المشتركة بين العلمين، فكل من البلاغة العربية ولسانيات النصّ يدرس النصّ. إلّا أنّ ما قدمه علماء البلاغة العربية من مفاهيم ركّزت الدراسة فيها على المتكلم من حيث علاقته بالمتلقي من جهة وبالمقام من جهة أخرى، والمتلقي في علاقته الاجتماعية والنفسية بالمتكلم وبالمقام وبكل وحدة لغوية -أقصد مورفام أو كلمة أو جملة

1 - السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د ط)، (د تا)، ص: 73.

2 - ينظر: إلهام أبو غزالة، مدخل إلى علم لغة النصّ، ص: 39.

بمفهومها عند النحويين - داخلة في نسيج الكلام تنتج عنها دلالة معينة تقضي بهذا المتلقي إلى البيان والوضوح. والنص الذي هو الكلام في بنائه ونسيجه الداخلي، وكونه وحدة لغوية تتجاوز حدود الجملة بمفهوم المسند والمسند إليه. فهو ينمو نحو نهاية تستلزم من المتكلم إبلاغ فكرته للمتلقي بطريقة سهلة وسلسة وواضحة. ودعا لهذا الرأي يقول خليفة الميساوي: " وقد وجدنا صدى لهذه الجهود والمصطلحات عند الجرجاني والسكاكي وخاصة القرطاجني الذي كان يؤسس نظرية عربية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، إذ اعتنى كل منهم بصورة متفاوتة بمسألة الربط والترابط والفصل والوصل والمعنى الجامع بين القضايا والجمل وكمال الاتصال والانفصال والتناسب وهي مسائل عالجتها اللسانيات النصية والخطابية الحديثة."¹ كل هذه النقاط هي محاور بحث علم البلاغة العربية، وهي أعمق دراسات للنص، وأكثرها دقة من حيث الوصف ومنهج التحليل، قدمها علماء العربية منذ زمن، وهم أساسا علماء نحو وبلاغة، وفقهاء للغة العربية ومعجمها الكبير.

3.1.2- علاقة لسانيات النص بعلم الأدب:

لم يلق علم الأدب والأسلوب دراسة وافية في مجال علم اللسان في البدايات الأولى لأن التحليل اللساني "ما زال في الغالب يقتصر على وصف جمل أو أجزاء من الجمل منعزلة ولا ينظر إطلاقاً. أو نادراً ما ينظر إلى التحليل النحوي لتتابعات الجملة أو النصوص"². كما أن النصوص الأدبية والحكايات قد أخذ تحليلها في علم اللسان نمطاً بعيداً عن ما تهدف إليه لسانيات النص، من اكتشاف العلاقات القائمة بين الجمل بعضها ببعض. فقد صار للنصوص الأدبية سمات غير لغوية "والأبنية العليا، الخاصة في أشكال السرد والجدل وغيرها هي أمثلة نمطية، وكذا حين يعبر عنها من خلال اللغة فإنها نفسها ليست ذات طابع لساني، أو لغوي، بالمفهوم الضيق لهما: ذلك أن بنية الحكيم يمكن أن يعبر عنها من خلال الرسوم أيضاً."³

1 - خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ص: 194.

2 - تون فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، ص: 20.

3 - المرجع السابق، ص: 20 - 21.

هذا يعني أنّ التّحليل اللساني قبل لسانيات النّص، قد جرّد النّصوص الأدبية من طابع نصوص إلى بنىّ مجرّدة، وجمل متفرّقة، وقد يدرس دراسة سيميائية في شكل رموز أو رسوم، تبعده عن طابع النّص الأدبي الذي يبحث فيه عن المعنى الجزئي والمعنى العام والترابط بين الجمل المكونة له. وهذا عكس ما عملت على دراسته لسانيات النّص.

حيث حافظت على النّصوص الأدبية، وحاولت البحث عن المعطيات الدّاخلية والخارجية التي تربط النّص وحدةً كاملة مع المقام لفهمه بشكل أفضل. فتجاوزت بذلك حدود الجملة في دراسة النّصوص.

4.1.2- علاقة لسانيات النّص بعلم الأسلوب:

كانت الجملة هي مجال دراسة اللسانيات، وكل الأبحاث التي تتجاوز الجملة تدخل في إطار علم الأسلوب. تقول إلهام أبو غزالة في هذا الموضوع: "حين أخذ علم اللغة المعاصر في الظهور، اقتصرت الأبحاث في العادة على إطار الجملة باعتبارها الوحدة الكبرى ذات البنية الصميّة، أمّا البنى الأخرى المجاوزة للجملة فكانت على اختلافها تلحق بعلم الأساليب"¹.

ورغم ذلك فقد شغل تحليل الأسلوب مجالاً هامشياً في علم اللغة، على حدّ قول فان دايك: "ولمّا كان الأسلوب مجالاً لا يمكن أن يدرس درساً جدّياً على أساس كلمات أو مركبات أو جمل متفرّقة، بل يعنى بالمنطوق اللغوي بوصفه كلاً فإنّه في هذا الحال يمكن أن يكون الإطار اللغوي النّص أكثر ملاءمة"². أي لسانيات النّص، فهي مجال الدّراسة الذي تجاوز حدود الجملة، ولا يمكن للأسلوب إلا أن يكتشف من دراسة وحدة أكبر من الجملة هي "النّص".

ومن هنا يمكن القول إنّ لسانيات النّص تقدّم إطاراً أكبر لعلم الأسلوب، وعلم الأسلوب بدوره استقرّ بصورة أكثر كثافة مع الأبنية النّصية³.

2.2. علاقة لسانيات النّص بالعلوم الإنسانيّة:

1.2.2 - علاقة لسانيات النّص بعلم النفس:

1 - إلهام أبو غزالة وآخرون، علم اللغة النّصي، ص: 41.

2 - فان دايك، علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، ص: 21.

3 - ينظر: المرجع السابق، ص: 157.

من بين ميادين علم النفس: علم النفس اللغوي، وعلم النفس التربوي، وهما فرعان من فروع علوم اللسان. ونقاط الاشتراك بين علم النفس ولسانيات النص يمكن أن نجدها في علم النفس اللغوي، الذي يهتم بدراسة الترابط بين العوامل اللغوية والجوانب النفسية¹. ويختص هذا المجال بدراسة العوامل النفسية والعوامل العصبية الحيوية، التي تمكن الإنسان من اكتساب ملكة اللغة واستخدامها وفهمها ونطقها. ويختص المجال في الدرجة الأولى بآليات معالجة اللغة وكيفية تمثيلها في العقل والدماغ². ولسانيات النص في جانب من جوانب التحليل تربط النص (اللغة) بكل ما له علاقة به خارج اللغة، وهي كل ما يرتبط بنفسية المتكلم أو المتلقي. وهي عوامل غير لغوية لكنها تسهم في فهم بناء النص وتقدم أدوات لتحليله بطريقة أعمق. فكما أن علم اللغة النفسي يهتم بالقدرات الإدراكية والعمليات اللازمة لإنشاء تراكيب لغوية سليمة بالاستعانة بالقواعد النحوية والمعجم المخزنة في العقل البشري، وبكيفية إدراك المستمع أو القارئ لتلك التراكيب اللغوية. وكذا بقدرة الطفل على تعلم اللغة، فإن لسانيات النص تهدف إلى إيضاح كيفية إمكان مستخدم لغة ما أن يقرأ أو يسمع منطوقات لغوية معقدة مثل النصوص وأن يفهمها، وأن يستخرج معلومات محدّدة، وأن يخزن هذه المعلومات (على الأقل بصورة جزئية) في الذاكرة وأن يعيد إنتاجها مرة أخرى³. ومن هنا يقدم علم النفس اللغوي للسانيات النص حلاً لإشكالات يطرحها منذ بضع سنوات منها مثلاً:

- ما هي العمليات وما القيود والشروط التي تمكن مستخدم لغة عادي من أن يحتفظ في ذاكرته بكل البيانات النحوية والمضمونية لنص ما على نحو يمكنه من استرجاعها مرة أخرى؟
- كيف يمكن لمستعمل اللغة اختيار أو اختزال معلومات ما وتكوين نصوص جديدة؟
وحدّ مثل هذه الإشكالات يتعلّق بحلّ مشكلات سواء داخل علم النفس أو في مجالات أخرى مثل التعليم. فهي تمكن من امتلاك أداة لفهم عمليات التعليم وحتى توجيهها⁴. ومثل هذه

1 - ينظر: نوال محمّد عطية، علم النفس اللغوي، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط3، 1995م، ص: 22.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 23.

3 - فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، ص: 24.

4 - ينظر: المرجع السابق، ص: 24 - 25.

الحلول يعطي لمحلّ النصّ الأرضيّة لتوفير معطيات يمكنه توظيفها في تحليل النّصوص وتحديد نفسية الكاتب، وقدرته المعرفية، وغيرها من المعلومات التي تسهم في فهم النّص بشكل أكثر عمقاً. فعلم النّفس يحتوي فرعاً هو علم النّفس اللّغوي؛ الذي هو فرع من فروع علم اللسان الحديث، ولسانيات النّص هي أيضاً فرع من فروع علم اللسان. فالعامل المشترك بين هذه العلوم هو اللسان البشري؛ والاختلاف يكمن في نظرية كل علم من هذه العلوم وقواعده في تحليل هذا اللسان البشري. وما يعبر عنه سواءً أكان منطوقاً أو مكتوباً (نصوص).

2.2.2 - علاقة لسانيات النّص بعلم الاجتماع:

علم الاجتماع هو العلم : "الذي يهتمّ بالعلاقة بين اللّغة من جهة والثقافة والمجتمع من جهة أخرى"¹. فهو دراسة الحياة الاجتماعية للأفراد داخل المجتمع، سواءً بشكل مجموعات أو مجتمعات، ويدرس أيضاً السلوكيات والتفاعلات الاجتماعيّة، كما يهتمّ بالقواعد والعادات الاجتماعيّة التي تربط الأفراد بعضهم ببعض و تفصل بينهم، ويهتمّ علم الاجتماع أيضاً بالأفراد جماعات ومجموعات². ومن بين فروع علم الاجتماع: علم الاجتماع اللّغوي، وعلم النّفس الاجتماعي، فقد كان للمدرسة الأمريكية في علم اللسان دور هام في تطوير علم النّفس الاجتماعي في مجال علم الاجتماع اللغوي، " وهي مدرسة ترتبط ارتباطاً قوياً بعلم الاجتماع وتتمثل في أعمال تشارلز كولي - التي أبداع فيها هذا الأخير من الجانب الفلسفي وبصورة أساس من البراغماتية، وكذلك "تشارلز بيرس" و"ويليم جيمس" و"جون ديوي" على وجه الخصوص و"جورج ميد" الذي طوّر نظرية في التنشئة تتسم بتحليلات معمّقة وتفصيلية، ودور العمليات الاتصالية لتطوّر الفرد وبناء شخصيته، وأيضاً فحص وظائف العمليات الاتصالية التي ينشأ عليها الأطفال. وقد أسهمت أعمال "ميد" في خدمة المختصين في المدرسة (الرّمزية

1 - توماس لوكمان، علم اجتماع اللغة، تر: أبو بكر باقادر، النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية جدّة، ط1، 1987م، ص: 17.

2 - ينظر: بغريش ياسمينة، محاضرة: المدخل إلى علم الاجتماع، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 2، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعيّة، قسم: علم الاجتماع، قسنطينة - الجزائر، 2014 - 2015م، ص: 05.

التفاعلية).¹. وبما أنّ اللّغة ظاهرة اجتماعية وهي بالمصطلح "الدوركايمي" حقيقة اجتماعية لكنها لا تشبه البناء الاجتماعي والثقافة². ولا يمكن للأفراد أن يتحاوروا إلا اجتماعيًا. كما أنّ للمحيط والبيئة الاجتماعية - بكل ما احتوته من موقع جغرافي (مكان)، وزمان، وأشياء، وأفراد- دورٌ في اكتساب الفرد للغة، وفي اختلافه عن غيره من الأفراد المنتمية إلى مجتمعات أخرى بلغة مميّزة لبيئته الاجتماعية عن غيرها. وكذلك النّص؛ فمن النّصوص التي ينشئها المتكلم ويؤثر بها في السامع، ومن النّصوص يعرف السامع (القارئ) ما يعرفه المتكلم (ما يقدمه من معلومات)، وعليه يقوم المتكلم من جرّاء تقديمه لتلك المعلومات بفعل شيء ما؛ ينتظره من المتلقي، فالمتكلم يطلب، ويأمر، ويوصي، ويهنئ، وينهر، ويحيي، ويلوم. إذ يرى "فان دايك" أنّ حقل العمل المركزي لعلم النّص هو علم النّفس الاجتماعي³. وعندما تكون للمتكلم سلطة اجتماعية أو دور أو وظيفة فإنّه يمكن له من كلامه أن يتّهم أو يبرّئ، ووصف هذه الأفعال الكلامية هو مجال أو مهمّة البراغماتية (التداولية)؛ التي مثلما تنتمي إلى علم اللسان الحديث، هي في الآن نفسه تنتمي إلى علم النّفس الاجتماعي والفلسفة⁴. فالبراغماتية هي علم يقوم: " بتحليل الأفعال الكلامية ووظائف منطوقات لغوية وسماتها في عمليات الاتّصال بوجه عام"⁵. أي هي دراسة اللّغة في الاستعمال. وليس دراسة اللّغة بعيدا عن الاستعمال كما كان يدرسها علم اللسان سابقا. ولأنّ الأفعال الكلامية يمكن أن تكون من إنجاز فرد، كما يمكن أن تكون من إنجاز مجموعة أو مؤسسة، ويمكن أن توجه إلى فرد أو مجموعة أو جمهور واسع أو مؤسسة، فهنا " يمكننا الحديث عن الاستيعاب الاجتماعي للمعلومات، وعند طرح هذه المشكلة يبرز دور علم النّص"⁶.

1 - توماس لوكمان، علم اجتماع اللغة، ص: 26.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 35.

3 - فان دايك، علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، ص: 25.

4 - المرجع نفسه، ص: 26.

5 - المرجع نفسه، ص: 114.

6 - المرجع السابق، ص: 26.

يدرس علم النصّ بنية النصّ في إطار علاقتها بتأثيرات معرفية وآراء ومواقف وأفعال للأفراد في بيئة اجتماعية معينة، أو أفعال مجموعات أو مؤسسات. كما يبحث علم النصّ في كيفية تأثير شخص ما من خلال كلامه، بأسلوب معيّن وعملية إبلاغية محدّدة وجنس نصي محدّد في المتلقي. فهو يبحث ويسعى إلى توضيح كيفية تلقي الأفراد أو الجماعات لتلك المضامين. وكيف تؤدي هذه النصوص والمعلومات إلى تشكل رغبات وقرارات وأفعال؟. وفي نهاية المطاف كيف تتشكل عاداتنا وأحكامنا ومعاييرنا وأعرافنا وتقييماتنا من معلومة نصية معينة؟¹.

ويشير بعض الباحثين في مجال "لسانيات النصّ" إلى أنّ من بين القضايا التي اهتمّ بها علم الاجتماع تحليل المحادثة بصفاتها صيغة للتنظيم والتفاعل الاجتماعيين. ومن بين الدراسات التي أجريت كيفية تبادل المشاركين في المحادثة لأدوارهم. ومنها أيضًا البحث فيما يسمى بعلم مناهج البحث العرقي في دراسات عن الارتباطات بين أنماط التّكلم من جهة، والأدوار أو الفئات الاجتماعية من جهة أخرى. وكيف يعدّل الناس سلوكهم اللّغوي في لقاءاتهم مع مختلف المجموعات، وكيف يمكن وضع مواصفات التّعلّم أو تغييرها، وكيف تظهر السّيادات الاجتماعية في التّكلم... كما أنّ لدراسة المحادثة التي تسمى أحيانًا تحليل المقال أهميّة حيويّة في علم النصّ إذ تؤدي هذه الآليات في تحليل المحادثة إلى الكشف عن معايير النصّية².

وهنا نخلص إلى أنّ الحياة الاجتماعية تسهم في بنية النصوص، فالكلام الموجّه من سلطة اجتماعية إلى من هو أقلّ منها طبقة في المجتمع يختلف عن الكلام الموجه من زميل إلى زميل، وكذلك الأمر بالنسبة لأفراد الأسرة الواحدة، فكلام الأب والأمّ الموجه للأبناء ليس نفسه من حيث الأفعال الكلامية والتأثير والسلطة في الكلام. مقارنة مع الكلام الموجه من الابن للآباء أو من الابن لإخوانه... وهكذا. فعامل المجتمع مهم في تحليل النصوص بكل ما احتواه المجتمع من بيئة جغرافية ومكان وأفراد، وأدوار ووظائف لهذه الأفراد في المجتمع، وهذا ما يقدمه علم الاجتماع للّسانيات النصّ.

1 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 26 - 27.

2 - ينظر: إلهام أبو غزالة وآخرون، مدخل إلى علم لغة النصّ، ص: 43 - 44.

3.2.2 - علاقة لسانيات النص بالأنثروبولوجيا:

يعنى الأنثروبولوجيا بالاختلافات المحلية والإقليمية والثقافية بين النصوص وأشكال النصوص واستعمال النص¹. وضمن فروع الأنثروبولوجيا ما يسمى "بالأنثروبولوجيا اللغوية"، أو "اللسانيات الأنثروبولوجيا"، وهي "دراسة متعددة المجالات عن كيفية تأثير اللغة على الحياة الاجتماعية".² كما يتفرع عن الأنثروبولوجيا علم آخر هو "اثنوجرافيا التحدث"، وهو يعنى بوصف "الاتفاقات أو الاختلافات بين النصوص والاتصالات في سياقات ثقافية مختلفة. ولا يقتصر هذا التحليل على المقارنات الثقافية مع شعوب معينة، بل يمكن أن يمتد إلى ثقافات (تحتية) متباينة داخل بلد ما أو شعب ما"³. فإثنوجرافيا التحدث أو التواصل؛ التي يطلق عليها في أصل التسمية إثنوجرافيا الكلام، هي تحليل التواصل ضمن السياق الأوسع للممارسات الاجتماعية والثقافية ومعتقدات الأفراد المنتمين لثقافة أو لجماعة لغوية محددة⁴.

وترى إلهام أبو غزالة وآخرون أن البحوث الأنثروبولوجية قد لقيت دعماً كبيراً في الثقافات غير المشهورة من الطريقة اللغوية المسماة بعلم القوالب، إذ تدعو هذه الطريقة إلى جمع المعطيات وتحليلها بدلالة المواقع والشاغلات أي بحسب المواضيع. حيث إن "علم القوالب يتجاوز في تطلعاته الجملة والنصوص جميعاً إلى مركبات أكبر منهما في التفاعل البشري من مثل لعبة كرة القدم والصلاة... وأدى التكامل المتمثل في مدخل التحليل القالبي، بين الأنثروبولوجيا وعلم اللغة إلى منح توثيق بالغ الأهمية لكثير من اللغات الوشيكة الاختفاء في الأصقاع النائية من العالم. ويمكن إسهام علم التحليل القالبي لعلم النصوص في التعرف المنهجي على الارتباطات القائمة بين اللغة ومقامات الاتصال البشري.⁵ وترى الباحثة أنه لا بد من القيام بإجراءات قبل الخوض في موضوع المواقع والشاغلات، وفي هذه الحالة لا بد من

1 - المرجع السابق، ص: 33.

2 - موقع الكتروني: انتصار العتوم أبريل 2020، WWW.google.com e3arabi.com .

3 - فان دايك، علم النص، تر: سعيد حسن بحيري، ص: 33.

4 - ينظر: موقع ويكيبيديا/ <https://ar.m.wikipedia.org/wiki>

5 - إلهام أبو غزالة وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، ص: 43.

مواجهة التمييز بين اكتشاف البنى وتحليلها من جهة، وإجراءات تركيب البنى واختيارها من جهة أخرى.¹ أي التفريق بين تحليل النصوص، وآليات اكتشاف بنياتها، وطريقة بناء النصوص. ومن هنا نلاحظ العلاقة بين "علم النص" و"الانثروبولوجيا" في كون هذه الأخيرة تطرقت إلى أهم قضايا "علم النص" وهي ما يربط اللغة بالإنسان وبمقامات الاتصال البشري والمجتمع بصفة عامة.

4.2.2 - علاقة لسانيات النص بعلم التاريخ:

يضم علم التاريخ " في الغالب شيئاً آخر خلاف نصوص ذات طبيعة متباينة (وثائق ومؤرخين ومصادر ومذكرات وأخبار وأوصاف... إلخ) عن وقائع الأزمنة المبكرة، الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها"². وليس علم التاريخ في حد ذاته من له علاقة بعلم النص، بل علم النص التاريخي هو الذي له علاقة بعلم النص - حسب قول تون فان دايك- "لأنه يمكن أن يحقق وضوحاً حول كيفية تغيير أشكال النص المتباينة على امتداد الزمان، وتحت أي ظروف سياسة واجتماعية وثقافية يحدث ذلك التغير"³. مع ذلك يمكن من علم التاريخ أن يستمد الباحث معلومات لتحليل نصوص وقع فيها تناص لنصوص قد ترتبط بالأدب اليوناني أو الروماني، أو يستخدم فيها الكاتب نصوصاً إقناعية بلاغية استعملها خطيب قبل قرن من الزمن... .

وما يمكن أن يكون مهماً ليس لعلم التاريخ فقط - كما يقول حسن بحيري- إنما لعلم النفس، وعلم القانون وعلم الاجتماع، وهو كيف يوصل الناس معارفهم وإدراكهم للأمور، ومعايشتهم لأناس آخرين أو أحداثٍ أو أفعالٍ؟، حيث " إن إعادة تركيب الواقع المعاصر أو واقع تاريخي ما يرتكز هنا على عمليات تأويل معقدة يمكن أن تفسر بصورة متماسكة داخل علم شامل للنص"⁴.

1 - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2 - تون فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص: 31 - 32.

3 - المرجع نفسه، ص: 32.

4 - المرجع السابق، ص: 32.

ومن هنا يمكن لعلم التاريخ أن يسهم في مدّ المعارف التي تعين اللساني النَّصّي على تحليل نصوص قد تربطه بما قيل في زمن مضى وفي مكان ما، ومع أفراد غير الذين ينتمي إليهم النَّصّ المؤلّف الجديد.

5.2.2 - علاقة لسانيات النَّصّ بعلم القانون والاقتصاد والسياسة:

يرى بعض الباحثين أنّ البنية الاجتماعية وما تحتويه من مؤسسات وأنظمة معيّنة تتميز كلّها من خلال وسيلة محدّدة عن كيفية التّواصل داخليا وخارجيا بنصوص ذات أنماط ومعايير مقنّنة وأشكال منظمة من أشكال التّواصل، حيث إنّ كل الحالات التي تكون فيها النّصوص - سواء مكتوبة أو شفاهية - لها صيغ واصطلاحات قانونية ثابتة ودقيقة، فمن هذه النّصوص ما يمكن أن يُدِين شخصاً، أو يدافع عن شخص، أو يحكم عليه أو يفرج عنه... وفي هذه الحالة قد تقوم بين علم النَّصّ وعلم القانون علاقة جدّ وثيقة¹.

كما يمكن لهذا الأمر أن ينطبق على العلوم السياسية، فخطابات الساسة ومناقشات البرلمان والأخبار السياسية، والتعليقات والاتفاقيات الدّولية وبرامج الأحزاب، تمثل التحقق النَّصّي للنّظام السّياسي². فكل هذه الخطابات والنّصوص يمكن أن تقدّم لعلم النَّصّ مدونة التحليل، وما يدخل ضمن أصناف النصوص أو أنماط النصوص. غير أنّ الموضوع الأساس لعلم الاقتصاد ليس شكلاً من أشكال التّواصل النَّصّي اللغوي، فهو تبادل المنفعة والمال والخدمات والعمل، وكذا أخبار البورصة والميزانيات السنوية.. وغيرها. إلّا أنّ الإنتاج والاستهلاك والخدمات توجد كلّها في سياقات التّفاعلات الاجتماعية، أي التجارة والمؤسسات والمكاتب والمصانع. ومن ثمّ فمهمّة علم الاجتماع أو علم الاقتصاد الاجتماعي معرفة كيف توجّه هذه التّفاعلات أثناء عملية التّواصل. فالعاملون داخل المؤسسة يتواصلون، وأصحاب العمل مع العمّال يتواصلون، والمؤسسات بعضها مع بعض تتواصل... وعلى أساس هذا التّواصل تحدّد العلاقات بين هؤلاء بأشكال لغويّة صارمة، وبنصوص وأساليب محدّدة.

1 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 28 - 29.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 29.

فالنصوص الموجهة من المدير للعامل أو العمّال غير النصوص والتراكيب اللغوية الموجهة من العامل إلى المدير وهكذا¹.

ومن هذا كلّ نستنتج أنّ العلوم الاجتماعية المختلفة ترتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً عن طريق النصوص.

1 - المرجع السابق، ص: 30 - 31.

الفصل الثالث: علاقة لسانيات النص بعلم الوقف والابتداء.

المبحث الأول: علاقة الوقف والابتداء بالتركيب في ضوء مفاهيم النصية.

1- الوقف والابتداء واختلاف القراءات.

2- الوقف والابتداء وتعدّد الإعراب.

1- الوقف والابتداء واختلاف القراءات:

تطرقنا في الفصل الأول من هذا البحث إلى علاقة علم الوقف و الابتداء بعلم القراءات، والقراءات هو علم من علوم القرآن وقد عرّفناه سابقاً- والذي يهمنّا هنا في هذا الجزء هو الإجابة عن السؤال التّالي:

كيف يمكن لهذا الاختلاف في القراءات أن يحدث تأثيراً في بنية النّص أي من حيث الإعراب والمعنى؟ أي من حيث التّركيب والتّفسير؟ ونقصد بالسؤال كيف لهذا الاختلاف في القراءات الذي يترتب عليه الاختلاف في الوقف على مفاصل الكلام أن يؤثر في اتساق وانسجام النّص؟.

ونحاول في هذا الجزء إثبات هذه الملاحظات والإجابة عن السؤال بالأدلة الموجودة في نصوص كتب علماء الوقف والابتداء، لنصل في النهاية إلى الإجابة عنالسؤال الجوهرى في هذا البحث وهو: كيف علّل علماء الوقف والابتداء هذا الاختلاف في القراءة حين يؤثر في علاقة أجزاء النّص (أي الجمل) بعضها ببعض؟

1- سورة الفاتحة:

يقول ابن النّحاس إنّ لها ثلاثة مواضع - على قراءة المدنيين والبصريين- يكون فيها الوقف والابتداء بما بعدها حسناً¹:

- الأول: قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الآية: 04].

- والثّاني: قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الآية: 05].

- والثّالث: آخر السورة أي قوله تعالى: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

"وعلى قراءة الكوفيين فيها أربعة مواضع منهن هذه الثلاثة، والرّابعة قوله

تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هذا تمام، وهي قراءة جماعة.²

1- ينظر: ابن النّحاس، القطع والائتلاف، ص: 36.

2- المصدر السابق، ص: 37.

صحيح أن علم القراءات هو "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله".¹ أو هي "اختلاف ألفاظ الوحي المذكورة في الحروف وكيفيةها من تخفيف وتشديد وغيرها، ولا بد من التلقي والمشافهة، لأنّ القراءات القرآنية... لا تحكم إلاّ بالسّماع والمشافهة وهي: مذهب من مذاهب النّطق في القرآن يذهب به إمام من الأئمة القراء مذهباً يخالف غيره".² وصحيح أنّ هذا المثال الذي ضربته في هذا المبحث لا يعتبر داخلاً في اختلاف القراء في حرف أو كلمة وكيفية نطقها. وإنّما يدخل في اختلاف علماء المدينة والبصرة في عدّ أي سورة الفاتحة، فعند المدنيين لا تعدّ البسمة آية وترقم ترقيماً مستقلاً عن غيرها من آيات سورة الفاتحة. ولكن الأمر الذي جعلني استشهد بهذا الاختلاف هنا هو تفسير علماء الوقف والابتداء للوقف عند قراءة آيات سورة الفاتحة. هذا من جهة، ومن جهة أولى أنّ الفاتحة هي فاتحة كتاب الله وهي أمّ الكتاب، وهي تمام صلاة المسلم. فأردت أن أبتدئ بها هذا الجزء، وأقدمّ تعليل علماء الوقف والابتداء على أجزاء هذه السورة لما لها من فضل كبير. وإذا سلطنا الضوء على تعليقات علماء الوقف و الابتداء في الوقف على آيات سورة الفاتحة نلاحظ جملة من الملاحظات تجعلنا نقر بوجود آيات لتحليل النّصّ والكلام. وضعها علماء الوقف والابتداء بمثابة إنارة درب لقارئ القرآن. ومن بين هذه الملاحظات ما يلي:

- وضع ابن النّحاس - في كتابه "القطع والائتناف" - حالات الوقف على مواضع من سورة الفاتحة معللاً ذلك بسياق السّورة وحديث النّبي ﷺ حين فسّر معاني سورة الفاتحة. فعن أبي هريرة قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: "قال الله جلّ وعزّ فُسِمَت الصّلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، قال رسول الله ﷺ: اقرءوا، يقول العبد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول الله جلّ وعزّ حمدني عبدي، يقول العبد ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يقول الله جلّ وعزّ: مجدني عبدي، وهذه الآية بيني وبين عبدي، يقول

1- أمل شفيق العمري، التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في التفسير الكبير لإمام الطبراني، دراسة تحليلية تأصلية، وزارة

الثقافة : عمان - الأردن، ط1، 2010م، ص: 17.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

العبد ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ فهؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل.¹

فتعليل الوقف التمام هنا لابن النحاس استشهاده بحديث النبي ﷺ - الذي يحيلنا إلى مقام هذا النص، فيضيف للقارئ معارف خارجة عن النص، ولها علاقة به، تشبه في التحليل اللساني النصي إلى حد كبير علاقة النص - مقام.²

وذكر في تعليقه للوقف في سورة الفاتحة على (الدين) في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قولاً فيه ما يقارب آلية الفصل بين مفاصل الكلام (الجمل)، حين

قال: ﴿الصِّرَاطَ - ع - ط﴾ للعدول عن المغايبة إلى المخاطبة.³ فهذا يعني أنّ الكلام كان موجهاً إلى ضمير الغائب في بداية السورة بدءاً من

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فالضمير ((هو)) من يسيطر على بنية النص في هذا الجزء، ثم يصير الكلام عبارة عن مخاطبة انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. ونشير هنا إلى أنّ مسألة العدول من الضمير الغائب إلى المخاطب والعكس هي من أهمّ مسائل التحليل النصّي في لسانيات النصّ.

أما في ما ذكر من تعليقات للوقوف في سورة الفاتحة فكلّ من ابن الأنباري وابن النحاس، والداني، والأشموني، والسجاوندي، كانت تعليقات للوقف على ما لا رابط له من حيث البناء النحوي بسابقه، ومن ذلك قول ابن الأنباري: "الوقف على ﴿بِسْمِ﴾ قبّيح، لأنّه مضاف إلى ﴿اللَّهُ﴾ تعالى، والمضاف والمضاف إليه بمنزلة حرف واحد. والوقف على ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ حسن وليس بتام، لأنّ ﴿الرَّحْمَنِ﴾ نعتٌ ﴿اللَّهُ﴾".⁴ ويبين كذلك الابتداء الحسن من غيره بقوله: " والنعت

1- ابن النحاس، القطع والائتلاف، ص: 36.

2- ينظر: مفتاح بن عروس، الاتساق و الانسجام في القرآن الكريم، ص: 206 - 208.

3- ينظر: السجاوندي، علل الوقف، ص: 171، وينظر: السجاوندي، أبو عبد الله محمد بن طيفور الغزنوي كتاب الوقف والابتداء، تحق: محسن هاشم درويش، دار المناهج، عمان - الأردن، ط1، 2009م، ص: 125.

4- ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، ص: 249.

متعلق بالمنعوت فلا يحسن الابتداء به¹ أي يحسن الوقف على ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ ولا يحسن الابتداء بـ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إنما من وقف على ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ لطارئ اضطراري كانقطاع النفس أو السعال أو العطاس... فعليه أن يعيد من أول السورة ويصلها بما بعدها. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وكذلك الأمر بالنسبة لقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فالوقف على ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أحسن وليس بتام. ولا يجوز الابتداء بـ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لأنهما متعلقان بعضها ببعض.

وذكر ابن الأنباري تعليلاً يقارب آلية الاتساق النصي وتعلق سابق بلاحق في الإحالات القبلية والبعدية. مثلاً عند قوله في استغناء الكلام عما بعده: "والوقف على ﴿الذِّينِ﴾ تام، لأن الكلام الذي بعده مستغن عنه."² وفي موضع آخر يقول ابن الأنباري: "والوقف على ﴿نَسْتَعِينُ﴾ حسن وليس بتام؛ لأن الكلام الذي بعده مستغن عنه."³ وقوله: "والوقف على ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾ حسن وليس بتام؛ لأن ﴿الصِّرَاطَ﴾ الثاني مترجم عن ﴿الصِّرَاطَ﴾ الأول، والمترجم متعلق بالاسم الذي يترجم عنه."⁴ وهنا إشارة إلى الإحالة من نوع أ-أ - داخل الجملة الواحدة. وفي هذه الحالة ليست لتتحقق علاقات بين جملتين (أي علاقة اتساقية) إنما هي نوع من أنواع الإحالات.

2- سورة البقرة: ومن الأمثلة الموجودة في سورة البقرة، التي توضح اختلاف الوقف باختلاف القراءات ما يلي:

1.2. قال

تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُنْعَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة:

[119].

1- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- المصدر نفسه، ص: 250.

4- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

اختلف القراء في قراءة (تسئل) فقد قرأها نافع ويعقوب بالجزم على النهي (لا تسئل). وقرأها
الباقون (ولا تسئل) بالرفع على النفي والعطف على ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾¹.

وقال ابن الأنباري في تعليقه الوقف على قوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ إنه وقف حسن
وليس بتام أي يحسن الوقف عليه. غير أنه ليس بتام أي أن المعنى متعلق بما بعده؛ ولم يتم
معناه إلا بما بعده. حيث يقول: "ولأن قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ متعلق
بالأول.² ففي قوله: (متعلق بالأول) فيه إشارة إلى ارتباط الجملتين ببعضهما ببعض في المعنى.
غير أننا في التحليل النصي نستطيع الوقف عند كلمة (نذيراً) ونعتبرها جزءاً من الكلام، ونشير
إلى وجود عائد وهو الضمير (أنت) المستتر في الفعل (تسأل) الذي يحيل إلى ما قبله في
الجملة الأولى.

وأضاف ابن الأنباري تفسيراً لذلك الترابط بين الجملتين باستشهاده بالحادثة التي كانت
سبباً في نزول الآية. وهي أن النبي ﷺ قال: (ليت شعري ما فعل أبواي؟) فأنزل الله عز
وجل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ ومن قرأ: (ولا تسئل)
بالرفع على المعنى: ولست تسأل، كان الوقف على (نذيراً) أحسن منه في المذهب الأول.³
وهنا في تحليل ابن الأنباري للوقف على مذهب آخر للقراء، استشهد بمقام الكلام، وفي معرفة
القارئ بمناسبة نزول هذه الآية، ربط للنص بالمقام، ومعرفة لمفاصل الكلام وحسن الوقف
عندها من حسن بلاغة المعنى وتأثيره في السامع. وفي هذا التحليل للوقف عند ابن الأنباري
تشابهاً لآلية الانسجام في لسانيات النص. حيث إن معرفة المقام الذي قيل فيه النص علاقة للغة
النص بما هو غير لغوي وهو (سبب نزول الآية).

وشرح ابن النحاس العلة في أوجه الوقف على قوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ بشيء من
التفصيل بقوله: "من قرأ ((ولا تسأل)) - بالجزم - جزمه بلام النهي، وله معنيان: أحدهما: أن

1- ينظر: ابن أوس المقرئ، كتاب الوقف والابتداء، ص: 149. (بهامش الصفحة)

2- ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 276.

3- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الله أمره بترك المسألة عنهم. والآخر: أن في النهي تفخيماً مما أعد الله لهم من العقاب، كما يقول لك القائل الذي يعلم أنك تحب أن يكون من تسأله عنه في حال جميلة أو قبيحة فيقول: لا تسأل عن فلان!، أي: قد صار إلى أكثر مما تريد، والله أعلم بما أراد. وفيه وجه آخر: أن يكون الله أمره بترك المسألة عنه. ومن قرأ: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ فإنه بمعنى: ولست تُسأل عن أصحاب الجحيم.¹ (ولست تُسأل عن أصحاب الجحيم) أي "من كفر بك وخالفك فبلغ رسالتي، فليس عليك من أعمال من كفر بك - بعد إبلاغك إياه رسالتي - تبعه، ولا أنت مسؤول عما فعل بعد ذلك."²

وعلى الساجوندي وأبو عمرو الداني هذا الوقف بقولهما إن من قرأ: ﴿وَلَا تُسْأَلُ﴾ بالجزم وقف على النهي، لاختلاف الجملتين.³ "ومن قرأ ﴿وَلَا تُسْأَلُ﴾ بالرفع ففيه وجهان: أحدهما أن يُرْفَعَ على معنى: ((ولست تُسأل)) أي لست تؤخذ بهم. فهو على هذا منقطع مما قبله فالوقف أيضاً على قوله: ﴿...وَنَذِيرًا...﴾ كافٍ.⁴ أي أن الجملة الأولى منفصلة عن الجملة الثانية من حيث التركيب، فالإسناد تام (مسند ومسند إليه). أما الوجه الثاني: "أن يُرْفَعَ على معنى: ((غير مسؤول)) فهو بمنزلة ما عطف عليه من قوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا...﴾⁵ لأنه حال منه فهو على هذا متعلق ما قبله فلا يُقَطَّعُ منه ﴿...أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ تام."⁵

وهنا نلاحظ أن اختلاف القراءات أثر في الوقف والابتداء وأن كل تأويل للمعنى يحدّد للقارئ موضع الفصل بين مفاصل الكلام. كما نلاحظ تماثلاً في تعليل ارتباط الجملة الأولى بالثانية من حيث التركيب والمعنى. ففي التحليل اللساني للنص لا يمكن الفصل بين أجزاء

1- ابن النحاس، ص: 81. (هامش الصفحة 81).

2- الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، هذبه وحقه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرساني، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان - ط1، 1415هـ - 1994م، مج1، ص: 367.

3- ينظر: الساجوندي، علل الوقف، ص233. وينظر: أبو عمرو الداني المكتفى، ص 172-173.

4- أبو عمرو الداني، المكتفى في الوقف والابتداء، ص: 173.

5- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

النص وهي الجمل إلا إذا حددنا الحدود بينها وهي ضرورة تحقق شرط الإسناد كما لا يمكن فصل متعلق عن متعلق به مثل الاسم المعطوف والمعطوف عليه. ونلاحظ هنا ثلاثة حالات من الاتساق أي العلاقات بين الجمل.

الحالة الأولى: - ج1 = إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً.

- ج2 = ولا تسئل عن أصحاب الجحيم.

والحالة الثانية: - ج1 = إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً.

- ولا تسئل عن أصحاب الجحيم = ج2. المعنى على التعظيم (أي حالهم لا يسأل عنه،

لأنه سيء جدا).

والحالة الثالثة: - ج1 = إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً (ولا تسئل عن أصحاب الجحيم)

فالجمله (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) في محل نصب حال. (بمعنى أنت غير مسؤول عن

أصحاب الجحيم ولست محاسباً بما يفعل هؤلاء).

2.2. ومن أمثلة اختلاف الوقف والابتداء باختلاف القراءة في سورة البقرة أيضاً، قوله

تعالى:

﴿وَأَذَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ البقرة [125].

وقوله تعالى: ﴿... وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ...﴾ يقرأ على وجهين (وَاتَّخِذُوا) بكسر

الخاء. و(وَاتَّخِذُوا) بفتح الخاء ويتغير موضع الوقف عند ابن الأنباري في إيضاحه باختلاف

القراءة، فمن قرأ: (وَاتَّخِذُوا) بكسر الخاء وقف على (مُصَلِّينَ) وابتدأ أمراً: (وَاتَّخِذُوا). ومن

قرأ: (وَاتَّخَذُوا) بفتح الخاء لم يكن وقفه على (مُصَلَّى) تامًا، لأنَّ (وَاتَّخَذُوا) نسق

على (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً - وَاتَّخَذُوا). والوقف على قوله: ﴿وَالرُّكْعَ السُّجُودِ﴾ [125] تام.¹

ورأى ابن النحاس أيضًا أن الوقف عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا﴾

[125] وقف تام عند قراءة من قرأ (وَاتَّخَذُوا) بكسر الخاء. أمَّا من قرأ (وَاتَّخَذُوا) بفتح الخاء،

فالتَّمام عند (مُصَلَّى) إن لم يجعل (وعندها) معطوفًا على ما قبله.² وهنا إشارة إلى حالة ثالثة

وهي أن جعل من قوله تعالى:

﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ معطوفًا على ما قبله

كان الوقف عند (وَالرُّكْعَ السُّجُودِ) تامًا. والوقف عند (وَالرُّكْعَ السُّجُودِ) وقف حسن عند ابن

النحاس.³

وعلل أبو عمرو الداني في "المكتفي" الوقف عند هذه الآية بذكر سبب نزولها، وهو

حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين قال: "يارسول الله! لو اتَّخَذْتَ من قام إبراهيم

مُصَلَّى، فأنزل الله: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلَّى﴾⁴. وفي هذا التعليل إحالة إلى مقام النَّصِّ،

وهو ما يدخل في باب الانسجام في لسانيات النَّصِّ في علاقة [نص - مقام].

من كل ما سبق نخلص إلى ثلاث حالات من ترابط الجمل في هذا النَّصِّ، التي تختلف

باختلاف القراءة وعلاقة التركيب بها.

1- الحالة الأولى: لمن قرأ ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ بكسر الخاء. يقف عند قوله تعالى: ﴿وَأَمْنَا﴾]

لا اعتراض الأمر بين الماضيين⁵.

فتكون الفواصل بين الجمل كما يلي:

1- ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، ص: 277.

2- ينظر: ابن النحاس، القطع والائتلاف، ص: 82.

3- ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- ينظر: أبو عمرو الداني، المكتفي في الوقف والابتداء، ص: 174-175.

5- ينظر: السجاوندي، علل الوقف، ص: 235.

ج1= وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا .

ج2= وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى .

ج3= وَعَهْدِنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ .

2- الحالة الثانية: إذا جعلنا: ﴿...وَعَهْدِنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ...﴾ مستأنفاً فالوقف تام عند:

﴿...مُصَلًّى﴾. وتصبح الجمل كما يلي:

ج1= وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى¹. (واتخذوا) بفتح الخاء

ج2= وَعَهْدِنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ .

3- الحالة الثالثة: لمن قرأ (اتخذوا) بفتح الخاء، وجعل: (وعهدنا) معطوفاً على ما

قبله. تصبح الحدود بين الجمل كما يلي:

ج1= ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا

وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهْدِنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ .

ج2= وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ...

3.2. ومن أمثلة اختلاف الوقف والابتداء باختلاف القراءات في سورة البقرة أيضاً، قوله

تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ^ط

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ^ط وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ

الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴿البقرة: 165﴾

1- قال ابن النحاس: "ومن قرأ (واتخذوا) فالتمام (مصلّى) إن لم يجعل (وعهدنا) معطوفاً على ما قبله". القطع والانتفاف، ص:

ذكر ابن الأنباري في كتابه الإيضاح في الوقف والابتداء أنَّ القراءة في هذه الآية تكون على أربعة أوجه.¹

1- الوجه الأول: قراءة: الفعل بالتاء (تري) مع فتح همزة (أَنَّ) وهي قراءة نافع وغيره من أهل المدينة، وقراءة عبدالله بن عامر فمن قرأ بها كان الوقف على ﴿إِذْ يَرْوُونَ الْعَذَابَ﴾ حسناً غير تام و (أَنَّ) منصوبة على التكرير كأنه قال: (ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ترى أن القوة لله جميعاً).

2- والوجه الثاني للقراءة: قراءة الفعل بالياء (يَرِي) مع فتح همزة (أَنَّ) وهي قراءة ابن كثير وحميد وعاصم والأعمش وأبي عمرو وحمزة والكسائي. فمن قرأ بها لم يقف على ﴿إِذْ يَرْوُونَ الْعَذَابَ﴾ لأن (أَنَّ) منصوبة بيري، وهي كما قال ابن الأنباري: كافية من الاسم والخبر فلا يتم الكلام قبلها.

3- الوجه الثالث: قراءة الفعل بالياء مع كسر همزة (إِنَّ)، وهي قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع.

الوجه الرابع: قراءة الفعل بالتاء (تري) مع كسر همزة (إِنَّ)، وهي رواية إسماعيل عن الحسن. فمن قرأ بالوجهين الأخيرين كان وقفه على ﴿إِذْ يَرْوُونَ الْعَذَابَ﴾ حسناً، والرؤية واقعة على ﴿إِذْ يَرْوُونَ الْعَذَابَ﴾، مكتفية بها كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾. وجواب (لو) في الأوجه السابقة جميعها محذوف لمعرفة المخاطبين به، والتقدير (ولو يرى الذين كانوا يشركون عذاب الآخرة لعلوا حين يرونه أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب)².

1- ينظر ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في القرآن، ص: 280-281.

2- ينظر: المصدر السابق، ص: 281.

* ملاحظة: الوقف على كلمة (العذاب) في الحالة الأولى حسن فلا يبتدأ بما بعده مستأنفاً للقراءة، أما الوقف في الحالة الثالثة بقراءة من قرأ (ولو يرى الذين ظلموا) بالياء، وكسر (إِنَّ) (القوة) كان الوقف على (يرون العذاب) حسناً، ثم يبتدئ (إن القوة لله جميعاً) مكتفياً بها. (ينظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.)

ويختلف الوقف والابتداء باختلاف هذه القراءات السابقة وينتج في النهاية أربع تقسيمات لمفاصل الكلام بحسب الوقف.

1- الحالة الأولى: من قرأ (تري) بالتاء مع فتح همزة (أَنَّ)، كان الوقف حسنا عند كلمة: (العذاب)، و قد سبق أن أوضحنا أن الوقف الحسن يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده مباشرة، لأنه متعلق بما قبله لفظا ومعنى، فلا بد عند الوقف على كلمة (العذاب) من العودة في القراءة إلى إذ يرون العذاب وإتمام الجملة التي تليها لوصل ما لحق بما سبق، وهنا يمكن أن تكون فواصل الكلام في هذه الحالة على النحو التالي:

ج1= وَلَوْ تَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ، (والوقف هنا حسن غير تام) *.

ج2= أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا، تقديرها (تري أن القوة لله جميعا).

ج3= وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ.

2- الحالة الثانية: قراءة من قرأ (تري) بالياء (يرى) مع فتح همزة (أَنَّ)، فمن قرأ بها لا يقف على ﴿يَرْوْنَ الْعَذَابَ﴾، لأنَّ (أَنَّ) منصوبة بيري وهي بتعليل ابن الأنباري: كافية من الاسم والخبر فلا يتم الكلام قبلها، فتكون مفاصل الكلام كما يلي:

ج1= وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا.

ج2= وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ.

3- الحالة الثالثة: قراءة الفعل بالياء مع كسر همزة (إِنَّ)، وهنا يكون الوقف على 'يرون العذاب) حسنا، ويبدأ من قوله تعالى: (إِنَّ القوة لله جميعا)، فتكون مفاصل الكلام كما يلي:

ج1= وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ.

ج2= إِنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا، وقفا حسنا مكثفيا به.

ج3= إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ.

و تجدر الإشارة هنا إلى قول أبي جعفر النحاس¹ أن من قرأ ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا... ﴾ (يرى) بالياء وكسر إن فالوقف على (العذاب) تمام كافٍ، والوقف على (شديدُ الْعَذَابِ) وقف حسن إن جعلت (إِذْ تَبَرَّأً) مقطوعاً مما قبله، وإن جعلت (إِذْ) أي (إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ) بدلاً من (إِذْ) أي ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا... ﴾ [البقرة، الآية 166]، لا يقف القارئ على ﴿ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ ، بل يصلها بما بعدها ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: 166].

3. سورة آل عمران: ومن أمثلة اختلاف الوقف والابتداء في هذه السورة باختلاف القراءات نأخذ على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران، الآية: 36].

اختلف في قراءة هذه الآية، واختلف الوقف والابتداء فيها بحسب القراءة، إذ يقول ابن الانباري إن من قرأ (وَضَعْتَ) "بفتح العين وجزم الناء، فعلى هذه القراءة يحسن الوقف على: (وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ)، ثم تتبدى: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ)، لأنه من كلام الله، والذي قبله من كلام أم مريم،²

* يتبع ملاحظة: * ويعلل ابن النحاس هذه الوقوف بقوله: "فمن قرأ القراءة الأولى لم يقف على (إذ يرون العذاب) [ويقصد الحالة الثانية هنا في التحليل] على قول الأخفش لأن التقدير عنده ، ولو يرى الذين ظلموا أن القوة لله برفع (يرى)، على أن (يرى) بمعنى يعلم، وعلى قول أبي عبيدة التقدير ولو يرى الذين أشركوا عذاب الآخرة لعلوا أن القوة لله وعلى قوله لا يوقف على (إذ يرون العذاب) لأن لعلوا جواب لو". القطع والانتانف، ص: 89.

1- ينظر: أبو جعفر النحاس، القطع والانتانف، ص: 89.

2- ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 297.

ومن قرأ (وَضَعْتُ) بـ"تسكين العين وضم التاء، فعلى هذه القراءة لا يحسن الوقف على (وَضَعْتُهَا أَنْتِي)، لأن الكلام الثاني متصل بالذي قبله وهو كلام أم مريم¹. أما قوله تعالى: (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى) فيمكن أن يكون من كلام الله تعالى، ويمكن أن يكون من كلام أم مريم (وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ) من كلام أم مريم².

وذكر ابن النحاس في هذه المسألة أنه اختلف في قراءة هذه الآية قال: "قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب: (بما وضعت) بضم التاء وقرأ الباقون (بما وضعت) مثل فعلت"³.

نلاحظ من كلام ابن الأنباري توضيحه لمواضع الفواصل بين أجزاء الكلام وتفريقه بين خطابين لمتكلمين مختلفين (لأنه من كلام الله)، (والذي قبله من كلام مريم)، وقوله (لأن الكلام الثاني متصل بالذي قبله، فهنا دلالة على توضيح الروابط بين أجزاء الكلام وكيف يرتبط بعضها ببعض).

وفي هذا الصدد قال السجاوندي: "على قراءت (وَضَعْتُ) بالرفع من قولها متصل متسق بعض [الكلام ببعض]⁴. وهنا نلاحظ مفردة أجزاء الكلام وارتباط بعضها ببعض. من اختلاف الوقف والابتداء باختلاف القراءات في هذه الآية نتبين حالات مفاصل الكلام هنا وهي:

1- الحالة الأولى: من قرأ (وَضَعْتُ) يتوقف على قوله: (وَضَعْتُهَا أَنْتِي) ويبتدئ بقوله (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ). وهنا تكون الجمل كما يلي:

ج 1 = فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أَنْتِي.

ج 2 = وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ.

¹ - المصدر نفسه، ص: 298.

² - ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - ابن النحاس، القطع والانتشاف، ص: 124 - (بهامش الصفحة: 124).

⁴ - السجاوندي، علل الوقوف، ص: 370.

ج3 = وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَى .

ج4 = وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ .

ج5 = وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

2- الحالة الثانية: من قرأ (وضعت) برفع التاء، لا يحسن الوقف على (وَضَعْتُهَا أَنْثَى)

فتكون الجمل كما يلي:

ج1 = فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أَنْثَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ - .

ج2 = وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَى .

ج3 = وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ .

ج4 = وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

وعدّ بعضهم¹ الجملتين (وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَى) و(وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ) معترضتان بين

قولي أم مريم وعليه يكون الوقف على (مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) - وهنا تكون الجمل كما يلي:

ج1 = فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أَنْثَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ - وَلَيْسَ الذَّكْرُ

كَالْأُنْثَى - .

ج2 = وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ .

ج3 = وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

4 - سورة المائدة:

1.4 ومن أمثلة اختلاف الوقف والابتداء باختلاف القراءة في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿

وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ

¹ - ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، ص: 321.

بِالْأُذُنِ وَالسِّنِّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحِ قِصَاصٌ^ج فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ^د فَهُوَ كَفَّارَةٌ^{هـ} لَهُ^و وَمَنْ
لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴿المائدة، الآية: 45﴾.

قال ابن الأنباري: "روي عن النبي ﷺ: (والعينُ بِالْعَيْنِ) بالرفع، وبها كان يقرأ الكسائي.
فعلى هذا المذهب يحسن الوقف على : (النفس)، ثم تبتدئ: (والعين بالعين) فترفع العين بالباء
الزائدة، وكانت العوام مجتمعة على النَّصْب (والعين بالعين) على إضمار أن. فعلى مذهبهم لا
يحسن الوقف على (بالنفس)، ومثله: (والجروح قِصَاصٌ^ج)، من رفعها وقف على ما قبلها،
ومن نصبها لم يقف على ما قبلها.¹

قال ابن النحاس إنَّ هذا الوقف تام عند (بالنفس) لمن نصب النفس وحدها ورفع ما بعدها
مما يليها. وقال أبو جعفر، هذه القراءة تروي عن النبي ﷺ من رواية الزهري عن أنس أن
رسول الله ﷺ قرأ (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ) [الآية 45]
مرفوعا، وكذا ما بعده، ومذهب يعقوب أن من قرأ (والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن
والسن بالسن) [الآية 45]، فنصب هذه ورفع ما بعدها فها هنا وقفه التام، ومن نصبها كلها
فوقفه التام (وَالْجُرُوحِ قِصَاصٌ^ج) [الآية: 45].

نلاحظ من هذه الاختلافات في القراءات اختلاف مواضع الوقف وعلى هذا مفصل الكلام
تكون كما يلي:

1- الحالة الأولى: من قرأ (والعين بالعين) بالرفع، ورفع ما بعدها فالوقف يكون على (أن
النفس بالنفس) فتكون الجمل كما يلي:

ج1 = وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ .

ج2 = وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ .

ج3 = وَالْجُرُوحِ قِصَاصٌ^ج .

¹ - ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، ص: 321.

2- الحالة الثانية: ومن قرأ (وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ) ونصب ما بعدها فالوقف عند: (والسن

بالسن)، فتكون الوقوف على مفاصل الكلام كما يلي:

ج1 = وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ
وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ.
ج2 = وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ^١.

ومن نصبها كلها فواقفة التام حسب ابن النحاس عند (وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ)¹، فتكون مفاصل الكلام كما يلي:

ج1 = وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ
وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ^٢.

نلاحظ هنا اختلاف مفاصل الكلام باختلاف القراءات، ولكل منها وقع في المعنى بالنسبة للمتلقي.

2.4 مثال آخر عن اختلاف الوقف والابتداء باختلاف القراءات في سورة المائدة قوله

تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْلُؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة المائدة ، الآيتين: 52-53] .

قال ابن الأنباري: "وقوله: (وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا) [53] قرأ أبو عمرو وابن أبي اسحاق:

(وَيَقُولُ) بالنصب. وقرأها الكوفيون: (فيقول) بالرفع، وقرأ أهل المدينة: (وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا) بلا

واو، فمن رفع (يقول) بواو وبغير واو، حسن له أن يقف على: (نَادِمِينَ) [52]، ومن نصب لم

¹ - ينظر: ابن النحاس، القطع والائتناف، ص: 178.

يحسن أن يقف على (نَدِيمِينَ)، لأن (يقول) نسق على قوله: (فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ)، و(أن يقول الذين آمنوا)¹.

وقال ابن النحاس: " (فِيصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ) [52] قطع تام على قراءة أهل الحرمين لأنهم يقرؤون (وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا) [53] وعلى قراءة الكوفيين يكون قطعاً كافياً لأنهم يقرؤون ((ويقول الذين آمنوا)) وعلى قراءة الحسن وعبد الله بن أبي إسحاق وأبي عمرو التمام (فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ) [53] لأنهم يقرؤون (وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا) عطفاً على ما قبله، أي: (فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ) [52] (وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا)².

ومن هذه التعليلات للوقف والابتداء باختلاف القراءة نستنتج الحالات التالية:

- 1- الحالة الأولى: من قرأ: (ويقول) بالنصب لا يحسن الوقف على (نَدِيمِينَ)، لأن (يقول) نسق على قوله: (فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ) فتصبح أجزاء الكلام كما يلي:
ج 1 = فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخَشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ.
ج 2 = فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْلُؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ.
ج 3 = حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ.

- 2- الحالة الثانية: من قرأ: (وَيَقُولُ) بالرفع، يجوز الوقف على (نَدِيمِينَ)، لأنها على قراءة الكوفيين وقف كاف، فتكون أجزاء الكلام كما يلي:

- ج 1 = فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخَشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ.
- ج 2 = فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ.
- ج 3 = وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْلُؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ.

¹ ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، ص: 321-322.

² المصدر السابق، ص: 179.

ج4 = حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ.

ولكل حالة من هذه الحالات علاقات خاصة بين الجمل، وأدوات اتساق مختلفة تميّز حالة عن أخرى، غير أننا لسنا بصدد دراسة الاتساق بين الجمل، بل نحن نتوخى إجراءات التحليل النصي التي تطرق لها علماء الوقف والابتداء منذ قرون فكانت اللبنة الأولى لتحليل النص. يوجد مواضع كثيرة في القرآن اختلفت فيها القراءات واختلف الوقف والابتداء بحسب ذلك و لأن حجم البحث والمباحث لا يكفي للتطرق لكل واحدة منها على حدة فإنني سأنتقي منها ما يكون من بداية المصحف إلى نهايته، على أن أشير إلى هذه المواضع التي يمكن أن تكون عملاً مستقلاً مستقبلاً.¹

5- سورة المؤمنون:

قال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية: 111].

قال ابن الأنباري في اختلاف القراءة في هذه الآية: "قرأ الأعمش وحمزة والكسائي: (إنهم هم الفائزون)، فعلى هذا المذهب يحسن الوقف على: (صَبَرُوا) وقرأ نافع وعاصم وأبو عمرو: (أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) بفتح الألف، فلا يحسن الوقف على: (صَبَرُوا)، لأن المعنى: جزيتهم لأنهم وبأنهم، فلما أسقطنا الخافض نصبنا (هم الفائزون) وقف تام".²

¹ - المواضع التي اختلفت فيها القراءة واختلف الوقف والابتداء بناء على ذلك هي:

- سورة الأنعام، الآيتان: 91-100. سورة الأعراف، الآيتان: 26-186. سورة الأنفال، الآية: 19. سورة التوبة، الآيات: 14-15 والآية: 40. سورة يوسف، الآية: 105. سورة الرعد، الآية: 43. سورة إبراهيم، الآية: 01-02. سورة المؤمنون، الآية: 111. سورة النور، الآية: 6-7-40-58. سورة النمل، الآية: 24-25. سورة يس، الآية: 19. سورة ص، الآية: 62-63. سورة غافر، الآية: 71. سورة الشورى، الآية: 33-35. سورة الدخان، الآية: 49. سورة الجاثية، الآية: 3-5-28. سورة محمد، الآية: 25. سورة الواقعة، الآية: 17-22.

² - ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 415.

وقال ابن النحاس: " (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا) [111] تمام، إن كسرت (إِنَّهُمْ)، وإن فتحت فالتَّمام (أَنَّهم هم الفائزون) [111].¹

من هذه الاختلافات نستنتج حالتين لمفاصل الكلام هي:

1- الحالة الأولى: قراءة من كسر همزة (إِنَّهم) فالوقف تمام عند (صبروا) أي منفصل عما بعده لفظاً ومعنى، ويمكن الابتداء بما بعده مباشرة بعد الوقف. وتكون الجمل على إثر هذا كما يلي:

ج1 = إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا.

ج2 = إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ.

2- الحالة الثانية: من قرأ بفتح همزة (أَنَّهم) الوقف يكون عند قوله: (هُمُ الْفَائِزُونَ). فتكون مفاصل الكلام كما يلي:

ج1 = إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ.²

6. سورة النور:

1.6 - قال تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمِيسَةُ أَنْ لَعَنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة النور، الآية: 6-7].

¹ - ابن النحاس، القطع والانتفاف، ص: 354.

² - أما الحالة الثانية فيكون فيها الفتح في (أَنَّهم هم الفائزون) على وجهين:

الوجه الأول: أن يكون المصدر المؤول من (أَنَّهم هم الفائزون) في محل نصب مفعول به ثانٍ لـ (جزى)، والتقدير: (إني جزيتهم اليوم بما صبروا الفوز) يعني الجنة.

والوجه الثاني: أن يكون معنى جزيت: أثبتهم، ولم تذكر أعمالهم المثاب عليها بمعنى: لأنهم هم الفائزون بأعمالهم السابقة. ينظر: وقوف القرآن وعلاقتها بالمعنى والتركيب، عوض الثمالي، ص: 88. وفي هذه الحالة لا يمكن فصل المفعول به عما قبله.

الوقف عند ابن الأنباري حسن على قوله تعالى: (لِمَنْ الصّٰدِقِيْنَ) عند من قرأها برفع كلمة (وَالْخَمْسَةَ) فهي مبتدأ، و (أَنَّ) وما بعدها خبرها.¹

وقرأ آخرون (وَالْخَمْسَةَ) بالنصب. فلا يتم على هذه القراءة الوقف على قوله تعالى: (إِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ)، وقد علّل ابن الأنباري هذا بقوله: "لأنّه مردود على قوله: (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) وليشهد الخامسة بأن لعنة الله عليه".²

وشرح الثّمالي قول ابن الأنباري بقوله إنّ مقصده من قوله (مردود على) أي العطف على ما قبله، وأنّ (الخامسة) منصوبة بفعل مضمّر يفسره الفعل في قوله تعالى: (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا...) فتكون (وليشهد الخامسة) مردود على (وليشهد عذابهما) حسب قول الثّمالي³ - (فالشّهادة الخامسة في اللّعان لها حكمُ الوجوب، كما هو الحال في (وليشهد عذابهما) من ضرورة تواجد طائفة من المؤمنين عند الحد"، فالمراد الاشتراك في حكم الوجوب لا في معنى (يشهد).⁴

وقد ذكر بعضهم وجهاً آخر في تعليل نصب (الخامسة) هو عطفها على (أربع) لأنّ أربع موضوعة موضع المصدر مثل: (الخامسة).⁵

فبحسب حالات الوقف والابتداء في هذه الآية يمكننا تحديد مفاصل الكلام وهي على نحو مايلي:

1- الحالة الأولى: من قرأ برفع (والخامسة) يجوز الوقف على (إنه لمن الصادقين) فتكون: الجمل الفواصل كما يلي:

ج 1 = فَشَهِدَهُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ.

¹ - ينظر: ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 416.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - ينظر: عوض الثّمالي، وقوف القرآن وعلاقتها بالمعنى والتركيب، ص: 89.

⁴ - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

⁵ - ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ج2 = وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ.

2- الحالة الثانية: من قرأ بنصب (والخامسة) لا يجوز الوقف عند (إنه لمن الصادقين) لأن (الخامسة) معطوفة على (أربع) أو مردودة على قوله: (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) ، (وليشهد الخامسة بأن لعنة الله عليه)، فتكون مفاصل الكلام على نحو ما يلي:
ج1 = فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين.

1.6 - قال تعالى: ﴿أَوْ كُذِّبَتْ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النور، الآية:40]

قال ابن الأنباري إن الوقف على قوله: (مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ) [سورة النور، الآية:40] غير تام وعلل ذلك بأن قوله تعالى: (مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ) صلة الموج.
فكلمة صلة هذه تشير إلى الروابط بين أجزاء الكلام التي لا يمكن فصل إحداها على الأخرى، لعلاقة تركيبية.

ويوضح الوقف على قوله تعالى (مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ) أنه وقف حسن، ويمكن الابتداء بما بعده أي بقوله: (ظُلُمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) على معنى: (هي ظلمات بعضها فوق بعض).
وذكر ابن الأنباري أيضا أن قراءة أهل مكة كانت: ظلمات بعضها فوق بعض على معنى: (أو كظلمات بعضها فوق بعض)، فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على سَحَابٌ¹.

وذهب ابن النحاس إلى أن قراءة (ظُلُمَتْ) بالخفض عند من نون (سَحَابٌ)؛ تكون على البدل وفي كلا الحالين لا يتم الوقف على سَحَابٌ².

¹- ينظر: ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص:418.

²- ينظر: ابن النحاس، القطع والائتناف، ص:361.

ومن هنا يتبين الوقف والابتداء باختلاف القراءات على نحو ما يلي:

من قرأ (ظَلَمْتِ) بالرفع، أو من قرأ (سَحَابٌ ظَلَمْتِ) لا يقف على (سَحَابٌ) لأنَّ المضاف والمضاف إليه بمنزلة اسم واحد، فإن نونت فقرأت (سَحَابٌ ظَلَمْتِ) ف (ظَلَمْتِ) بدل من ظلمات الأولى والتّمَام عند قوله تعالى: (إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَبُهَا). وقال ابن النّحاس إن الأتم من هذا كله الوقف عند قوله تعالى: (وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ).¹

يمكننا استخلاص الحالات التي تفصل أجزاء الكلام بعضها من بعض بعد كل هذه التعليلات للوقف والابتداء، فنجد:

1- الحالة الأولى: من قرأ (ظَلَمْتِ) بالرفع على رأي ابن الأنباري: هي خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (هي ظلمات) أو (هذه ظلمات) وتكون الجمل التي تمثل مفاصل الكلام كما يلي:

ج1 = أَوْ كَظَلَمْتِ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ.

ج2 = ظَلَمْتِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.

ج3 = إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَبُهَا.

ج4 = وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ.

2- الحالة الثانية: أما من قرأ (ظلمات) أو (سحاب ظلمات) لم يقف على سَحَابٌ. لأنَّ المضاف والمضاف إليه لا ينفصلان، فهما بمنزلة اسم واحد كما قال ابن النّحاس، وعلى هذا الاعتبار تكون مفاصل الكلام كما يلي:

ج1 = أَوْ كَظَلَمْتِ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمْتِ بَعْضُهَا

فَوْقَ بَعْضٍ.

¹- ينظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

أو ج 1 = أَوْ كَظَلُمْتِ فِي بَحْرِ لَيْجٍ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمَاتٍ
بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.

ج 2 = إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رِيحًا.

ج 3 = وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ.

7 - سورة يس:

1- قال تعالى: ﴿ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَإِن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [سورة يس،
الآية: 19].

قال ابن الأنباري إن من قرأ: (أن) بهمزة واحدة محدودة، وكذا من قرأ (أئن ذكرتم) بكسر
الألف الثانية. يقف (طائركم معكم)¹. "وكان زر بن حبیش يقرأ (لأن ذكرتم) بهمزتين ويفتح
الثانية، فعلى مذهب زر بن حبیش يحسن الوقف على قوله: (معكم)، ثم تبتدئ (أئن ذكرتم)
على معنى: لأن ذكرتم طائركم معكم، ومن قرأ: (أين ذكرتم) لم يحسن أن يقف على قوله:
(طائركم معكم)، لأن (أين) متعلقة به، كأنه قال: طائركم في أي موضع ذكرتم."²
وقال ابن النحاس: "قالوا طائركم معكم) [19] فهذا الكافي من الوقف"³. والوقف الكافي
معناه يكتمل التركيب لفظاً أي من ناحية الإعراب، ويبقى متصلاً بما بعده معنى لأن الكلام لم
ينتهي. وقال أيضاً إن الوقف على مختلف القراءات التي قرأت (إن ذكرتم) و (أئن ذكرتم)
و (أئن ذكرتم) يقف القارئ على (بل أنتم مسرفون)⁴.

وعلى ابن الجني قراءة (أين) بقوله إن (أين) شرط وجوابها محذوف لدلالة (طائركم معكم)
عليه، وتقدير المعنى: (أين ذكرتم، أو أين وجدتم، وجد شؤمكم معكم). وأضاف ابن جني أن
القراءتين معا: (أن ذكرتم) و (أين ذكرتم) لا يجوز الوقف على (معكم) لاتصال (أن) و (أين)

¹ - ينظر: ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله، ص: 449.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - ابن النحاس، القطع والانتشاف، ص: 430.

⁴ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

بها. لكن على قراءة من قرأ بالاستفهام "أين ذكرتم؟" يجوز الوقف على (معكم) لأن الاستفهام صدر الكلام، ويقطع ما قبله عما بعده¹.

ويقول ابن جنى: "فكأنه قال: بل طائركم معكم ردا عليهم، ثم استأنفستفهما، وهو يريد الإنكار"².

يتضح من هذه التعليقات للوقوف والابتداءات في هذه الآية اختلاف مفصل الكلام باختلاف القراءة وهنا نستنتج الحالات التالية:

1- الحالة الأولى: من قرأ: (أن ذكرتم) أو (أين ذكرتم)، لا يجوز له الوقف على (طائركم معكم) وعليه تكون الجمل كما يلي:

ج1 = قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ (أن ذكرتم) أو (أين ذكرتم).

ج2 = بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ.

2- الحالة الثانية: من قرأ (أين ذكرتم) على الاستفهام، يجوز الوقف على (مَعَكُمْ) وتكون الجمل كما يلي:

ج1 = قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ.

ج2 = أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ؟

ج3 = بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ.

8- سورة الدخان:

قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ [سورة الدخان، الآية: 49].

قال ابن الأنباري: "اجتمعت العوام على كسر (إِنَّ)، وروي عن الحسن بن علي رضي الله عنه: (ذق أنك) بفتح أن، وبذلك يقرأ الكسائي، فمن كسر (إِنَّ) وقف على: (ذق). ومن فتحها

¹ ينظر: ابن جنى أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، (د ط)، (د تا)، ج2، ص: 206.

² ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لم يقف على (ذق)، لأن المعنى: ذق، لأنك وبأنك¹. وقال ابن النحاس إن الوقف على (ذق) كاف أي ينفصل عما بعده لفظاً أي من حيث التركيب، ولا يتم معناه إلا بما بعده. وقال إن قراءة من قرأ (أن) بفتح الهمزة، فلا يكفي الوقف في هذه القراءة على (ذق)².
 وذكر الساجوندي أن من قرأ (أنك) بفتح الهمزة تعني: (لأنك) أو (بأنك)، ومن كسر همزة إن قد يقف للابتداء بأن، وقال الساجوندي إن الوصل أوضح لأن التقدير: فإنك (أمين - 51 - لا) لتعلق الظرف.

نستنتج من هذه الاختلافات في الوقف بحسب القراءات حالتين لمفاصل الكلام هي:

1- الحالة الأولى: من قرأ (أنك) بفتح همزة أن لم يقف على (ذق) فتكون الجمل على النحو الآتي:

ج1 = ذُقْ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ .

ج2 = إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ .

ج3 = إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامِ أَمِينٍ فِي جَنَّتِ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ .

ج4 = كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ .

2- الحالة الثانية: من قرأ (إنك) بكسر همزة إن قد يقف على (ذق) ثم يبتدىء ب: إنك

أنت العزيز الكريم ، فتكون مفاصل الكلام بناء على هذا كما يلي:

ج1 = ذُقْ .

ج2 = إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ .

ج3 = إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ .

¹ - ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 469.

² - ينظر: ابن النحاس، القطع والائتناف، ص: 476.

ج4 = إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ .

ج5 = كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ .

9- سورة الجاثية:

قال تعالى: ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ ۗ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾
﴿سورة الجاثية، الآية:28﴾.

قال ابن الأنباري: ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ ﴾ [28] حسن، ثم تبتدئ (كل أمة تدعى) بالرفع،
وروي عن بعض القراء: (كل أمة) بالنصب، فعلى هذه القراءة لا يحسن الوقف: (إلى كتابها).¹
وهنا يوضح ابن الانباري كيف يتم الوقف على (جاثية) ثم تبتدئ (كل أمة تدعى) إذا
رفعت (كل)، أما إذا نصبت فلا يحسن الوقف على: (جاثية) بل يتم الوقف على (كتابها)،
وكذلك جاء في كتاب القطع والائتناف لابن النحاس.²
نستنتج من هذه الاختلافات في القراءات واختلاف الوقف والابتداء بحسب ذلك، حالتين
لمفاصل الكلام هي:

1- الحالة الأولى: من قرأ (كل أمة تدعى) ورفع كل، يقف على (جاثية) ويبتدئ (بكل أمة
تدعى) فتكون الجمل كما يلي:

ج1 = وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً .

ج2 = كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا .

ج3 = الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .

2- الحالة الثانية: من قرأ بنصب (كل أمة تدعى إلى كتابها).

لا يحسن الوقف على جاثية فتكون الجمل كما يلي:

¹- ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 471.

²- ينظر: ابن النحاس، القطع والائتناف، ص: 479.

ج1 = وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا.

ج2 = أَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ.

فكل الثانية (المنصوبة) في الجملة الأولى بدل من (كل) الأولى والبدل لا يفصل عن المبدل منه.

10- سورة محمد (ﷺ):

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۗ﴾ [محمد: 25].

قال ابن الانباري إن بعضهم قرأ: (وَأَمْلَىٰ لَهُمْ)، على معنى: فأملى الله لهم.

وقرأ آخرون: (وَأَمْلَىٰ لَهُمْ) بضم الألف وفتح الياء، على أنه فعل ما لم يسم فاعله، وقرأ آخرون: (وَأَمْلَىٰ لَهُمْ) بضم الألف وتسكين الياء على معنى: وأملي لهم، فمن فتح الألف لا يقف على: (سَوَّلَ لَهُمْ)، لِأَنَّ (أَمْلَىٰ لَهُمْ) نسق عليه، ومن ضم الألف وقف على (سَوَّلَ لَهُمْ).¹

ونكر ابن النحاس أن نافعا قرأ: (إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ) وقف تام. وقال: "قال محمد بن عيسى: (مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ)، تمام الكلام، ثم ابتداء (الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ)²، وقال ابن النحاس إن هذا القول خطأ لأنه لم يأتي خبر "إِنَّ"، ولا يجوز حذفه لأنه لا اضطرار إلى ذلك، على أن الكوفيين يقولون: لا يجوز حذف خبر "إِنَّ" في المعارف في كلام ولا شعر."³

وقال ابن النحاس إن "أكثر أهل العلم على أن التمام (الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ)، وهذا قول الكسائي والفرّاء وأبي عبيد وأبي حاتم، ثم ابتداء (وَأَمْلَىٰ لَهُمْ) قال أبو حاتم: ولا يكون الإملاء إلا

¹ - ينظر: ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 475.

² - ينظر: ابن النحاس، القطع والائتناف، ص: 485-486.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ص: 486.

من الله عزّ وجلّ كما قال: ﴿ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وقال غيره: أملى الله له، لم يعالجه بالعقوبة، وأبقاه ملاوة من الدهر إلى أجل، وفي الآية قول ثالث، يكون التّمَام، (وَأَمَلَى لَهُمْ) قال الحسن: الشّيطان زيّن لهم الخطايا ومدّ لهم في الأمل. وقرأ مجاهد: (وَأَمَلَى لَهُمْ) بضم الهمزة وإسكان الياء، والتّمَام أيضا على هذا (سَوَّلَ لَهُمْ) وكذا على قراءة من قرأ (وَأَمَلَى لَهُمْ) بضم الهمزة وفتح الياء".¹

من هذه القراءات واختلاف الوقف والابتداء بحسبها نستنتج مفاصل الكلام الآتية:

وَأَمَلَى لَهُمْ

ج 1 = إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ .

ج 2 = أَلَشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ .

ج 3 = وَأَمَلَى لَهُمْ .

2- الحالة الثانية:

ج 1 = إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ أَلَشَّيْطَانُ

سَوَّلَ لَهُمْ .

ج 2 = وَأَمَلَى لَهُمْ .

وفي ختام هذه الأمثلة نلاحظ أن علماء الوقف والابتداء قاموا بخطوة أولى لتحليل النّص، أي بنية تتجاوز حدود الجملة الواحدة، وذلك ببيان علاقة أجزاء النّص ببعضها ببعض باختلاف القراءات، فمتى تغيرت القراءة تغير الوقف على مفاصل الكلام والابتداء منها. وقد قدّم علماء الوقف والابتداء تعليقات لهذه الاختلافات في الوقف والابتداء بحسب اختلاف القراءات، وكلنا نعلم أن قراءة النّصوص بشكل يؤثر في ذهن السّامع يختلف من طريقة قراءة لأخرى، وكيف يؤثر تغيير حركة في دلالة مفردة من مفردات النّص في فهم قد يكون فهما خاطئاً للنّص كلّ.

¹ - المصدر السّابق، الصفحة نفسها.

فاختلاف القراءات واختلاف الوقف والابتداء بحسبها فتح مجالاً لدراسة نصية سابقة بزمان كبير لظهور لسانيات النص عند الغرب.

وهذه الخطوة في تحليل النص عند علماء الوقف والابتداء تشير إلى دراسة عميقة لبنية النص، و تحليلاتهم، وتعليقاتهم لمواضع الوقف والابتداء بتعليل العلمي لعلاقة أجزاء الكلام بعضها ببعض بيان لعلاقة أخرى لعلم النص بعلم النحو وعلاقة علم الوقف والابتداء بهذين الأخيرين.

وفي الجزء الموالي من هذا المبحث نحاول الكشف عن هذه العلاقة بين علم الوقف والابتداء وعلم النحو في دراسة تطبيقية لعلماء الوقف والابتداء على النص الذي هو كلام الله عزّ وجلّ- القرآن الكريم- وكيف أن تعدد الحالات الإعرابية وتنوعها في موضع معين من أجزاء الكلام تؤثر في اختلاف الوقف والابتداء على مفاصله، والعكس بالعكس.

2- الوقف والابتداء وتعدُّ الإعراب:

لاحظنا في ما سبق من عملنا هذا أن الوقف والابتداء في القراءة تحدده الدلالة ويحكمه التركيب، ونحاول في هذا الجزء معرفة ما إذا كان التغيير في مواضع الوقف يحدُّ نتيجة تغيير في الإعراب؟ والعكس بالعكس.

وكيف تؤثر القواعد النحوية في تحديد مواضع الوقف والابتداء وأنواعهما؟ وكيف للتعدّد الإعراب أن يؤثر في الوقف والابتداء؟

وكما نحاول استنباط إجراءات التحليل النصي التي اعتمدها علماء الوقف والابتداء بالاستعانة بقواعد النحو وتعليقاتهم لذلك.

فما هي هذه الميكانيزمات التي وضعها علماء الوقف والابتداء في تحليل النصوص؟

1- سورة البقرة:

تقول خديجة المفتي إن لوقف التعانق على وجه التحديد دوراً في توضيح هذه العلاقة بين اختلاف الوقف والابتداء واختلاف الإعراب.

ومن أمثلة هذا في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿الْمَ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ

﴿البقرة: 1-2﴾، وهو أشهر وقوف المعانقة أو التجاذب.

قال ابن الأنباري إن في (ذَٰلِكَ) خمسة أوجه¹:

1- الوجه الأول: أن ترفعه ب (الْمَ)، والمعنى: (هذه الكلمات يا محمد، ذلك الكتاب الذي

وعدتك أن أوحيه إليك)، فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على (الْمَ)، لأنها مرفوعة

ب (ذَٰلِكَ)، و (ذَٰلِكَ) مرفوع بها، والزَّافِع مضطر إلى المرفوع.

2- والوجه الثاني: أن ترفع (ذَٰلِكَ) ب (هُدًى)، و (هُدًى) به فعلى هذا المذهب يحسن الوقف

على (الْمَ)، لأنها لا تتعلق بما بعدها.

3- الوجه الثالث: أن ترفع (ذَٰلِكَ) بالهاء العائدة المتصلة ب (في).

4- الوجه الرابع: أن ترفع (ذَٰلِكَ) بموضع (لَا رَيْبَ فِيهِ) تقدير: (ذلك الكتاب حق هدى).

5- الوجه الخامس: أن ترفع (ذلك) ب (ٱلْكِتَٰبُ)، و (ٱلْكِتَٰبُ) به.

فالأوجه الأربعة الأخيرة يحسن الوقف على (الْمَ)، لأنها مستغنية عما بعدها، أما الوجه

الأول فلا يحسن الوقف على (الْمَ) لأنها مرفوعة ب (ذَٰلِكَ).

وقال ابن النحاس في (ذَٰلِكَ) "ليس بموضع قطع، لأنه لا يفيد إلا بما بعده"². نلاحظ هنا

تعليل ابن النحاس بقوله لا يفيد إلا بما بعده. وهنا إشارة إلى علاقة السابق باللاحق كما في

التحليل اللساني النَّصي.

وذكر ابن النحاس أيضا أن الوقف على (ٱلْكِتَٰبُ) فيه تقديرات ستة، ثلاثة منها يكون

فيها الوقف تاما.³ وهي:

1- ينظر: ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، ص: 254-255.

2- ابن النحاس، القطع والإنتاف، ص: 43.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص: 43-44.

- 1- (ذَلِكَ الْكِتَابُ) على أن يكون ما بعدها مستأنفا. فالنقدير يكون (ذَلِكَ) مرفوعا على أنه مبتدأ، و(الْكِتَابُ) خبره.
- 2- أن يكون بمعنى: هذا ذلك الكتاب الذي كنتم ترجونه، والدليل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: 89].
- 3- التقدير الثالث بمعنى: هذه الحروف ذلك الكتاب، فهذا قول الفراء، وقال أبو جعفر النحاس إن القطع على هذه الأقوال الثلاثة (ذَلِكَ الْكِتَابُ).
- 4- أن يكون الكتاب نعتا لـ: (ذَلِكَ)، و(لَا رَيْبَ فِيهِ) الخبر، إذ قال أبو جعفر النحاس إن هذا لا يلزم لأنه إذا كان بعده: (لَا رَيْبَ فِيهِ) فهو خبر، و إذا لم يكن ذلك بعده فالخبر غيره.
- 5- التقدير الخامس: أن يكون (هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ) خبر.
- 6- أن يكون الخبر (لَا رَيْبَ) لأن معناه حق، إذ قال نافع: (لَا رَيْبَ) تمام ورد عليه أحمد بن جعفر قال: لأنه لا بد من عائد، وهذا لا يلزم، فيجوز أن يكون (لَا رَيْبَ) التمام ويحذف الخبر.

وقد أشار ابن النحاس إلى جوازات الوقف في هذه الآية على المواضع الآتية:

- يجوز الوقف على (لَا رَيْبَ)، وقفا تاما لأن معناه حق ويستأنف بقوله تعالى: (فِيهِ هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ).

- كما يجوز الوقف على قوله تعالى: (لَا رَيْبَ فِيهِ) ويكون (هُدَى) مبتدأ والخبر (لِّلْمُتَّقِينَ)، ويجوز أن يكون بمعنى: هو هدى للمتقين.¹

وعلى هذه الجوازات يمكن تحديد مفاصل الكلام كما يلي:

الحالة 1: تضم الحالات الثلاثة التي يكون الوقف فيها على (ذَلِكَ الْكِتَابُ):

ج 1 = الْم . ذَلِكَ الْكِتَابُ.

ج 2 = لَا رَيْبَ فِيهِ.

¹- ينظر: ابن النحاس، القطع والائتناف، ص: 44.

ج3 = هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ .

الحالة 2: أن يكون (الْكَتَبُ) نعنا ل: (ذَلِكَ) و (لَا رَبِّ فِيهِ) خبر . فتصبح مفاصل الكلام

كما يلي:

ج1 = الَمْ . ذَلِكَ الْكَتَبُ لَا رَبِّ فِيهِ .

ج2 = هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ .

الحالة الثالثة: أن يكون (هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ) خبر فتصبح:

ج1 = الَمْ ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكَتَبُ لَا رَبِّ فِيهِ هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ .

الحالة الرابعة: أن يكون الخبر (لَا رَبِّ) لأن معناه حق فتكون الجمل:

ج1 = الَمْ . ذَلِكَ الْكَتَبُ لَا رَبِّ .

ج2 = فِيهِ هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ .

نلاحظ من هذه الاختلافات في الوقف والابتداء بتعدد الإعراب اختلاف مفاصل الكلام التي هي الجمل، وعليه فإن أول خطوة لدراسة اتساق النص تقوم على التحديد الصحيح لمفاصل الكلام، كما نلاحظ تعليل علماء الوقف والابتداء هذين الأخيرين بمراعاة قواعد النحو وتركيب الجمل، وما لعلاقة المبتدأ بالخبر والتعت بالمنعوت. فلا يوقف على مبتدأ دون الخبر، ولا على فاعل دون مفعول به ولا على نعت دون منعوت.

2- سورة المائدة:

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا

تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ [المائدة 26].

يقول عبد العزيز الحربي: " ووجهه: أنه يمكن الوقف على ما قبله ويكون معمولاً ل (يَتِيهُونَ) أي: يتيهون في الأرض أربعين سنة، ويصح الوقف عليه وربطه بالتحريم، أي: حرمت عليه مدة أربعين سنة ومن وقف على الأول أي أنه لم يدخلها أحد منهم، ومن وقف

على الثاني جَوَز دخول بعضهم بعد أربعين سنة¹. معنى هذا الكلام من وقف على الأول أي وقف على قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ لم يدخلها أحد منهم. ومن وقف على الثاني أي على قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ جَوَز دخول بعضهم بعد أربعين سنة.

وقال ابن الأنباري في الوقف والابتداء في هذه الآية: "وقوله ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ [26] ينصب من وجهين: إن شئت نصبتها بـ (مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ)، فلا يتم الوقف على (عَلَيْهِمْ). وإن شئت نصبتها بـ (يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ)، فعلى هذا المذهب يتم الوقف على (عَلَيْهِمْ)².
تعليل ابن الأنباري هنا تعليل نحوي لارتباط معمول بعامل قبله، فلا يتم الوقف على أحدهما دون الآخر، وعند اتصال المعمول بالعامل فيه في جملة واحدة يتم الوقف بانتهائها.
غير أن أبا جعفر النحاس يعلل هذا الوقف بعودته إلى قول أهل التأويل؛ إذ قال: "محرمة عليهم أن يدخلوها أبداً يتيهون في الأرض أربعين سنة .. والتمام على هذا ... قال أبو جعفر: والذي قال حسن، ويؤيده أنه من قال: التمام: (فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ)، وقال في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى عنده: يتيهون في الأرض أربعين سنة.³ في هذا التعليل لابن النحاس عودة لقول أهل التأويل، وهنا إشارة إلى تحليل النص بالاستعانة بما هو خارج عنه من مقام وزمان وحوادث، تماماً كما يتم تحليل النص في لسانيات النص الحديثة (علاقة [اللغة-مقام]).

3- سورة إبراهيم:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي

1 - الحربي عبد العزيز بن علي، وقف التجاذب (المعانقة) في القرآن الكريم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج19، ع31، رمضان 1425هـ، ص: 15.

2 - ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 318 - 319.

3- ابن النحاس، القطع والائتناف، ص: 174-175.

أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾
﴿إبراهيم: 09﴾

جملة التعانق هنا هي قوله تعالى: (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) فالوقف الأولى هو: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ)، ويكون الابتداء بقوله تعالى:
(وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ).

أما الوقف الثانية فتكون على قوله تعالى: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) ويكون الابتداء بقوله تعالى: (لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ).

وفي الموضع الذي وقع فيه وقف التعانق: (لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) قولان في الإعراب:¹
القول الأول: أن تكون الجملة معطوفة.

وعلى هذا القول الذين تكون فيه جملة: (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) معطوفة على (الَّذِينَ) أو على (قَوْمِ نُوحٍ)، فإن معنى الآية يكون كالاتي: ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، وهؤلاء كلهم لا يعلمهم إلا الله. ويكون هذا المعنى في حال الوقف على (بَعْدِهِمْ) أو الوقف على (اللَّهُ). وبهذا يكون اشتراك الأقسام المذكورة (قوم نوح وعاد وثمود، والأقسام التي جاءت من بعدهم) في أنه لا يعلمهم إلا الله.

"وَحَكَّمَ عَلَى الْوَقْفِ فِي قَوْلِهِ: (مِنْ بَعْدِهِمْ) بِالتَّمَامِ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَالْهَمْدَانِيُّ، وَهُوَ وَقْفٌ مُطْلَقٌ عِنْدَ السَّجَاوَنْدِيِّ، وَوَقْفٌ كَافٍ عِنْدَ الْأَشْمُونِيِّ وَالْأَنْصَارِيِّ".²

والقول الثاني: أن تكون الجملة مستأنفة.

¹ - ينظر: الكشاف الزمخشري، 368/2. والبحر المحيط، أبو حيان، 408/5.

² - مساعد الطيار، ووقف القرآن وعلاقته بالتفسير، ص: 370.

وعلى هذا القول تكون جملة: (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) جملة مستأنفة ويكون الوقف على (وَتَمُودَ). وعلى هذا الوقف يكون معنى الآية: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ، ثم ينتهي الخبر عنهم هنا. ويبدأ خبر جديد عن القوم الذين من بعدهم، ولا يعلمهم إلا الله عز وجل. وعلى هذا تكون جملة (لَا يَعْلَمُهُمْ) خبر (الَّذِينَ). وهنا توضيح إلى أن قوما لم يذكرهم الله ممن هم بعد هذه الأقسام وهم كثير، لا يعلمهم إلا الله.

من هذه التعددات في الإعراب، واختلاف الوقف والابتداء بحسبها، يمكن تحديد مفاصل الكلام كما يلي:

ج1 = أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ؟.

ج2 = وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ.

أما الحالة الثانية فهي:

ج1 = أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ

بَعْدِهِمْ.

ج2 = لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ.

4- سورة الكهف:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾

أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا

خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مَرْتَفَعًا ﴿٣١﴾ ﴿[الكهف،

.[31-30]

قال ابن الأنباري إنَّ الوقف على قوله تعالى: (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) تام في حالة إذا كانت الجملة (إِنَّا لَا نُضِيعُ خَبْرًا) (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) أما إذا كان الخبر ما عاد من قوله تعالى: (أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ) [31]، لم يَتَمَّ الكلام على قوله: (وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) إلى قوله: (نَعَمْ الثَّوَابُ). و(وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) تام ومعناه: وحسنت الجنات مرتفقا.¹ وتكون بذلك جملة (إِنَّا لَا نُضِيعُ) اعتراضية بين اسم (إِنَّ) وخبرها.²

وقال ابن النَّحَّاس: (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) تمام إن قدرت أن خبر (إِنَّ)، في (إِنَّا) وما بعدها وإن جعلت خبر (إِنَّ): (أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ) [31] فلا تمام إلى (نَعَمْ الثَّوَابُ) [31] والأتم منه (وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) [31].³

من هذه الاختلافات في الوقف والابتداء باختلاف الإعراب نحدد مفاصل الكلام كما يلي:

الحالة الأولى: إن كان خبر (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) هو الجملة: (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا)، فتكون الجمل على نحو ما يلي:

ج1 = إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا.

ج2 = أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَدٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَكْبَسُونَ ثِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمْ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا.

الحالة الثانية: في حالة أن يكون خبر (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) هو الجملة (أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ)، فتكون الجملة (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) جملة اعتراضية بين المبتدأ والخبر، فتكون الجمل كما يلي:

¹ ينظر: ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 395-396.

² ينظر: الثَّمَالِي وقوف القرآن وعلاقتها بالمعنى والتركيب، ص: 127.

³ ابن النَّحَّاس، القطع والانتشاف، ص: 310.

ج 1 = إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ - إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا -
 أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا
 خُضْرًا مِّنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا.

5-سورة الحج:

قال تعالى: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبَسِّ الْمَوْلَىٰ وَلِبَسِّ الْعَشِيرِ﴾ [الحج، 19]

ذكر ابن الأنباري أن الوقف على قوله تعالى (أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ) وقف حسن في حين أن السجستاني¹ يرى بأنه ليس وقفا تامًا، لأنّ خبر المبتدأ لم يأت بعد، إذ (يَدْعُوا) بمعنى (يقول). وقوله: (لِمَنْ ضَرَّهُمْ) مبتدأ، والخبر قوله: (لِبَسِّ الْمَوْلَىٰ وَلِبَسِّ الْعَشِيرِ). وقد خطأه ابن الأنباري مبينًا أن قوله (يدعوا) بمعناها الأصلي، وأنّ (من) منصوبة بها واللام الداخلة عليها هي لامُ اليمين، بمعنى أنّه قال: (يدعو من لضره، أي: من والله لضره أقرب من نفعه)، فنقلت اللام من (ضَرَّهُمْ) فأدخلت على (مَنْ)، لأنها حرف لا يظهر فيه الإعراب. ثمّ بين ابن الأنباري أنّ الأخفش يرى بأنّ الخبر محذوفٌ وتقديرُ الكلام: (لمن ضره أقرب من نفعه إليه)، فحذف الخبر وهو (إليه). فردّ عليه ابن الأنباري بقوله: "وأخطأ الأخفش في هذا، لأنّ المحلوف عليه لا يحذف إذا قلت: والله لأخوك زيدٌ، لم يحسن أن تحذف زيدًا؛ فتقول: لأخوك"².

وعلى هذا فإنّ من قال بأنّ (يدعوا) بمعنى (يقول) له وجه، "ذلك لأنّ المشركين لما تبيّن لهم ضلالٌ صنيعهم تحسروا على ما فعلوا، وردّوا بقناعة على ذلك ... حيث يقولون بتأكيد وقسم: (والله لمن ضره أقرب من نفعه لبس المولى ولبس العشير)"³.

¹ - ينظر: ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 409.

² - ابن الأنباري، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - الثمالي، وقوف القرآن وعلاقتها بالمعنى والتركيب، ص: .

وقال ابن النحاس "رغم اختلاف الآراء في الوقف في هذه المسألة إنَّ الوقف على (لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ) وقف تام.¹

من هذا كله يتضح أنَّ مفاصل الكلام كما يلي:

عند الأخذ بقول ابن الأنباري وابن النحاس في هذه المسألة فإنَّ:

يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ

ج1 = يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ.

ج2 = لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ.

وإذا كانت جملة (لَيْسَ الْمَوْلَىٰ) خبراً لـ(يَدْعُوا)، فلا يمكن الفصل بينهما غير أننا نتبع

في هذا؛ القول الصائب والذي لم يُخْطَأ.

6- سورة النور:

قال تعالى: ﴿ * اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلنَّاسِ أَنْ يُرْفَعَ وَيُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور، 35-37].

قال ابن الأنباري إنَّ الوقف على قوله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) وقف حسن، ثم

تبتدى: (مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) على معنى: مثل نور محمد ﷺ، وقال قوم: معناه:

¹ - ينظر: ابن النحاس، ص: 342.

مثل نور القرآن، وقال قوم: معناه مثل نور المؤمن، ولا يجوز أن تكون الهاء لله تعالى، لأن الله لا حد لنوره¹.

ثم يذكر ابن الأنباري الوقوف الحسنة في هذه الآية وهي كما يلي²:

(فِيهَا مَصْبَاحٌ) وقف حسن ثم تبدئ (الْمَصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ) وقف حسن، ثم تبدئ (الرُّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دَرِيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) وقف حسن، ثم تبدئ: (نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ) وقف حسن، ثم تبدئ: (وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ) وقف حسن. ثم تبدئ: (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) وهنا الوقف ليس بتام. حيث قال ابن الأنباري: " (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) غير تام، لأن قوله (فِي بُيُوتٍ) حال"³... قال: "سمعت أبا العباس يقول: هو حال المصباح والزجاجة والكوكب، كأنه قال: وهي في بيوت".⁴ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ

أما إذا كان قوله تعالى: (فِي بُيُوتٍ) متعلقا بـ (يُسَبِّحُ)، أو خبرا مقدما لـ (رِجَالٌ)؛ فيحسن

الوقف على قوله تعالى: (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)⁵.

وقال ابن النحاس: (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يكون كافيا إن قدرت: (فِي بُيُوتٍ) متعلقا بـ

(يُسَبِّحُ) [36] وإن جعلته على قول ابن زيد متعلقا بقوله جل وعز: (فِيهَا مَصْبَاحٌ) لم يكف

الوقف على (عَلِيمٌ)، وكذا إن قدرته على قول محمد بن جرير، كان متعلقا بقوله جل وعز (يُوقَدُ

¹ - ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 417.

² - ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - المصدر السابق، الصفحة نفسها.

⁴ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

مِن شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ [35] وكذا إن قدرته على قول أحمد بن يحيى يكون حالاً من هذه الأشياء¹.

وذكر ابن الأنباري وجهاً آخر لهذا الوقف بقوله: "أن يرتفع الرجال بقوله: في بيوت أذن الله أن ترفع رجلاً، ويسبح له فيها رجال ممّا في (ترفع)، كأنه قال: أن ترفع مسبّحاً له فيها، ومن قرأ: (يُسَبِّحُ) بكسر الباء لم يقف على الأصل، لأنّ يسبح فعل لـ (رجالاً)، والفعل مضطر إلى فاعله"².

من هذه التعدّات في الإعراب يختلف الوقف والابتداء، وعليه يمكننا تحديد مفاصل الكلام في هاتين الآيتين على نحو ما يلي:

1- الحالة الأولى: إذا كان (في بُيُوتٍ) متعلقاً بـ (يُسَبِّحُ).

كان الوقف على (عَلِيمٌ) كافياً، أي يمكن فصله عما بعده لعدم تعلقه به لفظاً (أي من حيث التركيب)، ويبقى متعلقاً به معنى لأنّ الكلام لم يتم وينتهي معناه. وتكون الجملة كما يلي:

ج1 = اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

ج2 = مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ.

ج3 = الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ.

ج4 = الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ.

ج5 = نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ.

ج6 = وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ.

¹ - ابن النحاس، القطع والانتشاف، ص: 360.

² - ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، ص: 417-418.

ج7 = وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ¹ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ.

ج8 = يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ.

الحالة الثانية: إذا كان (في بُيُوتٍ) متعلقة بـ (يُسَبِّحُ) أو رافعة لـ (رِجَالٌ) حسن الوقف على (عَلِيمٌ). وتصبح مفاصل الكلام كما يلي:

ج1 = اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

ج2 = مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ.

ج3 = الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ.

ج4 = الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ.

ج5 = نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ.

ج6 = وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ.

ج7 = وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

ج8 = فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ.

ج9 = يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ.

1 - ذكر ابن النحاس أن الوقف على (وَالْآصَالِ) ليس بكاف لأن (رِجَالٌ) مرفوع بـ (يُسَبِّحُ) ومن قرأ (يُسَبِّحُ) يجوز له الوقف على (وَالْآصَالِ). ينظر: ابن النحاس، القطع والانتفاف، ص: 360. وينظر: ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، ص: 417 - 418.

7- سورة فاطر:

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

﴿[فاطر: 34].﴾

قال ابن النحاس¹: " ﴿ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ [34]، ليس بتمام وكذا ﴿ لَغَفُورٌ

شَكُورٌ ﴾ [34]، إن جعلت ﴿ الَّذِي ﴾ في موضع خفض على النعت لاسم الله جلّ وعزّ فالكلام

متّصل، ويجوز أن يكون ﴿ الَّذِي ﴾ في موضع نصبٍ نعتاً لاسم (إنّ) ويجوز أن يكون في

موضع رفعٍ بدلاً من (غفور) أو بدلاً من المضمّر في ﴿ شَكُورٌ ﴾. وإن جعلت ﴿ الَّذِي ﴾ مرفوعاً

على إضمار مبتدأٍ أو في موضع نصبٍ على المدح كفى الوقف على ﴿ شَكُورٌ ﴾².

وعند الأشموني ﴿ الْحَزْنَ ﴾ كافٍ و ﴿ شَكُورٌ ﴾ تام، في محل ﴿ الَّذِي ﴾ الحركات

الثلاث: فإن جعل في محل رفع خبر مبتدأ محذوف: أي هو الذي، أو جعل في محل نصب

بتقدير: أعني. كان كافياً فيهما. ولا يتم الوقف عليه في أربعة أوجه هي:³

1- إن ﴿ الَّذِي ﴾ جعل في محل خفضٍ نعتاً لاسم الله في قوله تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ

﴿

2- أو جعل في محل نصبٍ نعتاً لاسم إنّ في قوله: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

3- أو في محل رفعٍ بدلاً من غفور.

4- أو بدلاً من الضمير في شكور.

1 - اعتدت الاستشهاد بقول ابن الانباري أولاً، غير أنه لم يذكر تعليلاً للوقف على هذه الآية.

2- ابن النحاس، القطع والانتفاف، ص: 427.

3- ينظر: الأشموني، منار الهدى، ص: 202.

فكلمة ﴿الَّذِي﴾ في حال الوقف على ما قبلها لها إعراب، وفي حال الوصل بما قبلها لها إعراب آخر، ووفق هذا الاختلاف يمكننا تحديد مفاصل الكلام على نحو ما يلي:

1- الحالة الأولى: حال الوقف على ما قبل ﴿الَّذِي﴾ تكون الجمل كما يلي:

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ
ج1 = وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ.

ج2 = الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ.

ج3 = إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ.

2- الحالة الثانية: حال عدم الوقف على ما قبل (الذي) لتعلق الذي بما قبلها وذلك

في الأوجه الأربعة السابقة الذكر، تطون الجمل على نحو ما يلي:

ج1 = وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ.

ج2 = إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ.

8- سورة الشورى:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَحْتَلِفُكُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحَكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة الشورى، الآية: 10].

قال أبو جعفر: "ثم القطع على رؤوس الآيات حسن إلى (فَحَكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) [10] فإنه

كاف عند أبي حاتم، وقال محمد بن عيسى (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) [10] تمام الكلام، وقال أبو جعفر:

إن قدرت أن يكون (فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) [11] مرفوعا بالابتداء جاز ما قال، وإن جعلته

نعتًا لم يكف الوقوف على ما قبله، وكذا إن خفضته على البدل من (الهاء) التي في (إليه)، وإن نصبته على المدح كفى الوقف على ما قبله، وكذا إن نصبته على النداء المضاف¹.

وقال الأشموني عن الوقف والابتداء في هذه الآية إن (ذَلِكَ اللهُ رَبِّي). وقف حسن، "عليه توكلت (جائز) لأن (تَوَكَّلْتُ) ماض، و(أُنِيبُ) مستقبل والفصل بينهما من مقتضيات الوقف في المفردات وفي عطف الجمل لا يعتبر ذلك. أنيب (تام) إن رفع ما بعده بالابتداء، وإن جعل ما بعده خبر مبتدأ محذوف كان كافيا، وكذا إن نصب على المدح بتقدير أعني أو على المنادى المضاف. وليس بوقف إن رفع نعتًا لربي أو خبر ذلكم أو جر بدلا من الهاء في إليه أو جر صفة لله ، ويكون من قوله (ذَلِكَ اللهُ إِلَى أُنِيبُ) اعتراضا بين الصفة والموصوف².

ومن هذا يتبين أن مفاصل الكلام تتغير باختلاف حالات إعراب الجمل فتكون في هذه الآية كما يلي:

1- الحالة الأولى: التي يجوز فيها الوقف على (أُنِيبُ) ويرفع (فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) بالابتداء، ويكون الوقف في هذه الحالة تامًا أي غير مرتبطب لفظا أي من حيث التركيب ومعنى كذلك.

أما إذا جعل خبر مبتدأ محذوف كان الوقف كافيا أي مرتبطبا بما قبله لفظا (أي من حيث التركيب) ومعنى، وكذلك إذا نصب على المدح بتقدير (أعني فاطر) أو نصب على أنه منادى مضاف، وتكون الجمل في هذه الحالات كلها على نحو ما يلي:

ج1 = وَمَا أَحْتَفَّتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ.

ج2 = ذَلِكَ اللهُ رَبِّي.

¹ - ابن النحاس، القطع والانتشاف، ص: 462-463.

² - الأشموني، منار الهدى، ص: 220.

ج3 = عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ .

ج4 = وَإِلَيْهِ أُنِيبُ .

2- الحالة الثانية: التي لا يجوز فيها الوقف على أنيب إذا كان (فاطر السماوات والأرض نعتا لربي في ج2، أو خبر (ذلكم)، أو جر بدلا من الهاء في (إليه) في ج4، أو جر صفة (الله) وتكون (ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب-) جملة اعتراضية، بين الله (الموصوف) وفاطر الصفة.

وعلى هذه الاعتبارات تكون الجمل كما يلي:

ج1 = وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ .

ج2 = ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .

أو:

ج1 = وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ (الموصوف) - ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ

تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ - فَاطِرُ (الصفة) السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .

9- سورة الفتح:

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَجٍ أُخْرِجَ شَطْرُهُ فَفَازَرَهُ فَأَسْتَعْظَمَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

﴿[الفتح، الآية: 29]

موضع وقف المعانقة في الجملة (وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ)¹.

فالواو في (وَمَثَلُهُمْ) تصحُّ أن تكون للاستئناف وابتداء كلام جديد، ويجوز أن تكون عاطفة على ما سبق.

وقال ابن الأنباري: (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ) [29] قال الفراء: فيه وجهان: إن شئت قلت: المعنى: ذلك مثلهم في التوراة وفي الإنجيل أيضا كمثلهم في القرآن، فيكون الوقف على (الْإِنجِيلِ) وإن شئت قلت: تمام الكلام على قوله: (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ)، ثم ابتداء، فقال: (وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرَّرَ أَخْرَجَ شَطْرَهُ...) ².

وقال أبو جعفر: "وأكثر أهل العلم على أن التمام (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ) [29] وكما روى سعيد بن جبیر عن ابن عباس (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ) أي: كذاهو ومثل آخر في الإنجيل وهو قول الضحاک وقتادة وعبد الرحمان بن زيد وأبي جعفر، وقال يعقوب: ومن وقف (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ) فهذا الوقف التام ثم قال: (وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرَّرَ) [29].³ وذكر ابن النحاس أنه اختلف في الوقف على ومثلهم في الإنجيل فعن القتيبي أن تمام الكلام (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ) أما مجاهد فالتمام عنده (وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ). واختار محمد بن جرير القول الأول للقتيبي معللا ذلك بقوله إنه لو كان المثلان لشيء واحد لكان "أو كزرع" بالواو. وعلل غيره القول الأول بأنه لو كان "ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ" متصلا بقوله (كَرَّرَ) منفردا محتاجا إلى إضمار فالأولى أن يكون بغير إضمار.⁴

¹ - ينظر: الحربي عبد العزيز، وقف التجاذب (المعانقة) في القرآن الكريم، مجلة جامعة أم القرى، ج19، ع31، ص: 29-30.

² - ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 476.

³ - ابن النحاس، القطع والانتناف، ص: 489.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها. وينظر: الاشموني، منار الهدى، ص: 233. وينظر: الذاني، المكتفي في الوقف والابتداء، ص: 531.

وقال السجاوندي: "الوقف على (الإنجيل) جائز، ثم يبتدأ بمحذوف تقديره: هم كزرع، ويصلح أن يكون (مثلهم) مبتدأ آخر، خبره (كزرع) والأول أولى لتكون الأوصاف [مذكورة كلها] في الكتابين.¹"

نلاحظ أن تعليلات كل من ابن الأنباري وابن النحاس، والأشموني والداني ارتكزت على علاقة الوقف بالإعراب، غير أن السجاوندي يعلل بحسب ذلك ويضيف في الأخير تعليلا متعلقا بتطابق الكلام مع الواقع ليكون التصديق أوكد إذ يقول: (والأول أولى لتكون الأوصاف [المذكورة كلها] في الكتابين." وهنا إشارة إلى تعليل يتجاوز حدود علاقة اللغة باللغة إلى علاقة اللغة بالعالم (بما هو خارج النص).

من كل هذه التعليلات نستنتج أن علاقة الوقف والابتداء بالإعراب وثيقة حيث كلما تغير موضع الوقف والابتداء تغير الإعراب، وعليه تتغير مفاصل الكلام، وفي هذا المثال نحدد هذه المفاصل بحسب حالات الإعراب التي يترتب عليها الوقف والابتداء نحو ما يلي:

1- الحالة الأولى: الوقف على (ذَلِكَ مِثْلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ) تام.

ويبدأ بقوله: (وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَّرِعٍ ...) وهنا تكون مفاصل الكلام كما يلي:

ج 1 = مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مِثْلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ.

ج 2 = وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَّرِعٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَكَارَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ.

ج 3 = وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا.

¹ - السجاوندي، علل الوقوف، ص: 960.

2- الحالة الثانية: أن لا يقف على (التَّورَةِ) ويصلها بما بعدها، فتصبح الجمل

كما يلي:

ج1 = مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّورَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ.

ج2 = وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا.

10- سورة القمر:

قال تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۝۳﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُّزْدَجَرٌ ۝۴ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۝۵ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝۶﴾ [القمر، الآيات: 3-4-5].

قال ابن الأنباري (مَا فِيهِ مُّزْدَجَرٌ) وقف حسن إذا رفعت (حِكْمَةٌ) باضمار: هي حكمة بالغة، فإن رفعت (حِكْمَةٌ) على الإلتباع لـ (ما) لم يحسن الوقف على: (مُّزْدَجَرٌ) على أنك تنوي التمام¹. يقصد بالاتباع أن تكون (حِكْمَةٌ) بدلا من (ما) والتقدير (ولقد جاءكم حكمة بالغة).

وقال ابن النحاس: "(مَا فِيهِ مُّزْدَجَرٌ) [4] قطع كاف إن رفعت (حِكْمَةٌ) [5] بإضمار مبتدأ وإن رفعتها على البديل من ما لم يكف الوقوف على (مُّزْدَجَرٌ) فكان القطع الكافي على قول أبي حاتم (حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ) [5] وهذا تمام ما روي عن نافع².

¹ ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 484.

² ابن النحاس، القطع والانتشاف، ص: 506.

وسبق الفراء إلى الوجهين اللذين ذكرهما ابن الأنباري، وزاد وجها ثالثا هو نصب (حِكْمَةٌ) على الحال من (ما) حيث قال: "ولو نُصِبَ على القطع لأنه نكرة، و (ما) معرفةً كان صواباً"¹. وقال الرّمخشري في بيان مجيء الحال من (ما) وهي نكرة: "فإن قلت: إن كانت (ما) موصولةً ساغ لك أن تنصب (حِكْمَةٌ) حالا، فكيف تعملُ إن كانت موصوفةً؟ وهو الظاهر قلت: تخصّصها الصِّفَةُ، فيحسنُ نصبُ الحالِ عنها، ويجوزُ رفعُ (حِكْمَةٌ) على أنّها خبر لـ(وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ) عند من قرأ بجر (مُسْتَقَرٌّ)² وعليه لا يحسنُ الوقف على (مُرْدَجِرٌ) ولا قبلها حتى يتصل المبتدأ بخبره.³

نلاحظ من هذا اختلاف الوقف والابتداء باختلاف الإعراب، ومنه يمكننا تحديد مفاصل الكلام كما يلي:

1- الحالة الأولى: عندما يجوز الوقف على (مُرْدَجِرٌ) تكون الجمل كالاتي:

ج1 = وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ.

ج2 = وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ.

ج3 = وَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجِرٌ.

ج4 = حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ.

ج5 = فَمَا تَعَنَّ النَّذْرُ.

2- الحالة الثانية: التي لا يجوز فيها الوقف على (مُرْدَجِرٌ).

ج1 = وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ.

¹- ينظر: الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحق عبد الفتاح إسماعيل شلبي و علي النجدي ناصف، تراثنا، (د م ن)، (د ط)، (د تا)، ج3، ص:104.

²- ينظر: ابن جني، المحتسب، ج2، ص: 297.

³- ينظر: أبو حيان الأندلسي الغرناطي محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تحق: عرفان العشا حسونة، مراجعة: صدقي محمد جميل، دار الفكر، (د ط)، 2010، ج10، ص:34.

ج2 = وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ.

ج3 = وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ.

ج4 = فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ.

11 - سورة الممتحنة:

قال تعالى: ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ﴾ [الممتحنة، 3] قوله: (يوم القيامة) موضع تعانق قبله وبعده¹.

والمعنى الأول أن: نفع الأرحام والأولاد لم يحصل، وهو نفي مطلق لم يقيد بزمن. والمعنى الثاني نفي مقيد بيوم القيامة.

وقد رمز السجاوندي² لكلا الوقفين بالجواز، والعامل في الظرف (يَوْمَ) يختلف بحسب الوقفين. فعلى القول بالوقف على الموضع الأول يكون العامل فيه (يَفْصِلُ) أي (يفصل بينكم يوم القيامة). وعلى الوقف على الموضع الثاني والابتداء بما بعده يكون العامل في الوقف (تَنفَعَكُمْ) ويكون انعدام النفع مرادًا به (في يوم القيامة لا تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم).³

وعلى هذين القولين تختلف مفاصل الكلام، فتكون الحالات كما يلي:

1- الحالة الأولى: الوقف على قوله تعالى: (الْقِيَامَةِ) وتكون الجمل في النص كما

يلي:

ج1 = لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ج2 = يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ.

ج3 = وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.

1- ينظر: الحربي، وقف التجانب، ص: 30.

2- ينظر: السجاوندي، الوقف والابتداء، ص: 438.

3- ينظر: السجاوندي، علل الوقوف، ص: 1012.

2- الحالة الثانية: الوقف على (أَوْلَادِكُمْ) ويستأنف بـ (يَوْمَ الْقِيَمَةِ)، فتكون الجمل

على نحو ما يلي:

ج1 = لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ.

ج2 = يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ.

ج3 = وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.

12 - سورة الطلاق:

قال تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١١﴾ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق: 10 - 11].

قال ابن الأنباري إن الوقف على قوله تعالى في الآية [10] "(الَّذِينَ ءَامَنُوا)" [10] وقف

حسن، (فَدَّ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا)، حسن غير تام¹.

ونقل ابن الأنباري قول السجاوندي على أن الوقف هنا تام هو خطأ لأن الرسول تابع لـ

(ذِكْرًا) ونصب على أنه تابع له، ولا يجوز الوقف على المتبوع دون تابعه². وأضاف ابن الأنباري

لتفسيره لهذا الوقف والابتداء هنا بقوله: "ولو رفع رافع (الرسول) على معنى: هو رسول حسن

الوقف على [ذِكْرًا]، فإن قال قائل: كيف يكون (الرسول) تابعا لـ (الذِّكْرِ) و (الرَّسُولُ) لا ينزل،

وإنما ينزل القرآن؟ قيل له: (أَنْزَلَ) محمول على معنى: أظهر وبين، كما قال الشاعر:

إِذَا تَعَنَّى الْحَمَامُ الْوُرُقُ هَيَّجَنِى

¹- ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، ص: 500.

²- ينظر المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وَلَوْ تَعَزَّيْتُ عَنْهَا أُمَّ عَمَّارٍ .

فَنَصَبَ (أُمَّ عَمَّارٍ) بِ (هَيَّجَنِي) بِمَعْنَى: نَكَرَنِي، وَقَالَ بَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ: الرَّسُولُ مَنْصُوبٌ عَلَى الْإِغْرَاءِ بِإِضْمَارِ عَلَيْكُمْ رَسُولًا، ابْتِغَاؤًا رَسُولًا، وَإِنَّمَا صَلَحَ وَقُوعُ الْإِغْرَاءِ بِنَكْرَةٍ، لِأَنَّهَا وَصَلَتْ بِ (يَتَلَوُ)، فَأَدْنَتْهَا الصَّلَةَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، فَمَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْقَوْلِ قَالَ: الْوَقْفُ عَلَى (ذِكْرًا) تَامٌ.¹

وَذَكَرَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ وَجْهًا ثَالِثًا لِهَذَا الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ هُوَ أَنْ يَنْصَبَ (رَسُولًا) بِمَشْتَقِ (ذِكْرًا) بِمَعْنَى: (وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا يَذَكِّرُ رَسُولًا). فَمَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْقَوْلِ كَانَ الْوَقْفُ عَلَى (ذِكْرًا) حَسَنًا وَلَيْسَ تَامًا.²

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ النَّحَّاسِ فِي تَعْلِيلِ الْوَقْفِ عَلَى (ذِكْرًا) وَالْإِبْتِدَاءِ بِ (رَسُولًا) خَمْسَ حَالَاتٍ نَلْخِصُهَا فِي مَا يَلِي:³

أ- قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَدَّ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا) [10] وَقَفَ تَامٌ.

فِي وَقْفِ عَلَى (ذِكْرًا) عَلَى أَنَّهُ رَأْسُ آيَةٍ، ثُمَّ يَبْتَدِئُ (رَسُولًا) بِمَعْنَى أَرْسَلَ رَسُولًا، أَوْ بَعَثَ رَسُولًا، وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَجُوزُ الْوَقْفُ عَلَى (ذِكْرًا) وَالْإِبْتِدَاءُ بِ (رَسُولًا) لِعَدَمِ تَعَلُّقِ الثَّانِي (رَسُولًا) بِالْأَوَّلِ (ذِكْرًا).

ب- أَرْبَعُ حَالَاتٍ أُخْرَى لَا يَجُوزُ الْوَقْفُ فِيهَا عَلَى (ذِكْرًا) وَالْإِبْتِدَاءُ بِ (رَسُولًا) لِارْتِبَاطِ الثَّانِي بِالْأَوَّلِ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ (أَيِ الْإِعْرَابِ) وَهِيَ:

1- أَنْ يَكُونَ (رَسُولًا) بَدَلًا مِنْ (ذِكْرًا).

2- أَنْ يَكُونَ (رَسُولًا) بِمَعْنَى (رِسَالَةٍ).

¹ - المصدر السابق، ص: 500-501.

² - ينظر: المصدر نفسه، ص: 501.

³ - ينظر: ابن النحاس، القطع والائتناف، ص: 536.

3- أن يكون (ذَكَرًا) يراد به (القرآن) كما يجوز أن يكون المعنى: "قد أنزل إليكم ذكرا ذا

رسول، مثل قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا

لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ [سورة يوسف، الآية: 82] ويجوز أن يكون تقدير الكلام: واذكر ذكرا رسولا...

4- وقد يكون تقدير الكلام: قد أنزل الله إليكم ذكرا مع رسول، فيكون مفعولا معه، وهنا ابن

النحاس يلطّف هذا الوقف بقوله هو تعليل لطيف حسن.

ومن هذه التعليلات يمكن تحديد مفاصل الكلام في حالتين هما:

1- الحالة الأولى: يجوز الوقف فيها على (ذَكَرًا) لعدم ارتباطه بما بعده لفظاً أي

(من حيث الإعراب)، فتكون الجمل كما يلي:

ج1 = قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا.

ج2 = رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ

إِلَى النُّورِ.

2- الحالة الثانية: وبكل تقديراتها لا يجوز الوقف فيها على (ذَكَرًا) لارتباطه من

حيث الإعراب (أي لفظاً) بما بعده، وهنا تكون مفاصل الكلام نحو ما يلي:

ج1 = قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.

13 - سورة النبأ:

قال تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ﴾. [النبأ، 1 - 2].

قال ابن الأنباري: "قوله تعالى: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) [1] فيه وجهان: إن شئت جعلت (عن) الأولى

للفعل الظاهر والثانية صلة لفعل مضمر، كأنك قلت: عن أي شيء يتساءلون؟ يتساءلون عن

النبي العظيم؟. فمن هذا الوجه يحسن الوقف على: (يَتَسَاءَلُونَ) والوجه الآخر: أن تجعل (عن) الثانية توكيداً للأولى، كما قرأ عبد الله بن مسعود: ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: 31] فجعل اللام الثانية توكيداً للأولى¹.

نلاحظ هنا من كلام ابن الأنباري وجود حالتين للإعراب، ينتج عنهما حالتان للوقف والابتداء، إحداهما تصل الكلام بعضه ببعض؛ ولا يجوز الفصل بين جزئيه لالتصالهما معا على اعتبار التبعية (التوكيد). والأخرى يمكن فيها الفصل بين جزئي الكلام لأنهما مستقلان بعضهما عن بعض، فتكون الجملتان منفصلتان في المبنى وليستا جملة واحدة.

وقد ذكر ابن النحاس التعليل نفسه على أنه أرجح كل قول إلى قائله، وكل مذهب إلى صاحبه حيث قال إن: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) كافٍ [عند أبي حاتم]، قال ثم قال جل ثناؤه: (عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ) قال أبو جعفر: هذا الذي قاله أبو حاتم عليه أكثر النحويين البصريين، ولم يذكر أبو حاتم تقديره. والتقدير فيه عندهم على إضمار الفعل أي: (يتساءلون عن النبي العظيم). وللكوفيين قول آخر يكون الكلام متصلاً عندهم، ويكون الوقف (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ أي: لأي شيء يتساءلون عن النبي العظيم؟. ثم قال جل وعز: (الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) [3] أي: هو الذي فيه مختلفون، قال محمد بن عيسى: تم الكلام².

في هذا القول لابن النحاس تعليقات نحوية للوقوف على مفاصل الكلام، وحديث عن اتصال أجزاء الكلام بعضها ببعض حين يقول (يكون الكلام متصلاً عندهم).

ودليل على انفصال أجزائه في تعليقات أخرى قوله: (والتقدير فيه عندهم على إضمار الفعل) أي انفصال جملة عن أخرى. أو كونها جملة واحدة لا يمكن فصل وحداتها اللغوية بعضها عن بعض، ثم يختم بقوله (تم الكلام). هنا إشارة إلى نهاية الكلام إجمالاً لكنه يبدأ تفصيله بعد هاتين الآيتين إلى نهاية السورة.

ومن هذه التعليقات يمكننا أن نحدد مفاصل الكلام على نحو ما يلي:

¹ ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 518.

² ابن النحاس، القطع والانتشاف، ص: 556.

1- الحالة الأولى: التي يجوز فيها الوقف على (يَتَسَاءَلُونَ) تكون الجمل كما يلي:

ج 1 = عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ؟.

ج 2 = عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ .

2- الحالة الثانية: التي لا يجوز فيها الوقف على (يَتَسَاءَلُونَ) لارتباطه بما بعده في

تركيب الجملة فتكون الفواصل بين الجمل على نحو ما يلي:

ج 1 = عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ .

ج 2 = كَلَّا سَيَعْمُونَ (الكافرون).¹

ج 3 = ثَرْ كَلَّا سَيَعْمُونَ (المؤمنون).²

14 - سورة القدر:

قال تعالى: ﴿ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٥٠﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَّلَعِ

الْفَجْرِ ﴿٥١﴾ [سورة القدر، الآية: 4-5].

كلمة (سَلَامٌ) هي وقف تعانق (تجاذب)³. فقد تكون متعلقة بما بعدها على أنها خبر مقدم

لـ (هِيَ) أي: هي سلام. فلا يوقف عليها ولا يُبْتَدَأُ بما بعدها، وإنما يوقف على ما قبلها ويُبْتَدَأُ

بها، وإما أن تكون متعلقة بما قبلها والأصل "سلام من كل أمر"، معناه: من كل واحد من

الملائكة سلام على المؤمنين، فالوقف على (سَلَامٌ) في هذه القراءة.⁴

1- ينظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

2 - ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها

3- ينظر: الحربي، وقف التجاذب، ص: 31.

4- ينظر: ابن النحاس، القطع والائتناف، ص: 576.

وقال ابن الأنباري في الوقف والابتداء في هذه الآيتين: "مَنْ كُلِّ أَمْرٍ" [4] وقف حسن، ثم تَبَدَّى: (سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَّلَعَ الْفَجْرَ) [5] فترفع [سَلَّمَ] بـ (هِيَ)¹. وقال أبو حيان: "و(سَلَّمَ): مستأنف خبر للمبتدأ الذي هو: هي، أي هي سلام من أول يومها ... وقال [منصور الشَّعبي]: سَلَّمَ بمعنى التَّحِيَّةِ أي تسلم الملائكة على المؤمنين، ومن قال: تنزلهم ليس لتقدير الأمور في تلك السنة، جعل الكلام تاماً عند قوله: (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) وقال: (مَنْ كُلِّ أَمْرٍ) متعلق بقوله: (سَلَّمَ هِيَ)، أي من كل أمر مخوف ينبغي أن يسلم فيه هي سلام ... ولا يجوز أن يكون سلام بهذه اللفظة الظاهرة التي هي المصدر عاملاً فيما قبله لامتناع تقدّم معمول المصدر على المصدر.

كما أن الصِّلة كذلك لا يجوز تقديمها على الموصول².

من هذه التعليلات للوقف والابتداء من حيث التَّغْيِيرِ في الإعراب نحاول تحديد مفاصل الكلام وحالاتها:

1- الحالة الأولى: التي يوقف فيها على (أَمْرٍ) فتكون الجمل كما يلي:

ج1 = تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ.

ج2 = سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَّلَعَ الْفَجْرَ.

2- الحالة الثانية: الوقف على (سَلَّمَ) فتكون الجمل على نحو ما يلي:

ج1 = تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَّمَ.

ج2 = هِيَ حَتَّى مَطَّلَعَ الْفَجْرَ.³

1- ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 534، وينظر: الفراء، معاني القرآن، ج3، ص - ص: 280-281.

2- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج10، ص: 515-516.

3- المختار من الوقفين - وعليه أكثر المصاحف - هو الوقف على رأس الآية لتمام المعنى عندها والابتداء بما بعده، ولم يعول أكثر المفسرين والمعربين على الوقف الثاني. ينظر: الحري، وقف التجاذب، ص: 32.

15 - سورة الفيل وسورة قريش:

أختم بهذا المثال هنا في هذا الجزء من المبحث الأول لسببين أولهما أكاديمي، وهو أن لا يكون عدد الصفحات أكثر من الحجم المطلوب، وهذا لا ينفي أن هناك أمثلة كثيرة لم أتطرق إليها فيها الكثير من أسرار التعلّق اللفظي (الإعراب) وكذا المعنوي (التفسير) وعلاقتها بتغيير مواضع الوقف والابتداء، ومنه تغيير مفاصل الكلام.

والسبب الثاني هو أن هذا التعلّق اللفظي قد يتجاوز حدود السورة إلى سورة بعدها، وهنا اكتشفت هذه الحالة الخاصة، وقررت إدراجها ضمن الأمثلة التي اخترتها من القرآن الكريم عن قصد لاختلافها عن الأمثلة الأخرى التي لا تتجاوز حدود السورة الواحدة.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مِّأْكُولٍ ۝٥ ﴾ [الفيل: 1-5].

وقال تعالى: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ ﴾ [قريش: 1].

قال الثمالي: "إن حكم الوقف على آخر سورة الفيل يختلف باختلاف النظر إلى متعلق اللام وصلتها في أول سورة قريش (لإيلاف قريش)¹.

وقال ابن الأنباري في هذه الحالة من الوقف والابتداء: " (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) [1] وقف حسن، قال قوم: اللام في (لإيلاف) صلة لقوله: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ)"². وذلك تذكير لأهل مكة بعد إنجائهم من الحبشة وإهلاك الأحباش، حيث قال: (لإيلاف قريش) أي ذلك نعمة عليهم في رحلة الشتاء والصيف، فهم من نعمة إلى نعمة.³

¹ ينظر: الثمالي، وقوف القرآن وعلاقتها بالمعنى والتركيب، ص: 154.

² ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 536-537.

³ ينظر: الفراء، معاني القرآن، ج3، ص: 293.

ويرى آخرون أن اللام صلة لقوله تعالى: (جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ) أي جعلهم كذلك

لتألف قريش، وفي هذين الرأيين لا يحسن الوقف على آخر سورة الفيل لتعلق ما بعدها بها.¹
وقول آخر في اللام أنها "صلة لفعل مضمر، كأنه قال: اعجب يا محمد لنعم الله على قريش في إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فلا تتشاغلن بذلك عن الإيمان بالله وإتباعك، والدليل على هذا قوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَامَنَهُمْ مِنْ حَوْفٍ﴾ [3-4]... والوقف على: (لِإِيْلَافٍ قُرَيْشٍ) قبيح، لأن (الإيلاف) الثاني مخفوض على الإتياع لـ (الإيلاف) الأول.²

وقال ابن النحاس إن سورة الفيل "ليس فيها وقف، وليس آخرها بوقف حتى يوصل، (جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ) بـ (لِإِيْلَافٍ قُرَيْشٍ) وخولف في هذا فقيل: (بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) [1] كاف، والتّمّام آخر السّورة، والدليل على هذا إجماع المسلمين على أن نقلوها سورة، وفصلوها مع التي بعدها.³

من هذه التّعليقات للوقف والابتداء وعلاقتها بالإعراب تتضح مفاصل الكلام كما يلي غير أننا هنا نرجح قول إجماع المسلمين على أن الوقف تمام عند آخر سورة الفيل وهي منفصلة عن السّورة التي بعدها وهي سورة قريش وذلك لأغلبية القول في ذلك، رغم ذلك نحاول من هذه التّعليقات السابقة ذكر الحالات التي يكون فيها الوقف والابتداء على مفاصل الكلام مختلفا بحسب اختلاف حالات الإعراب فيها.

1- الحالة الأولى: القول إنّ اللّام صلة لفعل مضمر، والقول إنّ اللّام في

(لِإِيْلَافٍ) صلة لقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) في هذين القولين

لا يحسن الوقف على آخر سورة الفيل لتعلق ما بعدها بها، فتصير الجمل على نحو ما يلي:

¹ - ينظر: ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، ص: 537.

² - ينظر: المصدر نفسه، الصّفحة نفسها، وينظر: الفراء، معاني القرآن، ج3، ص: 293. وينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج10، ص: 547-548.

³ - ابن النّحاس، القطع والانتشاف، ص: 578.

ج1 = جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّا كُولٍ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِهْلِفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ.

لأن (إيلاف) الثانية لا يمكن الوقف عليها لتعلقها بالأولى.¹

2- الحالة الثانية: خلاف الحالة الأولى من قال إنَّ (بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) وقف كاف

والتمام آخر السورة. فيصير كل نص على حدة وقصة أصحاب الفيل منفصلة عن قصة قريش و ما تنتعم فيه من تجارتها في رحلتي الشتاء والصيف من حيث البناء اللغوي للنصين.

وتصير الجمل في القصة الأولى على نحو ما يلي:

ج1 = أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ؟

ج2 = أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ.

ج3 = وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ.

ج4 = جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّا كُولٍ.

- أما القصة الثانية لأهل قريش: وهي نص ثانٍ مستقل في بنائه اللغوي معنى ومبنى. ومفاصله تكون على نحو ما يلي:

ج1 = لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِهْلِفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ.

ج2 = فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ.

غير أن إجماع المسلمين أنهم نقلوها سورة وفصلوها فيما بعدها يجعل في سورة الفيل صلة بسورة قريش²، من حيث علاقة اللغة بالمقام والأحداث المتوالية والأسباب والمسببات وأن

¹- ينظر: ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 537.

²- ينظر، ابن النحاس، القطع والائتناف، ص: 578.

نعمة إنقاذ الله لقريش من الأحباش، ورزقهم بنعمة التجارة في رحلتي الشتاء والصيف، تكفيهم مؤنة الحياة، فالمطلوب منهم عبادة الله وحده لا شريك له وكفى.

إن هذه التطبيقات على أمثلة من النص القرآني في علاقة الوقف والابتداء باختلاف الإعراب وتعددته، تدل في تعليقات علماء الوقف والابتداء - والتي هي تعليقات نحوية بالدرجة الأولى في علاقة اللفظ بما سبقه - على أن الحاكم الفاصل في علاقة مفاصل الكلام بعضها ببعض هو قواعد النحو وما يخضع منها لذلك يكون سببا في الفصل السليم لمفاصل الكلام. وعلى هذا الأساس تحدد العلاقات بين هذه المفاصل بشكل صحيح، وأي إخلال في هذه الروابط النحوية يؤدي إلى اللحن وسوء الفهم، وحتى إلى تحطيم نظام اللغة العربية، فتصير الرسالة غير الرسالة المقصودة، وينحرف المعنى إلى ما لم يقصده المتكلم عز وجل. كما أن وقف التعانق أوضح اختلاف الإعراب باختلاف الوقف والابتداء، وتعدد الإعراب يعني تعدد البنية اللغوية للنص، وبالتالي تغيير المعنى المقصود، غير أنه لا يدل على انحراف في المعنى إنما تعدد فيه بحسب التأويل والتفسير لمعاني الآيات القرآنية. وهنا وجهة إلى تحليل النص في علاقة اللغة بالمقام. فينحو تحليله منحى تداوليا.

ومن هنا فإن تعدد الحالات الإعرابية يؤثر أيما تأثير في الوقف والابتداء على مفاصل الكلام والعكس بالعكس، فيحدد البنية النصية وعلاقة أجزاء النص بعضها ببعض، كما يحدد علاقة النص بالعالم وما يحدث فيه من حوادث. وقد أوضح علماء الوقف والابتداء من تحليلهم للنص القرآني تعليقات للوقف على مفاصل الكلام والابتداء بها، وهذه التعليقات تصب إما في علاقة أجزاء الكلام بعضها ببعض أو علاقة اللغة (النص) بما هو خارج عنها.

المبحث الثاني: علاقة الوقف والابتداء بالمعنى في ضوء المفاهيم النصية.

4 - الوقف والابتداء وتمام المعنى.

5 - الوقف والابتداء وتعدد المعنى.

6 - الوقف والابتداء بين القبيح والحسن.

المبحث الثاني: علاقة الوقف والابتداء بالمعنى في ضوء المفاهيم النصية.

إنّ الحديث هنا عن علاقة الوقف والابتداء بالمعنى يفتح المجال أمام مباحث البلاغة العربية من جهة وعلاقة هذين الأخيرين أوضاعها في الفصل الأول من هذا البحث ، أمّا دراستنا هذه فهي عبارة عن محاولة ربط لنقاط التقاطع بين علم الوقف والابتداء والبلاغة العربية ولسانيات النصّ وكل هذه العلوم مصب اهتمامها النصّ، وهو مجالها وميدانها. فنحن نحاول من هذا المبحث الكشف عن آليات تحليل علماء الوقف والابتداء للمعنى ضمن علاقات أجزاء النصّ بعضها ببعض. وكيف كان تعليلهم لهذه الظواهر؟ وهنا نستشف علاقة اللّغة (النصّ) بالمقام (العالم)؛ وكل ما يدور فيه من أشخاص، ومعلومات، وأحداث، وزمان، ومكان ... إنّ هذا المبحث يدرس بالدرجة الأولى مبحث الانسجام الذي هو باب مهم في لسانيات النصّ والشقّ الثاني من دراسة النصّوص وتحليلها. يدرس علاقة اللّغة (النصّ) بالمقام (العالم) الذي نشأ فيه النصّ. و هنا ركّزنا على هذه النقاط الثلاث:

1-دراسة الوقف والابتداء عندما يكون المعنى تامًا، وفيه ننظر كيف حلّ علماء الوقف

والابتداء هذه الوقوف والابتداءات على مفاصل الكلام ؟

2-دراسة الوقف والابتداء وتعدّد المعنى. وهنا أيضا نركّز على إجراء التحليل عند علماء

الوقف والابتداء في تأويلاتهم لتعدّد المعنى باختلاف الوقف والابتداء على مفاصل الكلام.

3-دراسة الوقف والابتداء عندما يكون الوقف قبيحًا أو حسنا ومعرفة الآليات التي يحلّل بها

علماء الوقف والابتداء هذه الحالات من بنية النصّوص.

1. الوقف والابتداء وتام المعنى في ضوء مفاهيم النصية:

في هذا الجزء نتطرق إلى اختيار أمثلة تخدم هذه المسألة بحسب تركيز علماء الوقف والابتداء

عليها. بدءً من سورة البقرة إلى غيرها من السور الأخرى، وكذا بحسب ما يتناسب وحجم هذا العمل.

يبقى أنّ القرآن كلّهم أول سورة إلى آخر سورة يحتاج إلى إنعام النّظر في كل القضايا التي نتناولها

في هذا البحث.

1 سورة البقرة:

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا

شِيَةَ فِيهَا ﴾ سورة البقرة: 71.

قال ابن الأنباري إن الوقف على قوله تعالى: ﴿ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴾، وقف حسن، وكذلك الوقف على قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ ﴾، ثم الابتداء بقوله: ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ على معنى: (هي مسلمة). ثم أشار إلى قول الفراء¹ أن لا تقف على ﴿ لَا ذَلُولَ ﴾ لأن معناها (ليست بذلول فتثير الأرض)، فالمثيرة هي الذلول. كما بين ابن الأنباري أن السجستاني يرى الوقف على ﴿ ذَلُولٌ ﴾ والابتداء بـ ﴿ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ ﴾ بمعنى هذه البقر وصفها الله بأنها تثير الأرض ولا تسقي الحرث. قال: " وهذا القول عندي غير صحيح، لأن التي تثير الأرض لا يعدم منها سقي الحرث. وروى أحد من الأئمة الذين يلزمنا قبول قولهم أنهم وصفوها بهذا الوصف. ولا ادعو لها ما ذكره هذا الرجل، بل المأثور في تفسيرها: (ليست بذلول فتثير الأرض و تسقي الحرث). وقوله أيضًا يفسر بظاهر الآية لأنها إذا أثارت الأرض كانت ذلولاً. وقد نفى الله هذا الوصف عنها "².

وذكر ابن النحاس قولاً في هذا بين فيه مسألة الوقوف هنا والابتداء قال: إنه " لا يجوز أن يكون تثير مستأنفاً لأن بعده " ولا تسقي الحرث " فلو كان مستأنفاً لما جمع بين الواو و (لا) "³.
وذكر الزمخشري أن " لا " الأولى للنفي، والثانية لتوكيد الأولى، لأن المعنى: (لا ذلول تثير الأرض وتسقي) على أن الفعلين صفتان لذلول، كأنه قيل: " لا ذلول مثيرة وساقية "⁴.

¹ - ينظر: ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 271. وينظر: ابن النحاس، القطع والائتلاف، ص: 71. وينظر: الأشموني منار الهدى، ص: .

² - ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 272.

³ - ابن النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تحقق: زهيرغازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط2، 1985م، ج1، ص: 236.

⁴ - الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التأويل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، تحقق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض وفتحي عبد الرحمان أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، ط1، 1998، ج1، ص: 283.

نلاحظ من هذه الآية أنّ الوقف لا يكون على ذلول والابتداء بما بعدها لأنّ المعنى : (ليست بذلول فتثير الأرض)، فالمثيرة هي الذلول . وهنا نلاحظ أنّ الوقف إن كان على الكلمة (ذلول) غير المعنى وكذا الابتداء بما بعدها. وقد فسّر علماء الوقف والابتداء هذا بالعودة إلى العالم والحياة الحقيقية لهذا الحيوان، حيث إنّ البقرة الذلول هي التي تثير الأرض وتسقي الحرث فإنّ وقف على كلمة ﴿ ذُلُولٌ ﴾ نفي عنها سقاية الحرث. وهنا يحدث التناقض بين اللّغة (النّص) والمقام (الواقع)، فتفسير علماء الوقف والابتداء للمعنى كان منطلقه علاقة النّص بالمقام.

وهنا يمكننا توضيح مفاصل الكلام في هذه الآية و علاقة الوقف والابتداء بالمعنى هنا بحسب ما يلي :

1- الحالة الأولى :

ج1= قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ .

ج2= مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا .

2- الحالة الثانية: وهي الحالة التي يُمنع فيها الوقف على ﴿ ذُلُولٌ ﴾، فإنّ وَقَفْنَا كانت الجمل

كما يلي، ويظهر هنا تغير المعنى الموافق للواقع:

ج1= قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولٌ .

ج2= تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ .

ج3= مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا .

والوقف هنا غلط لأنّ البقرة الذلول تثير الأرض وتسقي الحرث وهنا المعنى تغير فأثبت أنّها تثير الأرض والتي تثير الأرض تسقي الحرث أيضا.

2 سورة آل عمران:

قال تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ
مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل عمران: 14.

قال ابن الأنباري: " والوقف على ﴿ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ حسن غير تام. وزعم
السجستاني أنه تام، وهذا غلط ، لأن قوله: (والله عنده حسن المآب) متعلق بمعنى الكلام الذي
قبله، والوقف على (المآب) تام".¹

وقال السجاوندي إنَّ الوقف على ﴿الدُّنْيَا﴾ جائز ، و إن كانت الجملة التي تليها متفقة
معها ، و ذلك للفصل بين النقيضين ، والتعرض للتفكر بينهما² .

والنقيضان اللذان في هذه الآية وقد نبه إليهما السجاوندي هما: متاع الدنيا الذي يتمثل في
حبّ شهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيول المسومة والأنعام
والحرث. و مقابله ثواب الآخرة ونعيمها. وعليه فإنَّ الوقف بين هذين المتناقضين حسنٌ لبيان
المعنى للمُتَدَبِّرِ ، وكذا الفصل بين متقابلين. ولكّنه ليس وقفًا تامًا.

نلاحظ من هذا كيف يفسر علماء الوقف والابتداء ترابط أجزاء الكلام في المعنى وعلاقة
لاحق بسابق حين يقول ابنا الأنباري بل يغلط السجستاني في قوله إنَّ الكلام تام في موضع ﴿
ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ، حيث يقول هذا غلط لأنَّ قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ
الْمَآبِ ﴾ متعلق بمعنى الكلام الذي قبله. ويتمّ الكلام عند (الْمَآبِ). وهنا تبدو إشارات إلى
روابط أجزاء الكلام ليس فقط حيث الإعراب (التركيب) بل من حيث المعنى الذي به يتم
الكلام ويفهم القصد. وقول السجاوندي إنَّ [الوقف على (الدنيا) جائز وإن كانت الجملة التي
تليها متفقة معها ولكن للفصل بين النقيضين لأجل التدبر والتفكر بينهما] .

¹ - ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب اللع عزّ وجلّ، ص: 295.

² - ينظر: السجاوندي، علل الوقوف، ص: 365.

فتعليلات علماء الوقف والابتداء هنا إشارة إلى تحليل النص بيان روابط أجزائه. واتفاقها من اختلافها في المعنى دليل على تصنيف الأفكار التي تتركب النص وتنمو نحو تمام معناه وبيان مقصده. وفي تقسيمنا للجمل في هذه الآية عملا تطبيقيا لآراء علماء الوقف والابتداء .

نلاحظ جليا ما كنا بصدد توضيحه من اختلاف في المعنى ونقصه؛ أو اكتماله، وعلاقته بالوقف والابتداء. وفي ما يلي توضيح لذلك بتحديد مفاصل الكلام.

1- الحالة الأولى : الوقف عند تمام المعنى .

ج1= زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ.

2- الحالة الثانية : الوقف عند ما حسن الوقف عنده لكن المعنى لم يتم على قول علماء الوقف والابتداء .

ج1= زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

ج2= وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ.

3- سورة النساء :

قال تعالى : ﴿ وَالَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وُلْدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وُلْدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وُلْدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وُلْدٌ فَلَهُنَّ الشُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ تُوَصَّوْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا

أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ
غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ [النساء 12].

قال ابن الأنباري معللاً الوقف في هذا الآية بارتباط أجزاء الكلام بعضها ببعض في
المعنى : " وقال السجستاني الوقف على قوله : ﴿ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾ [12] تام . وهذا غلط لأن
الوصية متعلقة بالكلام المتقدم، كأنه قال : (لكل واحدٍ منهما السدس وصية من الله) . والوقف
على قوله : ﴿ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ ﴾ ، وكذلك : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ ¹ . يقصد أن الوقف
تام في هذين الموضعين أي (وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ) وكذلك قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾
﴿ وقال أبو جعفر النحاس : " ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ
لَهُنَّ وَلَدٌ ﴾ (12) قطع صالح و ليس بتمام، و التمام عند أبي حاتم ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ
يُوصِيَتَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ (12) ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ
أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ﴾ (12) قال أحمد بن جعفر : تم، لأنه شرط معه
جوابه، وخولف في هذا لأنه إنما يكون بعد الوصية والدَيْن، فلا يتم الكلام إلا بذكر الوصية
والدَيْن، ﴿ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾ (12) وقف عند أبي حاتم وغلط في هذا لأن ﴿ وَصِيَّةً ﴾ (12)
منسوبة بما قبلها ، فلا يتم الكلام على ما قبلها ² .

وقد مثل الفراء لهذه الحالة من نصب (وصية) من قوله تعالى : ﴿ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ
مِّنْهُمَا السُّدُسُ - وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ ﴾ مثل قولك : لك درهمان نفقةً إلى أهلك ³ .
وهنا يوضح الثمالي قول الفراء بأن وصيةً نصبت على الخروج، أي أنها لا تكون إلا
الوصية التي هي في حدود شرع الله، بأن تكون لغير وارث وفي حدود الثلث. وهذا هو معنى

¹ ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 307.

² ابن النحاس، القطع والانتشاف، ص: 145-146.

³ ينظر : الفراء ، معاني القرآن، ج 1، ص: 258.

مصطلح (الخروج)¹ . والذي كان سبباً في رأيه في نصب (وصية) واستخلص من الاستثناء . وينتقد الثمالي تغليط ابن الأنباري للسجستاني في توجيهه لنصب وصية .

فقد أجمع جمهور المعريين² على أن " وصية " منصوبة على المصدرية لفعل تقديره (يوصيكم الله وصية) وعليه فالوقف تام عند قوله تعالى : ﴿ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾ كما ذهب السجستاني . لأنه يبدو جلياً أن قوله تعالى ﴿ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾ ، أي لا تخرجوا عن شرع الله في الوصية كما أمركم بها وهي أن تكون لغير وارث في حدود الثلث مما يملك المورث.³

ويقع السجاوندي موقع الوسطية حيث يعلل حالات إعراب ﴿ وَصِيَّةً ﴾ بقوله : " قوله : ﴿ وَصِيَّةً ﴾ يحتمل نصبها بوقوع معنى الفعل [في : (مُضَارٍّ) عليه] ، أي : من غير أن يضار الموصى وصية هي من الله في قسم الميراث بقوله : " يوصيكم الله " ، ويحتمل نصبها بمحذوف ، أي أوصى الله وصية"⁴ .

إنّ تغليل علماء الوقف والابتداء للوقف والابتداء على مفاصل الكلام، مرتبط بالتركيب والمعنى أيضاً، ففي كلامهم تعليقات توضح أنّ المعنى لا يتم، وأنّ له أثراً في الوقف على أجزاء الكلام والابتداء بما بعدها، فمثلاً نرى الأشموني يصرح بصريح العبارة أن الوقف في موضع كذا ليس بتام لاتصاله بالمعنى مثل قوله: " في هذه الآية " حكيماً (أكفى) ولم يبلغ درجة التمام لاتصال ما بعده بما قبله معنى"⁵ . أي الوقف على قوله تعالى (حكيماً) [الآية: 11]وقف أكفمن هذا كلّه يمكن أن نوضح آراء علماء الوقف والابتداء في الوقف والابتداء على مفاصل الكلام في هذه الآية بالحالات التالية:

1- الحالة الأولى : الوقف على (غير مضار) وتكون مفاصل الكلام كما يلي:

ج1=وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ.

¹ - ينظر: عبد الله الثمالي، وقوف القرآن وعلاقتها بالمعنى والتركيب، ص: 165.

² - ينظر: السجاوندي، علل الوقوف، ص: 417، وينظر: الأشموني، منار الهدى، ص: 60.

³ - ينظر: عبد الله الثمالي، وقوف القرآن وعلاقتها بالمعنى والتركيب، ص: 165.

⁴ - السجاوندي، علل الوقوف، ص: .

⁵ - الأشموني، منار الهدى، ص: 60.

ج2= فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ
يُوصِيَتَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ .

ج3= وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ
وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تُوَصُّونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ .

ج4= وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا السُّدُسُ .

ج5= فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ
يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ .

ج6= وَصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ .

ج7= وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ .

2 - الحالة الثانية : الوقف على ﴿ وَصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ فتصبح مفاصل الكلام كما

يلي :

ج5= فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ
يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ .

ج6= وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ .

وهنا تظهر أهمية الوقف والابتداء في الفصل بين المعاني، لأن من لم يعرفها يخلط بين

المعاني المختلفة والأحكام المتباينة، كالذي يقف على قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً

فَالهَا لِنِصْفٍ وَلِأَبَوَيْهِ ﴾ [النساء 11]. فالوقف على مفاصل الكلام والابتداء بها يؤثر ليس

فقط في المعنى اللغوي المقصود الموجه للأذهان، بل قد يوهم بحكم شرعي غير الحكم الذي

يريده الشارع، وهنا تكبر أهمية وخطورة المسألة.

3 سورة الكهف :

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [الكهف 29] .

قال ابن الأنباري : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ تهديد لا يحسن الوقف عليه إلى قوله : (وساءت مرتفقا) ¹ .

وقال ابن النحاس : " ﴿ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [29] عن نافع ، تم . و خولف في هذا لأنه تهديد، وما بعده يدل عليه وهو ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [29] كاف . والتمام ﴿ بِنَسِ الشَّرَابِ ﴾ [29] وأتم منه ﴿ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [29] ² .

وذكر السجاوندي أنه لا يوقف على قوله : ﴿ فَلْيُكْفُرْ ﴾ لأنه أمر تهديد بدلالة قوله : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا ﴾ . ولو فصل بينالدال والمدلول عليه صار الأمر مطلقا، ومطلق الأمر الوجوب، فلا يحمل على غيره إلا بدلالة، نظيره، قوله تعالى : ﴿ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ ³ .

يتضح من هذه الآية أن تمام المعنى لا يكون بالوقف على قوله تعالى : ﴿ فَلْيُكْفُرْ ﴾ كما هو جلي من تعليقات علماء الوقف والابتداء .

بل لابد من تمام الآية قراءة حتى يكتمل المعنى، حيث إن فعل الأمر خرج عن مدلوله بالأمر إلى التهديد والوعيد، ودليل ذلك ما جاء بعده من تفصيل للجزاء، ولا يمكن فصله عما سبقه .

يقول الزجاج : " هذا الكلام ليس بأمر لهم، ما فعلوه منه فهم فيه مطيعون ولكن كلام وعيد وإنذار، قد بين بعده مالكل فريق من مؤمن و كافر" ¹ .

¹ - ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل: 395.

² - ابن النحاس، القطع والانتشاف، ص: 310.

³ - السجاوندي، علل الوقوف، ص: 661.

من هذه التعليقات للوقف والابتداء في هذه الآية يمكننا توضيح مفاسل الكلام، وأثر الوقف والابتداء فيها في المعنى:

1- الحالة الأولى : من وقف على ﴿فَلْيَكْفُرْ﴾، تكون مفاسل الكلام على نحو ما يلي :

ج1= أ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ^ط فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ.

ج2= إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا.

ج3= وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ.

ج4= وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا.

2 - الحالة الثانية : من قال إن الوقف على ﴿فَلْيَكْفُرْ﴾ لا يحسن .

ج1= أ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ^ط فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ

نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا.

ج2= وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ

مُرْتَفَقًا.

4 سورة الحج :

قال تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ

كُلِّ فَنَجَّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ [الحج 27] .

قال ابن الأنباري : " ﴿ مِنْ كُلِّ فَنَجَّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ [27] غير تام، لأن قوله: ﴿ لِيَشْهَدُوا

مَنْفَعَ لَهُمْ ﴾ [28] متعلق بـ (يَأْتِينَ)، والوقف على: (كُلِّ ضَامِرٍ) غير تام، وقال

الأخفش : هو تام وهذا غلط، لأن (يَأْتِينَ) صلة (كُلِّ ضَامِرٍ)، كأنه قال: وعلى كل

¹ - الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب ط1، 1988، ج3، ص: 281.

ضامر يأتين. و في قراءة ابن مسعود : (يأتون من فج عميق) ، على معنى : يأتوك رجال يأتون، و يجوز في العربية : يأتوا من كل فج عميق بالجزم، على أن يجعله تابعا لـ (يأتوك)، والعميق في هذا الموضع البعيد" ¹.

وقال ابن النحاس : ﴿ وَظَهَرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [26] ﴿ [27] لَنبِينَا ﷺ أَي: فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ الْحَجَّ وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ قَالَ : الْمَخَاطَبَةُ كُلُّهَا لِإِبْرَاهِيمَ ﷺ فَالْوَقْفُ عِنْدَهُ عَلَى قَوْلٍ نَافِعٍ وَالْأَخْفَشُ وَيَعْقُوبُ وَأَحْمَدُ بْنُ مُوسَى ﴿ وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ [27] وَخُولَفُوا فِي هَذَا، وَ مِنْ خَالِفِهِمْ أَبُو حَاتِمٍ لِأَنَّ ﴿ يَأْتِينَ ﴾ [27] مِنْ نَعْتِ ﴿ ضَامِرٍ ﴾ ، وَلَا يُوقَفُ عَلَى الْمَنْعُوتِ دُونَ النَّعْتِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَقَدْ يَجُوزُ مَا قَالُوا عَلَى أَلَّا يَجْعَلُهُ نَعْتًا ، وَيَقْطَعُهُ مِنَ الْقَوْلِ ، وَكَذَا عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ " يَأْتُونَ " جَعَلَهُ لـ " كُلِّ " أَمَا ﴿ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [27] فَلَيْسَ بِوَقْفٍ كَافٍ لِأَنَّ ﴿ لِيَشْهَدُوا ﴾ [28] مُتَعَلِّقٌ بـ ﴿ يَأْتِينَ ﴾ فَالْوَقْفُ التَّامُّ عِنْدَ أَبِي حَاتِمٍ ﴿ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ [28] ².

من هذه التعليلات للوقف والابتداء نلاحظ أن تعليل علماء الوقف والابتداء مرتكز على علاقة التركيب ببعده ببعضه وعامله نحوي بالدرجة الأولى، غير أن ابن النحاس يعطي تعليلاً لبداية مخاطبة ونهايتها وهنا إلتفاتة إلى الفكرة العامة للنص، وهنا علاقة للمعنى بالوقف والابتداء.

ومن هذه المواضع المحددة من علماء الوقف والابتداء للوقف والابتداء يمكننا تحديد مفاصل الكلام وعلاقتها بالمعنى حسب الحالات التالية:

1- الحالة الأولى: ما لا يجوز الوقف عليه لتعلق له بما سبق.

¹ - ابن الانباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 411.

² - ابن النحاس، القطع والائتلاف، ص: 343-344.

ج1 = وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوكِ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ .
 عميق . غير تام لأن قوله تعالى: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ ﴾ متعلق بـ ﴿ يَأْتِينَ ﴾ .
 ج1 = وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوكِ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ (غير تام) .
 ج2 = يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ .

الوقف على ﴿ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ غير تام وقد غلط "ابن الأنباري" "الأخفش" في ذلك
 لأن ﴿ يَأْتِينَ ﴾ صلة ﴿ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ كأنه قال : ﴿ وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ ﴾ .
 2- الحالة الثانية: جواز الوقف بتعليل المخاطبة لابن النحاس:

1- في حالة أن المخاطبة كلها لإبراهيم ﷺ، فالوقف يكون عند ﴿ وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ فتكون الجمل كما يلي:

ج1 = وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٦٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوكِ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ .

ج2 = يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ .
 ج3 = فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ .

2- في حالة أن المخاطبة لإبراهيم عليه السلام إلى قوله تعالى: ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ فتكون الجمل كما يلي:

ج1 = وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ، (المخاطبة لإبراهيم عليه السلام) .

ج2= وَأَذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا مِنَّمَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ .

5 سورة الروم :

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الروم : 25] .

قال ابن الأنباري : " ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [25] غير تام ، لأنَّ (إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) جواب إذا الأول، كأنه قال : إذا دعاكم خرجتم، وقال المفسرون : الكلام يتم على: (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً) . ثم قال : (مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) أي إذا أنتم تخرجون من الأرض. وهذا خطأ في العربية، لأنَّ إذا لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ¹ .

قال ابن النحاس : وعن نافع أن قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً ﴾ [25] وقف تام² . وقال أيضا : " قال يعقوب ومن الوقف قول الله ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً ﴾ فهذا الوقف الذي يحق على العالم علمه ، ثم قال الله جلَّ وعزَّ ﴿ مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [25] ومعناه إذا أنتم تخرجون من الأرض ، وخالفه أبو حاتم في هذا بعد أن حكاه عن بعض أهل التفسير ، وقال : أظن الوقف : ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ أي : وأنتم في الأرض كما تقول : دعاكم من القبور ، ودعوتُ فلانًا من بيته ، أي وهو في بيته " ³ . وأضاف ابن النحاس أن الوقف على قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً ﴾ ليس بوقف لأنه يأت جواب ((إذا))

¹ - ابن الأنباري : إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص:437.

² - ينظر : ابن النحاس، القطع والانتشاف، ص:401.

³ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ويحتاج إلى تقديم وتأخير ، وهو مستغنى عنه ، وكذا ((مِنَ الْأَرْضِ)) ليس بوقف لأنه لم يأت جواب ((إذا)) وإنما جواب إذا على قول الخليل و سيبويه ﴿ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ أي خرجتم، وكذا قال سيبويه في تقدير ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [36] تقديره عند سيبويه : قنطوا ، فالتمام : ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾¹.

وقال الأشموني : " ثم إذا دعاكم دعوة (جائز) قال نافع وغيره هذا وقف يحق على العالم علمه. ثم قال تعالى من الأرض إذا أنتم تخرجون. وعند أهل العربية هذا الوقف قبيح لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبلها، وجواب إذا الأولى عند الخليل و سيبويه: إذا أنتم. والوقف على مادون جواب إذا قبيح، لأن إذا الأولى للشرط والثانية للجزاء، وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط قال قتادة دعاكم من السماء فأجبتكم من الأرض أي بنفخة إسرافيل في الصور للبعث ألا أيتها الأجساد البالية والعظام النخرة والعروق المتمزقة واللحوم المنتنة قوموا إلى محاسبة رب العزة "تخرجون (تام) والأرض (كاف) على استئناف ما بعده"².

مما سبق فإن تمام المعنى يكون بالوقف على ﴿ تَخْرُجُونَ ﴾. ومن هذه التعليلات نلاحظ ربط الوقف والابتداء بالمعنى، وكيف أنه لا يتم الكلام بالوقف على الشرط دون جوابه وهنا دلالة على أن تمام المعنى مرتبط بالوقف ومعرفة الابتداء الحسن بعده.

من هذا كله يمكننا توضيح مفاصل الكلام وعلاقتها بتمام المعنى في هذه الآية كما يلي:

1- الحالة الأولى : الوقف غير التام .

ج 1 = وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ .

ج 2 = ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ . وقف غير تام .

ج 3 = إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ . ابتداء قبيح .

¹ - المصدر السابق، الصفحة نفسها.

² - الأشموني، منار الهدى، ص: 190-191.

2- الحالة الثانية : الوقف تام على ﴿دَعْوَةً﴾ . (على قول ابن النحاس).

ج 1 = وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ .

ج 2 = ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً .

ج 3 = مِنْ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ . (معناه أنتم تخرجون من الأرض).

6 سورة سبأ:

قال تعالى : ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ

رَأْسِيكَ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ [سبأ : 13] .

قال ابن الأنباري إن الوقف على قوله تعالى : ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ

وغلط قول السجستاني في الوقف على (آل داوود) والابتداء ب قوله (شكرًا) على معنى :

أشكروا الله شكرًا ، حيث قال : " وهذا عندي بعيد ، لأن المعنى : اعملوا شكرًا لله فيما أنعم

عليكم ، فإذا وقفنا على : (آل داوود) ، وابتدأنا (شكرًا) ، زال هذا المعنى ¹ .

أي فهم من وقفنا على (آل داوود) معنى آخر غير المعنى الذي يقصد من كلام الله عزَّ

وجلّ . ونلاحظ هنا تعليقه للموقف والابتداء بحسب المعنى المراد . وعلاقة هذين الأخيرين

بالمعنى .

ووافق ابن النحاس قول ابنا الأنباري في الرد على السجستاني بقوله : ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ

﴿وَزَعَمَ أَبُو حَاتِمٍ : أَنَّ هَذَا وَقْفٌ حَسَنٌ وَتَبْتَدِئُ بِشُكْرًا﴾ [13] أي اشكروا شكرًا ، وغلط في

هذا لأن المعنى : اعملوا فيما أنعم الله عليكم شكرًا ، فالكلام متصل ، والوقف الحسن ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ

ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ والتمام ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [13] ² .

¹ - ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزَّ وجلّ، ص: 445.

² - ابن النحاس، القطع والانتشاف، ص: 418.

وهنا إشارة إلى أنّ الوقف على (آل داوود) يغيّر المعنى المراد ويشير إلى أن الكلام لم يتم بقوله (والكلام متصل) وهذا دلالة على أنّ موضع الوقف والابتداء يؤثر في المعنى المقصود إذا لم يكن في محلّه الصحيح .

وقال الأشموني : " كالجواب ليس بوقف لأن قوله وقدر مجرور عطف على وجفان . وابن كثير يقف عليها بالياء ويصل بها والجوابي جمع جابية وهي الحياض التي تجمع فيها المياه راسيات (تام) آل داوود (حسن) عند أبي حاتم على أنّ شكرًا نصب بالمصدرية لأن معمول اعملوا كأنّه قيل اشكروا شكرًا ع

آل داوود و لذلك نصب آل داوود ليس بوقف في أربعة أوجه ان نصب على أنه مفعول به أو مفعول لأجله أو مصدر واقع موقع الحال أي شاكرين أو على أنّه صفة لمصدر اعملوا أي اعملوا عملاً شكرًا أي ذا شاكر شكرًا (كاف) على التأويلات كلها * الشكور (كاف)¹ .

وقال الداني : ﴿...وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ﴾ 13 كَافٍ ﴿آل دَاوُدَ شُكْرًا﴾ كَافٍ . وقال أبو

حاتم : ﴿آل دَاوُدَ﴾ وقف حسن ثم تبتدئ : ﴿...شُكْرًا...﴾ بمعنى : (أشكروا الله شكرًا)

. وليس كما قال ، لأن المعنى : (اعلموا شكرًا لله فيما أنعم به عليكم) ﴿الشُّكُورُ﴾ تام² .

ومن هذه التعليقات للوقف والابتداء بحسب تمام المعنى من عدمه ، نلاحظ كيف علّل علماء الوقف والابتداء الوقف والابتداء في هذه الآية ، حيث ربطوهما بتمام المعنى ، حيث يقول ابن الأنباري (فإذا وقفنا على آل داوود) ، أو ابتدأنا (شكرًا) ، زال هذا المعنى) . ويقول ابن النحاس : ((وتبتدئ " شكر " ، أي اشكروا شكرًا ، و غلط في هذا لأنّ المعنى : اعملوا فيما أنعم الله عليكم شكرًا فالكلام متصل)) .

ومن هذه التّرجيحات في مواضع الوقف والابتداء يمكننا أن نوضح حالات مفاصل الكلام على نحو ما يلي :

1- الحالة الأولى : التي اجتمع عليها كل علماء الوقف والابتداء:

¹ - الأشموني ، منار الهدى ، ص: 199 .

² - الداني لمكتفي في الوقف والابتداء ، ص : 465-464 .

ج1 = يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ .

وذكر الأشموني: أتأبن كثير وقف على ﴿ كَالْجَوَابِ ﴾، بالياء ويصل بها. فقد تكون :

ج1 = يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ .

ج2 = وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ .

أو:

ج2 = ﴿ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا ﴾ .

ج3 = ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ ﴾ .

2- الحالة الثانية: التي حدث فيها ردّ على غلط في موضع الوقف بسبب عدم تمام

المعنى .

ج1 = يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ .

ج2 = أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ .

ج3 = شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ .

وهذا المعنى غلطه ابن الأنباري وابن النحاس لأنه ليس المعنى المقصود، والوقف هنا

على ﴿ ءَالَ دَاوُدَ ﴾ ليس هو المعنى المقصود من قوله تعالى .

7 سورة الممتحنة :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ

وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا

فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ

مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴿ [الممتحنة : 1] .

قال ابن الأنباري : ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [1] حسن غير تام ؛ لأنّ قوله : (أن تؤمنوا بالله ربكم) متعلق بالأول كأنه ، قال : يخرجون الرسول لأنّ لا تؤمنوا بالله ربكم ويجوز أن يكون يخرجون الرسول وإياكم لإيمانكم ¹ . وتعليقه للوقف والابتداء هنا بقوله (أن تؤمنوا بالله ربكم) متعلق بالأول ، كأنه قال : يخرجون الرسول ، لأنّ لا تؤمنوا بالله ربكم) . ثم قال : " و الوقف على : ﴿ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ حسن غير تام ؛ لأنّ قوله : (إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي) متعلق بالأول ، كأنه قال : لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي ، ﴿ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ ﴾ حسن ² .

وقال مكّي : " ﴿ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ ﴾ إن للشرط وجواب الشرط فيما تقدّم من الكلام لأنّها لم تعمل في اللفظ. ³

فوجه التعلّق أن الكلام السابق في قوله تعالى : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ دالّ على جواب الشرط المحذوف ، وليس كما ذكره مكّي وتبعه ابن عطية من أنّ قوله تعالى : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي ﴾ هو جواب الشرط لأنّه جاز تقدمه لأنّ أداة الشرط وهي (إن) هنا لم يظهر عملها في اللفظ ⁴ . فهذا القول على حدّ قول الثمالي : ممّا ترفضه العربية لأنّ النهي لا بدّ من اقترانه بالفاء ، وهي غير موجودة ، فالقول بأنّ الجملة السابقة دالّة على الجواب هو الصحيح ⁵ .

وقد ذكر الشوكاني في فتح القدير أنّ جواب إن محذوف والتقدير عنده : (أي إن كنتم كذلك فلا تلقوا إليهم بالمودة ، أو إن كنتم كذلك فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء . قال الشوكاني في هذه المسألة : " ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ الجملة مستأنفة لبيان كفرهم ، أو في

¹ - ابن الأنباري ، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ ، ص : 495 .

² - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

³ - مكّي القيسي أبو محمد بن أبي طالب ، مشكل إعراب القرآن تحق: حاتم صالح الضامن ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ، 1984 ، ج1 ، ص: 728 .

⁴ - ينظر : عبد الله الثمالي وقوف القرآن وعلاقتها بالمعنى والتركيب ، ص: 178 .

⁵ - ينظر: المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

محل نصب على الحال ، و قوله : ﴿ أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ تعليل للإخراج أي : يخرجونكم لأجل إيمانكم ، أو كراهة أن تؤمنوا ﴿ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ﴾ جواب الشرط محذوف أي : إن كنتم كذلك ، فلا تلقوا إليهم بالموّدة أو إن كنتم كذلك ، فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ¹ .

وقال ابن النّحاس : إن الوقف في هذه الآية الأولى من سورة الممتحنة ، " فيها اختلاف كثير ، قال أبو حاتم : ليس من أولها وقف تام إلى ﴿ وَمَا أَعْلَنْتُمْ ﴾ [1] قال أبو جعفر : وهذا القول صحيح على مذهب أكثر أهل التأويل ، لأنّ المعنى عندهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [1] ، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ﴾ [1]

وقال محمّد ابن عيسى : " ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ .

قال بعضهم : تمام الكلام ² ، وقال ابن النّحاس أنّ بعضهم يرى أنّ قوله تعالى : ((تلقون)) توقيت لـ ((أولياء)) أي نعتاً ، فهنا يكره الوقوف على ((أولياء)) ، وإن كان مبتدأ أو خبراً جاز الوقوف على ((أولياء)) ³ . وبعضهم يرى على قول ابن النّحاس أنّ الكلام يتم عند قوله تعالى : ﴿ تَلْقُونَهُمْ بِالْمُؤَدَّةِ ﴾ ، وبعضهم يراه وقفاً كافياً أي ينفصل عمّا بعده مبنيّ (لفظاً) ويتصل بما بعده معنيّ ⁴ .

وقال ابن النّحاس أيضاً في تعليل الوقف والابتداء على قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ

وَإِيَّاكُمْ ﴾ "وقف بيان" ⁵ .

¹ - الشوكاني محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير اعتنى به وراجع أصوله : يوسف الغوش، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ط4 ، 2007 ، ص:1481.

² - ابن النّحاس ، القطع والانتشاف ، ص: 526.

³ - ينظر : المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

⁴ - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

⁵ - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

ونذكر أنّ وقف البيان هو : " الوقف على كلمة لها تعلق لفظي بما بعدها، للإشارة إلى معنى معتبر قد لا يفهم إلا بالوقف ، ثم الاستئناف بما بعدها "1.

وذكر ابن النحاس أنّ بعض القراء يقفون على ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ وقف التمام ويتم عليه الكلام بمعنى : يخرجون الرسول ويخرجونكم بإيمانكم² . غير أنّ أبا جعفر ابن النحاس يناقض هذا الكلام ويعلله بقوله : "لأنّه إن كان المعنى يخرجون الرسول ويخرجونكم إيمانكم فالكلام متصل ، والتمام عند أحمد بن موسى وأبي الحاتم ﴿بِمَا أَحْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ [1] وعند غيرهما : ﴿أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [1]3 . ويعلل ابن النحاس الوقف والابتداء في هذا الموضع من الآية بقوله : " وهذا على ألا يكون ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ [1] متعلقًا بأول السورة ، ويكون المعنى: إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تلقوا إليهم بالمودة ويكون هذا محذوفًا "4.

نلاحظ من هذه التعليقات لعلماء الوقف والابتداء تركيزهم على علاقة الوقف والابتداء بالمعنى وذلك من قولهم : (متعلق بالأول) ، (لأنّ المعنى) ، وهذا (وقف بيان) ، (لأنّه إن كان المعنى فالكلام متصل) .

وعليه فإنّ تعليل علماء الوقف والابتداء لهذين الأخيرين مرتبط بالبنى (اللفظ) وكذا المعنى الذي إذا تغيّر الوقف والابتداء تغيّر المعنى المراد والمقصود من قوله تعالى . ومن هذه الوقوف والابتداءات يمكننا توضيح حالات مفاصل الكلام التي علّها علماء الوقف والابتداء في هذه الآية .

1- الحالة الأولى : التي يكون فيها الوقف حسنًا غير تام .

ج1 = يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ .

¹ - محمود بن عبد الجليل روزن ، وقف البيان في القرآن الكريم دراسة مصطلحية ، مجلة البحوث و الدراسات القرآنية ، ع : 13 ، ص : 201 .

² - ينظر : ابن النحاس ، القطع والانتناف ، ص : 526 .

³ - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

⁴ - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

ج2 = تَلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ .

ج3 = وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ .

ج4 = أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ .

ج5 = إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ .

ج6 = وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ .

2- الحالة الثانية : التي يكون فيها الوقف تامًا .

ج1 = يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ .

ج2 = وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ .

ج3 = أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ .

ج4 = إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ .

ج5 = وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ .

2- الوقف والابتداء وتعدد المعنى في ضوء المفاهيم النصية:

في هذا الجزء نركّز على تعدّد المعنى في الكلام باختلاف الوقف والابتداء أو بعبارة أخرى أثر الوقف والابتداء في تعدّد المعنى في سلسلة الكلام وعلاقة أجزائه بعضها ببعض، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

1 سورة البقرة :

قال تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ

وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ

هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ^ط
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي
الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ [البقرة 102]

قال ابن الأنباري : " وفي قوله : ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ ﴾ [102] وجهان يجوز أن
تكون (مَا) منصوبة على النسق على (السحر) ، أي : (ويعلمونهم ما أنزل على الملكين) ،
ويجوز أن تكون جحداً ، فإذا كانت جحداً كان الوقف على (السّحر) أحسن منه إذا كانت
منسوقة على (السحر) ، لأنها إذا نسقت على (السّحر) كانت متعلقة به من جهة اللفظ والمعنى
. وإذا كانت جحداً كانت متعلقة به من جهة المعنى لا من جهة اللفظ . ويجوز أن تكون منصوبة
بالنسق على قوله : (واتبعوا ماتتلوا الشياطين - و ما أنزل عل الملكين) "1.

وقال ابن النحاس : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [102] وقف كاف إن جعلت ما نافية
، وإن جعلتها في موضع نصب لم تقف على ((السحر)) لأنها معطوفة عليه "2 .
ومن هنا يتبين لنا أن باختلاف الوقف والابتداء يختلف المعنى ويتعدّد ويمكننا توضيح
هذا بما يلي :

ويعلمونهم ما أنزل على الملكين

و (ما) أنزل على الملكين

(ما) نافية، أي لم ينزل على الملكين

واتبعوا ما تتلوا الشياطين - وما أنزل

على الملكين.



1- ابن الأنباري، الوقف والابتداء في كتاب الله ز وجل، ص:274.

2- ابن النحاس، القطع والانتشاف، ص: 77.

2 سورة آل عمران :

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران 7] .

قال ابن الأنباري : " والوقف على : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [7] تام لمن زعم أن الراسخين في العلم لم يعلموا تأويله، وهو قول أكثر أهل العلم... وعن مجاهد... ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ قال: الراسخون في العلم يعلمون تأويله، ويقولون آمنا به، فعلى مذهب مجاهد ﴿ وَالرَّاسِخُونَ ﴾ مرفوعون على النسق على (الله).¹ " والمراد أن ﴿ وَالرَّاسِخُونَ ﴾ ابتداء، وخبره في قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ ﴾، والضمير في (يقولون) عائدٌ على المبتدأ، وهما، أي المبتدأ والخبر يترافعان عند الكوفيين. ثم قوى ابن الأنباري قول الجمهور أو ما يسميهم العامة بقراءتيا بن مسعود وأبي . حين قرأ ابن مسعود : (إنَّ تأويله إلاَّ عند الله والراسخون في العلم يقولون) وقرأ أبي : (ويقولُ الراسخون في العلم)².

وقد ذكر ابن النحاس اختلاف الوقف والابتداء على قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾، فمن العلماء من قال هو وقف تام ، ومنهم من قال : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ ﴾ [7] معطوف فلا يتم الكلام قبله ، فممن رويها عنه أنه قال : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ تام وما بعده ، منقطع منه نيف وعشرون رجلاً من الصحابة والتابعين والقراء والفقهاء وأهل اللغة فمن الصحابة ثلاثة : عائشة رضي الله عنها وابن عباس وابن مسعود ، كما قرئ على أحمد بن محمد بن الحجاج، عن يحيى بن سليمان قال : حدثني خالد الأيلي قال حدثنا نافع بن يزيد عن أبي

¹ - ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 292-293.

² - المصدر السابق، ص: 293.

ملیكة قال سمعت عائشة قالت : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ فقالت : بلغ رسوخهم في العلم إلى أن قالو آمنّا به... " 1

وقد ذكر ابن النّحاس قول التابعين وهم ثلاثة : الحسن وابن نهيك والضحاك وقول الفقهاء منهم مالك بن أنس عن الأشهب وقفوا على قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ثم ابتداء ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ﴾ ولا يعلمون تأويله² وأوضح ابن النّحاس موضع الوقف والابتداء في هذه الآية بقوله: فالقطع على قولهم: إن شئت ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ على أن تجعل ﴿ يَقُولُونَ ﴾ مستأنفاً، وإن شئت كان القطع ﴿ ءَامَنَّا بِهِ ﴾ والقطع بعده ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [7]³.

ومن هذه التعليقات يتضح أن مواضع الوقف والابتداء تكون بحسب المعنى ، وأن المعنى يتعدّد بحسب الوقف والابتداء وفي هذه الآية :

1-الحالة الأولى: الوقف عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وتكون مفاصل الكلام على نحو ما يلي :

ج1 = هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ .

ج2 = هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ .

ج3 = وَأَخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ .

ج4 = فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ .

ج5 = وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ .

ج6 = وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ

¹ - ابن النّحاس، القطع والانتفاف، ص : 118 .

² - ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

³ - المصدر نفسه، ص: 119 .

ج7 = كُلُّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا

ج8 = وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ.

2- الحالة الثانية : الوقف عند قوله تعالى : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾.

ج1 = هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ.

ج2 = مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ.

ج3 = فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ.

ج4 = وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.

ج5 = يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ

ج6 = كُلُّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا.

ج7 = وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ.

وهنا نلاحظ اختلاف المعنى في الوقف على ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ عند عطف

﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ عليها في جملة واحدة.

وهنا يذهب الثمالي إلى أنّ ما ذهب إليه ابن كثير في تفسيره ويشرح معنى التأويل في

هذه الآية، وله معنيان:

أولهما: يكون بمعرفة حقيقية الشيء، وما يؤول أمره إليه، فعلى هذا المعنى يكون الوقف

على لفظ الجلالة ﴿ اللَّهُ ﴾، لأنّ الله وحده من يعلم حقائق الأمور وكنهها. أمّا المعنى الثاني :

فهو التفسير والبيان، والتعبير عن الشيء بأحسن صورة له، فعليه يكون الوقف على ﴿ الْعِلْمِ ﴾

﴿، لأنّ ﴾ وَالرَّاسِخُونَ ﴾، يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به، حتى وإن لم يحيطوا علماً بحقائق

الأمر¹.

3 سورة يوسف :

¹ - ينظر: عبد الله الثمالي، وقوف القرآن وعلاقتها بالمعنى والتركيب، ص: 183.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24] .

ذكر ابن الأنباري أنّ الوقف والابتداء في هذه الآية له ثلاثة أقوال لأهل العلم وعليها يختلف المعنى ويتعدّد وهي¹:

1- قول عامة أهل العلم : (همّ بها) معناه : قعد منها مقعد الرجل من المرأة ، فتمثّل له يعقوب - عليه السّلام - عاضاً على إصبعه يقول: يوسف يوسف .

فالوقف على حدّ قول ابن الأنباري على هذا المذهب يكون على: (لولا أن رأى برهان ربه) .

2- قول من قال من أهل العلم : الأنبياء عليهم السّلام معصومون ، لا يعصون ، ولا يهيمون بالكبائر - ومعنى الآية على قول هذا المذهب - : لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها . فيكون الوقف هنا على قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ ، والابتداء من قوله تعالى : ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ أي : لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها .

3- قول آخرين من أهل العلم : الهاء كناية عن الفرّة ، كأنّه قال : قد همت به وهمّ بالفرّة فعلى هذا القول يكون الوقف حسناً على قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ . وتاماً على قوله تعالى : ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ ، ولا يكون الوقف تاماً على قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ ، لأنّ ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ نسق عليه .

وقال ابن النّحاس : " ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ [24] قطع تام على قول من قال : إنّ لم يهيمّ بها ، وذهب إلى أنّ التّقدير: ولولا أن رأى برهان ربه همّ بها، قال أبو حاتم : قال لي أبو عبيدة وأنا أقرأ عليه كتابه في القرآن هو على التّقديم والتأخير ، أي لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها ، أي لم يهيمّ² . وقد خالف أبو جعفر النّحاس هذا القول بقوله إنّ أبا عبيدة خولف في هذا ،

¹ - ينظر: ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، ص: 375.

² - ابن النّحاس ، القطع و الائتناف ، ص : 27.

وقيل كان ضعيفاً في العربية ، إذ لا يجوز الاستثناء بالفعل الماضي . فلا يجوز قام زيدٌ لولا عمرو ، ولا قام زيد إن شاء الله ، حتى قال بعض النحويين : لو كان كما قال - أي أبو عبيدة - لكان ولهمَّ بها¹.

ويعلل ابن النحاس القول الثاني بأنَّ بعضه جعل الهم الثاني كالمهم الأول، وهو قول أبي عبيدة ، قال : " ولم يذكر الله جلَّ وعز معاصي الأنبياء ليذمهم بها ، ولكن لئلا ييأس الناس ، وأحتجَّ بما رُوي عن ابن عباس وغيره من أئمة المسلمين ".² وذكر ابن النحاس قولاً آخر يجعل "الهمَّ الثاني خلاف الهم الأول، لأنَّ الهمَّ الثاني إنما هو يخطر بالأنبياء والصالحين من احتيال الشياطين وهوى الأنفس"³. ويدعم رأيه وتعليقه للوقف والابتداء هنا بقوله ﷺ : " إنَّه ليغان على قلبي فأستغفر الله جل وعزَّ في اليوم واللييلة مئة مرة"⁴.

نلاحظ من هذه التعليلات للوقف والابتداء أنَّها مرَّة ترجع إلى الواقع لتفسر موضع الوقف والابتداء، ومنها ما هو خارج النَّص (اللِّغة) إلى ما هو مرتبط بمعارف من الواقع منها أنَّ الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطأ. ومنها ما يرتبط بقول النبي ﷺ يحدث معه أنَّه يغان على قلبه غير أنَّه يستغفر ليذهب عنه ذلك وهذا تعليل يربط النَّص بنص آخر ، أو بما هو في الواقع منحياة الأنبياء . ومن هذه التعليلات ما له علاقة بالنحو أي بالتركيب وهنا علاقة اللِّغة (النَّص) بما هو لغوي مثاله حين علل الوقف والابتداء بقوله : (لا يكون الوقف تاماً ... لأنَّ (همَّ بها)) نسق عليه). أي مرتبط بما قبله .

نلاحظ من هذه التعدادات في مواضع الوقف والابتداء تعدداً في المعنى بناءً على ذلك . ويمكننا توضيح ذلك من ما يلي :

1- الحالة الأولى: الوقف على قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْ رَّعَا بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ . والابتداء

بما بعدها.

¹- ينظر:المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

²- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

³- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁴- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ج1 = وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ^{هـ}.

ج2 = كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ.

ج3 = إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ.

2- الحالة الثانية: الوقف على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^{هـ}﴾. والابتداء بقوله

تعالى: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ^{هـ}﴾. فتكون مفاصل الكلام على نحو ما يلي :

ج1 = وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^{هـ}.

ج2 = وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ^{هـ}.

ج3 = كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ.

ج4 = إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ.

3- الحالة الثالثة: الوقف تام عند قوله: ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ وحسن عند قوله تعالى: ﴿

لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ^{هـ}﴾. والهاء كناية عن الفرّة كأنه قال ولقد همت به وهم بالفرّة فتصبح

الجمل كما يلي :

ج1 = وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ^{هـ}. (وقف حسن) معناه

يجوز الوقف على قوله تعالى ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ^{هـ}﴾ ولا يجوز الابتداء بما بعده -

وذلك حسب تعريف الوقف الحسن سابقاً - فعلى القارئ أن يعيد قراءة ما قبله ويصله بما بعده

فيكون الوقف تاماً عند قوله: ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾. فتكون الجملة على نحو مايلي:

ج1 = وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ^{هـ} كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ

السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ.

يقول عبد الله الثمالي إنَّ الرأي الأول هو الأرجح " لدلالة ظاهرة المعنى عليه، ولبعده عن التقدير الذي لا حاجة له، وإن كان ليس فيه دليل على أنَّ معنى ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ أي قعدَ منها مقعدَ الرجل من المرأة ، فقد يكونُ الهمُّ في النفس" ¹.

7 سورة الرعد :

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد2].

قال ابن الأنباري إنَّ الوقف على قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ ﴾ [02] حسنٌ ، ثم تبدى، (بغير عمد ترونها) أي : ترونها بلا عمد ويجوز أن يكون المعنى : الله الذي رفع السماوات بعمد لا ترون تلك العمد، فيكون معنى الجحد: النقل من العمدة إلى الرؤية، ويكون الوقف على: (ترونها) وفي الهاء وجهان: يجوز أن يكون لـ (العمد)، ويجوز أن يكون لـ (السماوات) ².

وقال ابن النحاس : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ ﴾ [2] قطع كافٍ إن جعلت التقدير ترونها بغير عمد، أي ترون السماوات بغير عمد، كما روى عن ابن عباس: لها عمد لا ترونها. فإن جعلت المعنى : على ما قال الأخفش ليس عمد ترى ولا عمد لا ترى فالوقف " ﴿ بغير عمد ترونها ﴾ [2] صالح وكذا ﴿ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ [2] وكذا ﴿ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ ﴾

¹ - عبد الله الثمالي ، وقوف القرآن وعلاقتها بالمعنى والتركيب ، ص : 189.

² - ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء ، : 380.

مُسَمَّى ﴿[2]﴾ وكذا ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [2] على أن يكون إخبارًا والتَّمام ﴿لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءَ رَبِّكُمْ تُوْقِتُونَ﴾ [2] ¹.

من هذا يستنتج أن الوقف والابتداء يختلفان باختلاف المعنى، وهنا فيه معنيان الأول في حالة نفي العمدة عن السماء والضَّمير العائد في (ترونها) في هذه الحالة يعود على (السماوات) وهو مذهب ابن الأنباري الأول.

أما الحالة الثانية فتثبت العمدة للسَّمَاوَاتِ أي أن السَّمَاوَاتِ مرفوعة بعمدة غير مرئية وتكون جملة (ترونها) في محل صفة ل (عمدة) .

من هذه التعليلات نلاحظ كيف يفسر علماء الوقف والابتداء الوقف والابتداء بعودة وحدة لغوية وهي (الهاء) إما من جملة إلى جملة أخرى أو داخل الجملة الواحدة، وهذا بحسب تغير المعنى، وهذا الوقف والابتداء يؤثر في معنى التركيب ويؤدي إلى معنيين مختلفين يفهمهما المتلقي من سماعه للقراءة، ونوضح هذه الوقوف والابتداءات وما نتج عنها من تعدد للمعنى كما يلي :

1- الحالة الأولى: الوقف على قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ﴾ فتكون

الجملة نحو ما يلي :

ج1 = اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ .

ج2 = بَعِيرٍ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا . أي (ترونها بلا عمدة) .

ج3 = ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ .

ج4 = وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ .

ج5 = كُلُّ نَجْمٍ يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمَّى .

ج6 = يُدَبِّرُ الْأَمْرَ .

¹ - ابن النحاس، القطع والانتشاف، ص: 276.

ج7= يُفَصِّلُ الْآيَاتِ .

ج8= لَعَلَّكُمْ بَلِقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ .

2- الحالة الثانية: عودة الضمير (ها) على العمد، و هنا الوقف على ﴿تَرَوْنَهَا﴾

فتكون الجمل كما يلي :

ج1 = اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا . (أي رفع السماوات بعمد لاترون تلك

العمد).

ج2 = ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ .

وهكذا كما في الحالة الأولى بقية الجمل.

هنا سيبدو جليا أن موضع الوقف والابتداء يؤثر على المعنى فيتعدّد بحسبه.

5 سورة النمل :

قال تعالى : ﴿ فَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ [النمل: 8] .

قال ابن الأنباري إنّ الوقف على قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ وقف حسن إن كان

(سبحان الله) خارجاً من النداء¹، أي من قوله تعالى : ﴿ نُودِيَ ﴾ فلا يكون معطوفاً على النداء

في قوله تعالى : ﴿ فَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ . أمّا إذا كان داخلاً في

النداء فالوقف تام عنده عليقوله تعالى : ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾².

وقال ابن النحاس إنّ الوقف على قوله تعالى : ﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾

﴿ [8] وقف جيد عند أبي حاتم . إن كان في التفسير ﴾ ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ [8] ليس من النداء،

¹ - ينظر : ابن الأنباري ، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ ، ص : 428 .

² - ينظر : عبد الله الثمالي، وقوف القرآن وعلاقتها بالمعنى والتركييب، ص : 199.

فإن كان داخلاً في النداء فالوقف عنده ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [8]³. وفسر ابن النحاس هذا المعنى بقول السديّ إنّه: " لما نودي فزع فقال: ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾"⁴.

وقيل " أي بُورك على مَنْ في النَّار وهو موسى، أو على من في قرب النَّار، لا أنّه كان في وسطها - وقال السديّ: كان في النَّار ملائكة - فالتبريكُ عائِدُ إلى موسى والملائكة، أي: بورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين حولها.⁵

من هذه التّعليقات للوقف والابتداء في هذه الآية يتبين حالتين لهما هما:

1- الحالة الأولى: إن كان (سبحان الله) خارجاً من النداء يكون الوقف والابتداء كما يلي:

ج1 = فَمَجَاءَ هَانُودِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا.

ج2 = وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

2- الحالة الثانية: إن كان قوله: ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ معطوفاً على النداء،

أي داخلاً فيه فالوقف تام عند قوله تعالى: ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فتكون الجملة جملة واحدة هي:

ج1 = فَمَجَاءَ هَانُودِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

نلاحظ هنا أيضاً تعدّد المعنى بحسب الوقف والابتداء.

6 سورة غافر :

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ

³ - ابن النحاس ، القطع والائتناف ، ص : 378 .

⁴ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

⁵ - القرطبي ، أبو عبد الله بن أحمد بن أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمنه ، من السنة وآي الفرقان، تحق:

عبد الله بن عبد المحسن التركي و محمد الخراط و محمد أنس مصطفى الحسن، مؤسسة الرسالة،بيروت - لبنان ، ط1،

2007م، ج16، ص : 105 .

يَكُ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾
﴿ غافر : 28] .

قال ابن الأنباري: " ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ ﴾ [28] وقف حسن، ثم تبتدئ : (من آل فرعون يكتم إيمانه)، فلا يكون الرجل من آل فرعون على هذا المذهب.

ومن قال : هو من آل فرعون وقف على فرعون ، والوقف عليه ، وعلى ﴿ يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ ﴾ غير تام؛ لأن، قوله : (أتقتلون رجلاً) حكاية¹.

ومعنى الوقف الأول على (رجل مؤمن) أن الرجل المؤمن ليس من آل فرعون ، والجار والمجرور في قوله تعالى : (من آل فرعون) متعلق بـ (يكتم) فالمعنى هو : (يكتم إيمانه من آل فرعون) .²

أما معنى الوقف على (من آل فرعون) ، فالرجل من آل فرعون والوقف هنا حسن وليس بتام لأن ما بعده مقول قول وهو حكاية، ولا يمكن الفصل بين القول ومقول القول .³

وقد غلط ابن النحاس هذه الأقوال جميعاً لأن كلا الوقفين على قوله تعالى : رجل ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ ﴾ أو ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ ، الكلام غير تام لأنه لم يؤت بما قاله الرجل.⁴ وقال أيضاً: "وإذا قال التمام ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ فلم يأت بتمام الكلام، وأيضا فإن ﴿ وَقَدْ جَاءَكُمْ ﴾ في موضع حال، والقطع الكافي ﴿ يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾⁵.

¹ - ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 459.

² - ينظر : ابن النحاس ، القطع والانتشاف ، ص : 452 .

³ - ينظر : عبد الله الثمالي ، وقوف القرآن و علاقتها بالمعنى و التركيب ، ص : 202 .

⁴ - ينظر : ابن النحاس، القطع والانتشاف، ص: 452.

⁵ - المصدر السابق، ص: 452 - 453.

غير أنّ كتب التفسير¹ تذكر أنّ الرّجل من آل فرعون، بل هو ابن عم فرعون. ودليل آخر على أنّه من آل فرعون قوله ينصح قومه: ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾، ومن هذا يتضح أنّ كلام ابن الأنباري في المعنى الثاني هو الأرجح². ولكنّ الوقف التام ليس في هذا الموضوع إنّما هو ما ذهب إليه الأشموني حيث قال: "الوقف الحسن الذي لا غبار عليه: (من ربكم) لانتهاء الحكاية، والابتداء بالشرط"³.

نلاحظ من هذه التعليقات إشارة علماء الوقف والابتداء إلى مصطلح الحكاية، وهو يوافق في لسانيات النصّ الحديثة مفهوم "المحادثة".

فقد أولى علماء الوقف والابتداء إهتمامهم هنا ببنية النص الذي يحمل حكاية ولا يمكن الوقوف قبل نهايتها. وأنّ قولهم إنّ (الكلام غير تام لأنه لم يؤت بما قاله الرّجل). فهنا إشارة إلى المعنى وتحليل المحادثة ولا نقف فقط في اللفظ (أو المبنى) وهو أننا لا نفصل القول عن مقول القول بل تجاوز علماء الوقف والابتداء ذلك إلى المعنى الكامل التام الذي لا يتم إلاّ بنهاية الحكاية.

وحسب هذه الوقوف والابتداءات نلاحظ تعدّد المعنى ورغم تغليب بعض علماء الوقف والابتداء لهذه الوقوف، يمكننا توضيح ذلك من الآتي:

1- الحالة الأولى: الوقف عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾، فتكون:

ج1 = وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ.

ج2 = يَكْتُمُ إِيمَانَهُ.

ج3 = أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ.

ج4 = وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ.

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض - المملكة العربية السعودية، ج7، ص: 140.

² ينظر: عبد الله الثمالي، وقوف القرآن وعلاقتها بالمعنى والتراكيب، ص: 202.

³ الأشموني، منار الهدى، ص: 216.

ج5 = وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ .

ج6 = وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ .

ج7 = إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ .

هنا نلاحظ عدم تمام المعنى لفصل القول عن مقوله. وفي الحالتين الثانية والثالثة يتضح

أكثر:

2- الحالة الثانية: الوقف عند قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ

فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ ، فتكون الجملة على نحو ما يلي:

ج1 = وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ .

ج2 = أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ .

ج3 = وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ .

ج4 = وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ .

ج5 = وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ .

ج6 = إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ .

3- الحالة الثالثة: الوقف التام عند قوله تعالى: ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ فتكون مفاصل

الكلام على نحو ما يلي:

ج1 = وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ

رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ .

ج2 = وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ .

ج3 = وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ .

ج4 = إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ .

7- سورة الفتح:

قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح:29]

نقل ابن الأنباري قول الفراء في الوقف على قوله تعالى في هذه الآية عند: التوراة ومثلهم في ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ [29]. أن فيه وجهان أي معنيان، المعنى: ذلك مثلهم في التوراة وفي الانجيل أيضًا كمثلهم في القرآن، فيكون الوقف على (الإنجيل). والمعنى الثاني: يكون تمام الكلام عند قوله تعالى: (ذلك مثلهم في التوراة)، ثم يبتدئ القارئ: (ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه)¹.

وقال ابن النحاس: "وأكثر أهل العلم على أن التمام ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴾ [29] وكما روى سعيد بن جبیر عن ابن عباس ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴾ أي: كذا هم ومثل آخر في الانجيل ... وقال يعقوب: من الوقف ((ذلك مثلهم في التوراة)) فهذا الوقف التام ثم قال: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ ﴾ [29]. وقال أبو حاتم: ((وذلك مثلهم في التوراة)) أي صفتهم ونعتهم ثم ابتداء ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ ﴾ وقال القتيبي: ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴾ تم الكلام². ويدعم هذا القول تعليل الزمخشري حيث قال: "ويجوز أن يكون ﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة

¹ - ينظر: ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص:476.

² - ابن النحاس، القطع والانتشاف، ص:489.

مبهمة أوضحت بقوله: ﴿ كَزَّعَ أَخْرَجَ شَطْطَهُ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْحِحِينَ ﴾¹ [الحجر: 66].

نلاحظ هنا إشارة الزمخشري إلى الوحدات اللغوية المبهمة أو الفارغة التي لا تمتلئ إلا بما قبلها في السياق من وحدات لغوية ممتلئة. أو بإرجاعها إلى المقام أي خارج اللغة (النص) إلى ما هو غير لغوي علاقة [نص - مقام] كما يسميها "مفتاح بن عروس"².
من هذه التعليقات للوقف والابتداء نلاحظ تعدد المعنى في ما يلي:

1- الحالة الأولى: الوقف على كلمة ﴿ الْإِنجِيلِ ﴾، فتكون الجمل كما يلي:

ج1 = مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ.

ج2 = تَرَبُّهُمْ رُكْعًا سَجَدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ

السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّورَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ.

ج3 = كَزَّعَ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ

بِهِمُ الْكُفَّارَ.

ج4 = وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا .

2- الحالة الثانية: الوقف التام عند قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّورَةِ ﴾ □

ويبتدئ القارئ بقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَّعَ أَخْرَجَ شَطْطَهُ ﴾.

فتكون الجمل كما يلي:

ج1 = مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ.

¹ - الزمخشري، الكشاف، ج5، ص: 553.

² - ينظر: مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، ص:.

ج2 = تَرَبُّهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ
السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ .

ج3 = وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ، فَفَازَرَهُ، فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ .

ج4 = وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا .

3- الوقف والابتداء بين القبيح والحسن:

ورد عند علماء الوقف والابتداء القدامى مصطلح الوقف القبيح والابتداء القبيح وأغلب ما يقصدون به بالوقف القبيح ما لم تكتمل فيه أركان الجملة، سواءً أكانت إسمية أم فعلية، أي عند الفصل بين المسند والمسند إليه أو بين متعلق ومتعلق به، من صفة وموصوف، ومضاف ومضاف إليه ... وهكذا- أما الوقف الحسن فهو عندهم ما يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده.

غير أن ابن الأنباري في كتابه "إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل" ذكر باباً أسماه: "ذكر مواضع يقبح الوقف عليها".

ونحن هنا في هذا الجزء نريد دراسة أمثلة عن المواضع التي يقبح الوقف عليها لأن المعنى ينحرف بذهن المتلقي عن المقصود منه، ويوهمه بمعنى مخالف تماماً للمعنى المراد من كلامه سبحانه وتعالى.

وهذا ما قدمناه في معنى الوقف القبيح في الفصل الأول في عنوان أقسام الوقف القبيح. ومن أمثلة الوقف القبيح والابتداء القبيح ما يلي:

1 سورة البقرة:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [البقرة : 14-15].

ذكر ابن الأنباري قول أبي حاتم السجستاني أنه لا يجب استئناف (الله يستهزئ بهم)، ولا استئناف: ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴿٥٤﴾ ﴾ [آل عمران : 54] حتى يصله بما قبله.¹ غير أن ابن الأنباري يرى أن هذا التخرج في الابتداء بقوله تعالى (الله يستهزئ بهم) "لا معنى له، لأنه يحسن الابتداء بقوله: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ على معنى: الله يجهلهم ويخطئ فعلهم، كما تقول: إن فلاناً ليستهزأ به مذ اليوم إذا فعل فعلاً عابه الناس وأنكروه عليه، فكان عيب الناس له بمنزلة الاستهزاء به، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيَسْتَهْزَأُ بِهَا ﴾ [النساء: 140]².

ويعلل ابن الأنباري هذا بقوله إن الآيات لا تعقل الاستهزاء والسخرية، والمعنى أنها: (يكفر بها، ويعاب) فمعنى (الله يستهزئ بهم): أي يجازيهم على استهزائهم، فيكون الاستهزاء والمكر والخديعة التي وقعت بهم.³

وقال ابن النحاس في تعليل الوقف والابتداء في هذه الآية: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ [14] قطع صالح: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ [14] ليس بقطع كافٍ، لأنَّ الائتلاف بما بعده لا يحسن، قال أبو حاتم ﴿ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [14] ليس بوقف صالح، لأنه لا يستأنف ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [15] ولا يستأنف ﴿ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴾ قال والتمام ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [15] وقال يعقوب هو وقف

¹ - ينظر : ابن الأنباري، إيضاح الوقف و الابتداء، ص: 260.

² - ابن الأنباري ، إيضاح الوقف والابتداء ، : 261.

³ - ينظر المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

كاف¹. وقد أكد ابن النحاس صحة كلام يعقوب بقوله إن "الذي قاله يعقوب صواب على قول من قال معنى ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ بجهلهم وبعيبيهم قال الله عز وجل: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيَسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ أي تُعَابُ، ومن قال: معنى ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يجازيهم على استهزائهم كان الوقف عنده ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [15]².

نلاحظ من هذا المثال اختلاف تعليلات الوقف والابتداء بسبب المعنى الذي يُصنّفه بعض علماء الوقف والابتداء أنه قبيح، لأنه يعود بمعنى صفة سيئة في سياق الكلام على الله عز وجل، فيتخرجون من الوقف على قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ وهنا يفسره آخرون بأنه الله لا يستهزئ إنما يعيبيهم بجهلهم. ويحسنون الوقف في هذا الوضع لأنه لا يسيء إلى الله عز وجل، فالمعنى في هاتين الآيتين دار بين الحسن والقبح بسبب اختلاف في فهم المعنى وتفسيره.

ونلاحظ أن الوقف على قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ هو رأس آية، ومن السنة الوقف عليه.

• قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا بَخْسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْب الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَؤُا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ

¹- ابن النحاس، القطع والانتشاف، ص: 50-51.

²- المصدر نفسه، ص: 51.

لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيَعْلَمَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ [البقرة : 282] .

قَبَّابِنِ الْأَنْبَارِيِّ الْوَقْفِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ ، " لِأَنَّ مَعْنَى التَّذْكِيرِ : التَّقْدِيمِ قَبْلَ الضَّلَالِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : كَيْ تَذْكَرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى إِنْ ضَلَّتْ " ¹ ، وَبَيْنَ بَعْدِ ذَلِكَ أَنَّ مَنْ قَرَأَ بِكَسْرِ (إِنْ) عَلَى الشَّرْطِ وَرَفَعَ (تَذْكَرُ) أَي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ﴾ (تَذْكَرُ) فَلَا يَقِفُ أَيْضًا عَلَى (إِحْدَاهُمَا) لِأَنَّ الْفَاءَ فِي (تَذْكَرُ) جَوَابُ الشَّرْطِ . وَ(تَذْكَرُ) مَرْفُوعٌ عَلَى الْإِسْتِنْفَافِ ² .

وَقَالَ ابْنُ النَّحَّاسِ إِنْ فِي آيَةِ الدِّينِ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرٍ قُوفٍ كَافِيَةٍ مِنْهَا ³ : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتَبُوهُ﴾ .
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ .
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾ .
 وَبَعْدَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَلَا يَبْخَسُ مِنْهُ شَيْئًا﴾ ، ثُمَّ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَلْيَمْلِكْ وَليُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ .

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : ﴿مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [282] قَطَعَ صَالِحٌ عَلَى قِرَاءَةِ الْكُوفِيِّينَ ، لِأَنَّهُمْ يَقْرَءُونَ ﴿إِنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [282] وَمَنْ قَرَأَ : ﴿أَنْ تَضِلَّ

¹ - ابن الأنباري ، إيضاح الوقف و الإبتداء ، ص : 290 .

² - ينظر : المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

³ - ابن النحاس ، القطع والائتناف ، ص : 114-115 .

إِحْدَهُمَا فَتَذَكَّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى ﴿١﴾ وقف ها هنا¹. وقال أبو جعفر إنَّ هذه القراءة الحسنة المخرج في العربية، "لأنَّ أذكرته إذا نسي أكثر من ذكرته، وأكثر ما يأتي ذكرته إذا وعظته."²

وقد ذهب الفراء قبل ابن الأنباري إلى أنَّ في الكلام تقديمًا و تأخيرًا حيث قال : " و قوله ((مَنْ تَرَضَّوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَهُمَا)) بفتح أن، وتكسر . فمن كسرها نوى بها الابتداء فجعلها منقطعةً عما قبلها، ومن فتحها فهو أيضًا على سبيل الجزاء إلاَّ أنَّه نوى أن يكون فيه التّقديم والتّأخير، فصار الجزاء وجوابه كالكلمة الواحدة. ومعناه - و الله أعلم - استشهدوا امرأتين مكان الرجل كيما تذكّر الذاكرة النَّاسية إن نسيته، فلما تقدم الجزاء اتّصل بما قبله ، و صار جوابه مردودًا عليه . ومثله في الكلام قولك : (إنّه ليعجبني أن يسأل السائل فيعطى) فالذي يعجبك الإعطاء إن يسأل ، ولا يعجبك المسألة ولا الإفتقار."³

واستتكر الرّجاج قول الفراء من أن سبب فتح (إن) هو تقدّم الجزاء، قال : " ولست أعرف لم صار الجزاء إذا تقدّم وهو في مكانه أو في غير مكانه وجب أن يفتح أن " ⁴ واستشهد بقول سيبويه في هذه المسألة .

وخطأ النّحاس قول البصريين في فتح (إن) المجازة لأنّها لو فتحت إنقلب المعنى. قال النّحاس في إعرابه وقد ذكر قول الفراء من أن (إن) فتحت (أن) لأنّالجزاء تقدم واتصل بما قبله

¹ - ابن النحاس، القطع والانتفاف، ص : 114.

² - المصدر السابق، الصّفحة نفسها.

³ - الفراء أبو زكريا يحيى بن زيد ، معاني القرآن ، تحقق : أحمد يوسف نجاتي و محمد على الجار ، (د.م ن) ، (د.ط) ، (د.تا) ، ج 1 ، ص : 184.

⁴ - الرّجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السّري ، معاني القرآن و إعرابه ، تحق : عبد الجليل عبده شلبي ، علم الكتب ، بيروت -

للبنان ، ط 1 ، 1988 ، ج 1 ، ص : 364

" وهذا القول خطأ عند البصريين لأن (إن) المجازة لو فتحت انقلب المعنى. " ¹ واستشهد هنا بقول سيبويه بل قال إن: " أصح الأقوال قول سيبويه " ².

وسيبويه هذه الآية في " باب اشتراك الفعل في أن وانقطاع الآخر من الأول الذي عمل فيه أن " قال : " وقال عز وجل : ((أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا فَتُكْرِرَ إِحْدَهُمَا الْآخَرَى)) فانتصب لأنه أمر بالإشهاد لأن تذكر إحداها الأخرى ومن أجل أن تذكر " ³.

وعلى قول سيبويه - يقول الثمالي لا يحسن الوقف على قوله تعالى: ﴿ أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا ﴾، لأن ما بعده هو قوله: ﴿ فَتُكْرِرَ ﴾ تعليل لاختيار امرأتين للشهادة. ⁴

من كل هذا نستنتج أن هذه الآية فيها على حد قول ابن النحاس أكثر من عشرة وقوف كافية أي يمكننا الوقف عليها لعدم تعلقها بما قبلها لفظاً (أي من حيث التركيب أي الإعراب) إلا في هذا الموضع من قوله تعالى: ﴿ أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا ﴾ وهنا اختلفت الآراء في الوقف وفي هذا الموضع والابتداء بما بعده، ونتج أنه لا يتم الوقف هنا لارتباطه بما بعده إما من حيث البناء لأن قوله تعالى: ﴿ فَتُكْرِرَ إِحْدَهُمَا الْآخَرَى ﴾ جواب شرط، وإما من حيث المعنى لأن ما بعده أي (فتذكر) تعليل لاختيار امرأتين للشهادة وهو أن تصل إحداها. فالوقف في هذا الموضع قد ينحرف بالمعنى عن مقصديته.

2 سورة الأنعام:

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [الأنعام:29]

¹ - ابن النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ، إعراب القرآن ، تحقق : زهير غازي زاهد ، عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية ، بيروت لبنان . القاهرة مصر / ط 2 ، 1985 م ، ج 1 ، ص : 345.

² - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص : 346.

³ - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، تحقق : عبد السلام هارون ، مكتبة الغانجي ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1992 م ، ج 3 ، ص : 53.

⁴ - الثمالي عبد الله ، وقوف القرآن وعلاقتها بالمعنى والتركيب ، ص : 214.

قال ابن الأنباري إنّ الوقف على قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [29] وقف تام¹ واستتكر قول من كره الوقف على هذا الموضع بسبب سماجة المعنى حيث قال: "وقوم لا معرفة لهم بالعربية يكرهون الوقف على هذا لسماجته في اللفظ، ولا أعلم في هذا شيئاً يوجب كراهة الوقف عليه، لأنّه حكاية عن الكفرة، فالذي يقف عليه غير ملهم، لأنّه لم يقل شيئاً يعتقده، إنّما حكاه عن غيره."²

ووافقه ابن النّحاس في هذا، فقال: "وبعض من يجهل اللغة وليس له نظر، يكره الوقوف على مثل هذا لأنّه يستشبعه وذلك جهل منه، لأنّ الواقف على هذا غير معتقد له، وإنّما خبر به عن غيره، والتّمّام بعده على ما روينا عن نافع ﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾ [30]³.

ووافقهما الدّاني في هذا الرّأي وقال إنّ الوقف على قوله تعالى: ﴿... وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ تامّ، وأعطى أمثلة شبيهة بهذا الوقف، وأنّ بعضهم ينكرون الوقف عليها "لسماجته في اللفظ"، وليس كما ظنوا لأنّ ذلك كله حكاية حكاها الله عزّ وجل عن قائلها، ووعد ألحقه الله بالكفّار، فالوقف والوصل في ذلك سواء."⁴

من هنا نلاحظ أنّ الوقف هنا والابتداء مرّد من قال بقبح إلى من لا علم له بالعربية، فعلماء الوقف والابتداء يحسنونه لأنّه حكاية عن قائلها، ومن لا علم له بالعربية يجعل الكلام تأكيدا بوقف على هذه الآية وهذا غير صحيح، فمعرفة اللغة من تمام معرفة الوقف والابتداء.

3سورة يونس :

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [يونس : 35].

¹ ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص:226.

² المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ ابن النّحاس، القطع والانتشاف، ص: 191.

⁴ أبو عمرو الداني، المكتفى في الوقف والابتداء، ص:249.

قال ابن الأنباري " إنَّ الوقف على قوله تعالى : ﴿ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى ﴾ [35] وقف حسن غير تام على معنى : التوبيخ ، كما تقول للرجل : مالك وملك ، ثم تبتدى : (كيف تحكمون) ، والتّمّام على ﴿ تَحْكُمُونَ ﴾¹ .

ووافق ابن النّحاس هذا الوقف حيث قال إنَّ الوقف على ﴿ إِلَّا أَنْ يُهْدَى ﴾ [35] وقف كاف . و" قال أبو حاتم : ﴿ فَمَا لَكُمْ ﴾ [35] وقف جيد قال : والتّمّام ﴿ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [35] قال أبو إسحاق : ﴿ فَمَا لَكُمْ ﴾ تم الكلام والمعنى : فأى شيء لكم في عبادة الأوثان² .

وقال الزّجاج : " (مالكم) كلام تام ، كأنّه قيل لهم : أي شيء لكم في عبادة الأوثان ، ثم قيل لهم : ﴿ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ : [أي] على أي حال تحكمون³ . وبين أبو حيان : أنّ قوله ﴿ فَمَا لَكُمْ ﴾ استفهام معناه التعجب والإنكار ، و﴿ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ استفهام آخر ، ثم قال : " وهاتان جملتان ، أنكر في الأولى ، وتعجب من اتّباعهم من لا يهدي ولا يهتدي ، وأنكر في الثاني حكمهم بالباطل وتسوية الأصنام برب العالمين⁴ .

ومن هنا فإنّ الوقف على (مالكم) وقف جيد كما ذكر ابن الأنباري لأنّه وقف من أجل بيان المعنى ، يبرز ما يقصده للسامع ، في حين أنّ الوقف هاهنا ليس بوقف تام لأنّ الاستفهام في قوله : (فكيف تحكمون) مرتبط بمعنى ما قبله .

من هنا نستنتج أنّ من الوقف والابتداء ما يحسُن لأنه يفهم المعنى ويشد انتباه السامع ، ويؤثر فيه. فقد لا يتم الكلام عليه لكنه يوضع معنًى خفيًا . وهذا ما نلاحظه في تقسيم هذه الآية إلى مفاصل بحسب تعليل علماء الوقف والابتداء نحو ما يلي :

ج1=أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى .

1 - ابن الأنباري ، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ ، ص : 367 .

2 - ابن النّحاس ، القطع والانتشاف ، ص : 251 .

3 - الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ، ج3 ، ص : 20 .

4 - أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ج6 ، ص : 56 .

ج2=فَمَا لَكُمْ؟!

ج3=كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟

4 سورة الكهف :

قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيَمًا
لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ
أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ
عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ [1]
الكهف:1-5] .

قال ابن الأنباري : ﴿عِوَجًا﴾ غير تام ، لأنّ المعنى ، (الحمد لله الذي أنزل على عبده
الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً) . ﴿ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ [4] تام ، ولا يلتفت إلى
كراهية من يكره الوقف على هذا ، فإنهم لا علم لهم " .¹

ولقد فصل ابن النحاس القول في الوقف والابتداء في هذه الآيات (1-5) قال : " كان
عاصم يستحب أن يقف ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [1]
وكذا لرواية عن نافع تم ، ... وقال يعقوب: ومن الوقف قول الله جل وعزّ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ قال : فهذا التمام الكافي من الوقف ثم قال
جل وعزّ : ﴿ قِيَمًا ﴾ [2] قال فنصّبناه لأنّه جرى مجرى المصادر أي أنزله قيماً .²

¹ - ابن الأنباري ، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزوجل ، ص: 315.

² - ابن النحاس ، القطع والانتناف ، ص: 307.

ونكر ابن النحاس قول أبي حاتم وأحمد بن جعفر وأبي محمد القتيبي ، في أنّ الوقف على ﴿عَوَجًا﴾ رأس آية والتمام عند قوله تعالى : ﴿قِيَمًا﴾ وأنهم جعلوه على التقديم والتأخير ، وهو عندهم بمعنى : (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قِيَمًا ولم نجعل له عوجًا)¹ .
وقد نبه ابن النحاس إلى أنّ القول في هذا الوقف على التقديم والتأخير لم يقل به أهل التأويل (المتقدمين وليس بتوقيف على التمام ، ولا يجوز أن يكون الوقف تامًا عند قوله تعالى : ﴿قِيَمًا﴾ لأنّ بعده لام كي ولا بد من أن تكون متعلقة بما قبلها ، ولست أدري كيف أغفل هذا من النحويين من ذكرناه ، والذي قاله عاصم ونافع ومن تابعهما أبيّين وأولى . ويكون التقدير : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا . ثم قال جلّ وعزّ ﴿قِيَمًا﴾ أي أنزله قِيَمًا² .

ونكر أيضًا أنّ التمام عند قوله تعالى : ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [4] .
فإنّه تمام عند أبي حاتم وعند غيره من أهل العلم ، ولا يلتفت إلى قول من يقول : أكره الوقوف على مثل هذا ، فإنّه مخالف لأهل العلم³ .

وهنا وافق ابن النحاس ابن الأنباري في استنكار من رأى كراهة الوقوف على قوله تعالى : ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ . لأنّه قول المشركين وليس قول اعتقاد من القارئ .
غير أنّ السجاوندي يرى بأنّ الوقف في هذه الآيات مطلق عند قوله تعالى : " عَوْجًا .ط " ورمز له بحرف الطاء . " لأنه لو وصل التنبس بأنّ ﴿قِيَمًا﴾ صفة ((عَوْجًا)) ، بل انتصب ((قِيَمًا)) بمحذوف دل عليه المتلّو ، وهو : ((أَنْزَلَ)) أي أنزله قِيَمًا ، ومن لم يقف على (عَوْجًا)) جعل ((قِيَمًا)) حالاً للكتاب ، أو العبد ، والعامل ((أَنْزَلَ)) ، وجعل قوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ

¹ - ينظر : المصدر السابق ، الصّفحة نفسها .

² - المصدر نفسه ، ص: 307-308 .

³ - المصدر نفسه ، ص: 308 .

لَّهُ عَوْجًا ﴿مَعْتَرِضًا﴾¹. ويقصد بالمتلو : في الآية الأولى : وهو قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف : 1] .

وجعل السجاوندي الوقف عند قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ ﴿٤﴾
وقفاً مجوزاً ورمز له بحرف (ز) ، حيث قال : " وقد قيل لأنَّ الجملة بعده تصلح صفة له،
وابتداء أخبار " ². وثنى بقوله : " والوقف أوضح، لأنَّ مقولهم ولد مطلق غير موصوف " ³.
معنذلك أنَّ الوقف على قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ يوضح
المعنى أفضل من الوقف على قوله: ﴿قِيَمًا﴾، وهنا يكون الفرق بين بيان المعنى والتباسه
علة الوقف والابتداء وحسنهما من عدمه.

ولقد ذكر المهديّ لطيفة من اللطائف مسألة الوقف والابتداء هنا وعلاقتها بحسن
المعنى وقبحه. إذ يرى أنَّ "وجه سكوت حفص على قوله عزَّ وجلَّ : ﴿عَوْجًا﴾ [1] ... أنه أراد
زوال اللبس الواقع عند اتصال قوله : ﴿عَوْجًا﴾ بقوله : ﴿قِيَمًا﴾"⁴.

ونقل ابن عطية في قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قولاً للمهديّ
يقول فيه إنَّ "الضمير في ﴿بِهِ﴾ يحتمل أن يعود على القول الذي يتضمنه ﴿قَالُوا﴾
المتقدم، وتكون جملة قوله ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ في موضع الحال، أي قالوا جاهلين،
ويحتمل أن يعود على ((الولد)) الذي ادعوه، فتكون الجملة صفة للولد، قاله المهديّ، وهو
معترض لأنَّه لا يصفه إلاَّ القائل، وهم ليس في قصدهم أن يصفوه"⁵ لكن ابن عطية اعترض

1 - السجاوندي ، علل الوقوف ، ص: 654-655.

2 - المصدر السابق ، ص: 655.

3 - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

4- المهديّ أبو العباس أحمد بن عمار، شرح الهداية، تحق: حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية
السعودية، (د ط)، (د تا)، ص: 392.

5- ابن عطية الأندلسي أبو محمد عبد الحق بن غالب القاضي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحق: عبد السلام

عبد الشافي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2001، ج3، ص: 495.

على هذا القول للمهدوي إذ الصواب عنده "أنه نفي مؤنثف أخبر الله تعالى بجهلهم في ذلك، فلا موضع للجملة من الإعراب، ويحتمل أن يعود [أي الضمير في ﴿بِهِ﴾] على الله عز وجل، وهذا التأويل أنم لهم وأقضى بالجهل التام عليهم".¹

وقد أشار الأشموني إلى أن هناك تعلقاً في المعنى بين قوله تعالى: ﴿وَيُذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ إلا أنه بين أن الوقف تام عند قوله تعالى: ﴿وَلَدًا﴾ وانقضى قول الكفار، ثم استأنف بقوله: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي هو نفي لما قالوه. قال الأشموني: "ولدا (تام) لأنه قد تم قول الكفار وانقضى ثم استأنف ما لهم به من علم ولا لأبائهم وذلك نفي لما قالوه فهو كالمترلق به من جهة المعنى"² ويقصد أنه مترلق به من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، (أي التركيب).

من كل هذه التعليلات للوقف والابتداء نلاحظ كيف أن موضع الوقف وحسن الابتداء يؤثر في معنى الكلام بل قد ينحرف به إلى متهات اللبس والابتعاد عن المقصود، كما قد يبين معنى خفياً يتضح أكثر بحسن الوقف وحسن الابتداء.

5 سورة الأنبياء:

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنبياء: 72].

ذكرنا سابقاً وقف البيان الذي يوضح معنى مغايراً للمعنى العام في حال الوصل وعدم الوقف عند الموضع المطلوب. وهذا المثال هنا يدخل ضمن هذا النوع من أنواع الوقف. أشار إليه ابن الأنباري بقوله: "﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ [72] وقف حسن، ثم تبتدئ: (ويعقوب نافلة) على معنى وزيادة يعقوب نافلة، لأن (يعقوب) ل (إسحاق)، وهو ل (إبراهيم) نافلة.

¹ - المرجع السابق، الصفحة نفسها، (بتصرف).

² - الأشموني، منار الهدى، ص: 144.

والوقف على (نافلة) حسن "1. فقد استحسّن ابن الأنباري الوقف على قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ كي يحصر معنى (النافلة) وهي الزيادة في (يعقوب) ، فهو يرى بأنّ (إسحاق) هبة من الله لـ (إبراهيم) في حين أن يعقوب هو نافلة لـ (إبراهيم) عليهم السلام جميعاً ، أي زيادة على هذه الهبة "2.

وقال ابن النّحاس : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ﴾ فإنّه تمام عند نافع والأخفش وأحمد بن موسى ، وحكاه أبو حاتم عن المفسرين يصح هذا القول لأنهما قالوا : ((النافلة)) : يعقوب ، فيكون على هذا ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ﴾ تم الكلام "3. وقد أوضح ابن النّحاس معنى هذا بقوله : " ويكون التقدير : وزدناه يعقوب نافلة"4.

وأضاف على قول مجاهد وعطاء : " أنّ ﴿ إِسْحَاقَ ﴾ ليس بتمام لأنهما قالوا : ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة أي عطية وهذا هو البين في العربية ، أن يكون الثاني معطوفاً على الأول ، داخلاً فيما دخل فيه ، وعلى إضمار فعل "5.

قال الزمخشري : " النافلة : وُلد الولد ، و قيل: سأل إسحاق فأعطيه ، و أعطى يعقوب نافلة أي زيادةً وفضلاً من غير سؤال"6.

أما الرأي الذي يرى أنّ الوصل هو الأولى ولا يجوز الوقف على ﴿ إِسْحَاقَ ﴾ ، أي بمعنى أنّ الوقف عليه غير تام ، فمعنى (النافلة) عندهم (العطية) وأنهما معطوفان بعضهما على بعض أي كلاً من إسحاق ويعقوب عطيةً من الله لإبراهيم . وهنا قال ابن النّحاس أنّ هذا هو البين في العربية (أن يكون الثاني معطوفاً على الأول) .

1 - ابن الأنباري ، إيضاح الوقف والابتداء ، ص: 407.

2 - ينظر : عبد الله الثمالي ، وقوف القرآن و علاقتها بالمعنى و التركيب ، ص: 220.

3 - ابن النّحاس ، القطع والانتشاف ، ص: 334.

4 - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

5- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

6 - الزمخشري ، الكشاف ، ج4 ، ص:156.

من هذه التعليقات للوقوف نلاحظ ارتباط حسن الوقف والابتداء بمعنى المفردة (نافلة)
 وحقيقتها في المقام (أن الله وهب إسحاق ويعقوب) هبة أو عطية منه لإبراهيم عليه السلام .
 وهذا يرجعنا إلى قصة هذا النبي وكيف رزقه الله إسحاق ويعقوب عليهما السلام . فالوقوف على
 قوله تعالى : (إسحاق) يؤثر في المعنى بخلاف عطف الأول على الثاني .

وكلاهما له ارتباط بمعنى (نافلة) . فالرأيان أحدهما يحسن الوقف على قوله تعالى : ﴿
 إِسْحَاقَ﴾ والأخر ينفي حسنه إلى غير ذلك .

6 سورة النمل :

قال تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾
 ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
 السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ [النمل: 23-24] .

قال ابن الأنباري إن الوقف على قوله تعالى : ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [23] ، وقف
 حسن ولا يجوز أن تقف على العرش، وتبتدئ ﴿ عَظِيمٌ ﴾ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا ﴾ [23-24] إلا على
 قبيح ، لأن (عظيماً) نعت لـ (العرش) ، ولو كان متعلقاً بـ (وجدتها) لقلت : عظيمة
 وجدتها ، وهذا محال من كل وجه ¹ .

ثم قال إنه جاء عن بعض أهل العلم " أنه قال : الوقف (ولها عرش) ، والابتداء : (عظيم)
 على معنى : عبادتهم الشمس والقمر قال أبو بكر : وقد سمعت من يؤيد هذا المذهب ، ويحتج
 بأن عرشها أحقر وأدق شأنًا من أن يصفه الله بالعظم . والاختيار عندي ما ذكرته أولاً أنه ليس
 على إضمار عبادة الشمس والقمر دليل ، وغير منكر أن يصف الهدد عرشها بالعظم إذ رآه
 متناهي الطول والعرض ، و جريه على إعراب عرش دليل على أنه نعته " ² .

1 - ابن الأنباري ، إيضاح القطع والانتفاف، ص: 428.

2 - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

أما ابن النحاس فقال إن الوقف على قوله تعالى: ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [23] وقف كافٍ ، وجهل من قال بالوقف على (ولها عرشٌ)¹. وقال من لا يعرف اللغة الوقف ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ ﴾ ثم يبتدئ ﴿ عَظِيمٌ ﴾ ، ﴿ وَجَدْتُهَا ﴾ وقد أخطأ ولو كان كما قال لقال : عظيم أن وجدتها " ².

قال الزمخشري : " من يقف على قوله : ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ ﴾ ثم يبتدئ ﴿ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا ﴾ يريد : (أمرٌ عظيمٌ أن وجدها وقومها يسجدون للشمس . فرّ من استعظام الهدهد عرشها ، فوقع في عزيمة وهو مسحُ كتاب الله)"³.

يبدو أنّ ما عليه أهل التفسير⁴ هو نفسه ما استحسنته ابن الأنباري وابن النحاس . من أن الوقف على (لها عرش عظيم وجدتها) الأفضل (لها عرش عظيم أن وجدتها) . وهو ما فسره الزمخشري أيضا في ما سبق . وعليه فإن الوقف على ﴿ عَظِيمٌ ﴾ وقف حسنٌ لكنّه ليس بتام لأنّ جملة ﴿ وَجَدْتُهَا ﴾ بدلٌ من " وجدتُ امرأةً "⁵.

ومن هنا يمكننا توضيح اختلاف الوقوف والابتداءات في هاتين الآيتين ما ينجم عنه حسن في المعنى أو قبح وذلك نحو مايلي :

1- حالة الوقف الحسن والابتداء الحسن :

ج1 = إني وجدتُ امرأةً تملكُهُم وأوتيت من كلّ شيءٍ ولها عرشٌ عظيمٌ .

ج2 = وجدتُها وقومها يسجدون للشمس من دون الله .

¹ - ابن النحاس ، القطع والانتاف ، ص: 379.

² - المصدر السابق، الصفحة نفسها.

³ - الزمخشري ، الكشاف ، ج4 ، ص: 448.

⁴ - ينظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج16 ، ص: 139 - 140. وينظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج8 ، ص: 288 . و ينظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج6، ص : 187.

⁵ - الدرويش محيي الدين ، إعراب القرآن الكريم و بيانه ، اليمامة ، بيروت ، دار ابن كثير ، بيروت ، دار الإرشاد ، سورية ، ط3 ، مج7 ، ص: 191.

2- الحالة التي فيها الوقف حسن والابتداء قبيح :

ج1=إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا،
(على إعتبار أنها) : (عرش عظيم أن وجدتتها ..)

3- الحالة التي فيها الوقف قبيح والابتداء قبيح :

ج1=إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾
وَجَدْتُهَا. (لا على الاعتبار (أن وجدتتها).

فيكون هنا المعنى خاطئاً كما أوضحه ابن الأنباري.

ج2 = وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

وهنا يتضح كيف علل علماء الوقف والابتداء، الوقف والابتداء وعلاقتهما بحسن المعنى وبيانه من عدمه. الذي يوافق تحليل النص في علاقة المتكلم بكلامه وبالمتلقي.

7 سورة النجم:

قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾

﴿النجم: 5-7﴾.

قال ابن الأنباري إن الوقف على قوله تعالى: ﴿فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾

[6-7] وقف قبيح، "لأن (هو) نسق على ما في (استوى) ، والمعنى: (فاستوى جبريل ومحمد عليهما السلام بالأفق الأعلى).¹ معنى ذلك أن (وهو) معطوف على الفاعل المستتر للفعل (استوى) أي عطف اسماً على مضمير مرفوع، و(وهو) يعود عنده على محمد ﷺ - فتقدير الكلام كما قال هو (فاستوى جبريل ومحمد، عليهما السلام، بالأفق الأعلى).

¹ ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص: 482.

وقد وافق ابن النحاس كلام ابن الأنباري في هذا وأضاف أنه "هذا عند الخليل وسيبويه وأصحابهما وإنما يجوز في الشعر ولا يجوز عندهم في الكلام، قمت وزيد، وأبعد منه: وعمرو، ولا يحمل كتاب الله جلّ وعزّ على مثل هذا ولكن هو في موضع الحال.¹"

فقد ذكر سيبويه في كتابه أنه يكون قبيحاً في الكلام " أن تقول: ذهبتَ وعبدُ الله، وذهبتُ وعبدُ الله إلا أن يجيء في الشعر".² فهذا الوقف في كلام العرب قبيح ولا يجوز إلا في الشعر.

وقال الزّجاج: "قال بعض أهل اللّغة: "هو ههنا يعني به النبي عليه السلام، المعنى : فاستوى جبريل والنبي ﷺ بالأفق الأعلى، وهذا عند أهل اللغة لا يجوز مثله إلا في الشعر إلا أن يكون مثل قولك : استويت أنا وزيدٌ ، ويستقبحون : استويت وزيدٌ، وإنما المعنى استوى جبريل وهو بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية، لأنّه كان يتمثل للنبي ﷺ - إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجلٍ ... فالمعنى - والله أعلم - فاستوى جبريل في الأفق الأعلى على صورته."³ الحقيقية ، وهو قول الجمهور.⁴

من هذه التعليقات نلاحظ أن تعليل الوقف وحسنه هنا والابتداء وحسنه كان بالعودة إلى كلام العرب وما يقبح منه وما يحسن، غير أننا لا نوازيه بكلام الله عز وجل هنا، كما أنّ الوقف على قوله تعالى: (فاستوى) رأس آية، ومن السنة الوقف على رؤوس الآي فالوقف هنا لم يبلغ درجة القبح مادام رأس آية، كما أنّ المعنى لا يخل في حال الوقف. ويمكننا توضيح مواضع الوقف والوصل هنا في نحو ما يلي:

1- حالة أنّ الوقف على قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَوَى ﴾ ووقف قبيح فتكون الجملة :

ج1 = عَالَمُهُ شَدِيدُ الْقُوَى .

ج2 = دُو مِرْقَةٍ فَاسْتَوَى (فاستوى) صاحب الحال وهو جبريل عليه السلام.

¹ - ابن النحاس، القطع والانتانف، ص: 502.

² - سيبويه، الكتاب، ج2، ص: 380.

³ - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج5، ص: 70.

⁴ - ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج10، ص: 10.

ج3 = وَهُوَ بِالْأَفُقِ الْأَعْلَى . الحالى ←

أو (هو) معطوف على الفاعل المستتر للفعل (استوى) أي عطف اسمًا على مضمَر مرفوع و(وهو) يعود عند ابن الأنباري على محمد ﷺ - أي: فاستوى جبريل ومحمد عليهما السلام بالأفق الأعلى.

ونشير إلى أن هذا النوع من الوقف هو وقف على رؤوس الآي، وعليه فهو لم يبلغ درجة القبح على هذا النحو.

2- الحالة التي يكون فيها الوقف على قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِالْأَفُقِ الْأَعْلَى ﴾ .

ج1 = عَمَّهُ شَدِيدُ الْقُوَى .

ج2 = ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأَفُقِ الْأَعْلَى .

8 سورة المزل:

قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [المزل:

[17].

قال الأنباري: " وقوله: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾

[17]، (إن) من صلة (تتقون) و(اليوم) منصوب بـ (تتقون)، والمعنى: فكيف تتقون يومًا يجعل

الولدان شيبًا إن كفرتم، وقال بعض المفسرين: وقف التمام على قوله: (إن كفرتم) ، والابتداء:

يومًا يجعل الولدان شيبًا) يذهب إلى أن (اليوم) منصوب بـ (يجعل)، والفعل به¹.

وعلق ابن الأنباري على هذا الوقف بقوله: "وهذا قبيح" حيث فسر معناه عند من قال بهذا

الوقف: "كأنه قال: يجعل الله الولدان شيبًا في يوم. وهذا لا يصح، لأنّ اليوم هو الذي يفعل

هذا من شدة هوله.²

وقال أيضًا: "ومنهم من ينصب (اليوم) بـ (كفرتم) ، وهذا قبيح لأنّ (اليوم) إذا علق بـ

(كفرتم) إحتاج إلى صفة (كفرتم) لـ (يوم) ، فإن احتج محتج بأن الصفة قد تحذف ، وينصب ما

¹ - ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، ص: 512.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

بعدها احتجنا عليه بقراءة عبد الله: (فكيف تتقون يوماً يجعل الولدان شيباً إن كفرتم) ¹، فقد قبّح ابن الأنباري الوقف على قوله تعالى: (إن كفرتم)، وقد وافقه ابن النّحاس في هذا حيث غلط الوقف على قوله تعالى: (إن كفرتم) ،وقال في ذلك: "وعن نافع أنّ التمام ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ ﴾ [17] وغلطه في هذا جماعة منهم أبو حاتم، لأن المعنى عندهم: فكيف تتقون يوماً يجعل الولدان شيباً لشدته وهوله، فكيف تتقون به إن كفرتم" ².

وجوّز الزّمخشري أن يكون (يوماً) ظرفاً لـ ﴿ تَتَّقُونَ ﴾ قال: "ويجوز أن يكون ظرفاً، أي: فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا ويجوز أن ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم، أي فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء، لأنّ تقوى الله خوف عقابه" ³.

وأضاف الدّرويش جواز أن ينتصب بنزع الخافض أي (إن كفرتم بيوم القيامة) ⁴ و من قول هؤلاء العلماء يمكننا الوقف على قوله تعالى: ﴿ شَيْبًا ﴾ لكنه ليس وقفًا تامًا لأن قوله تعالى: ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾ صفة ثانية لـ ﴿ يَوْمًا ﴾.

ومن هذه التعليقات يمكننا توضيح موضع الوقف والابتداء وحسنهما من عدمه. في ما يلي:

1 - الحالة التي غلط فيها علماء الوقف والابتداء الوقف والابتداء على قوله تعالى: ﴿

كَفَرْتُمْ ﴾، تكون مفاصل الكلام على نحو ما يلي:

ج1 = فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ.

ج2 = يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شَيْبًا.

ج3 = السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ

¹ - المصدر السابق، الصّفحة نفسها.

² - ابن النّحاس، القطع والانتاف، ص: 550.

³ - الزّمخشري، الكّشاف، ج6، ص: 247.

⁴ - ينظر: الدّرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج10، ص: 268.

ج4 = كَانَ وَعَدُّهُ مَفْعُولًا.

2 - الحالة التي يكون الوقف والابتداء فيها حسيين:

ج1 = فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا.

ج2 = السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ

ج3 = كَانَ وَعَدُّهُ مَفْعُولًا.

3 - الحالة التي يكون الوقف فيها تامًا والابتداء حسنا:

ج1 = ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا ﴾ ﴿ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾ .

↓ ↓

جَمِيلَةٌ جَمِيلَةٌ

ج2 = ﴿ كَانَ وَعَدُّهُ مَفْعُولًا ﴾ .

في ختام كل هذه المواضع التي تبين أثر الوقف والابتداء في حسن وبيان المعنى، وتمامه وقبحه في ذهن السامع (المتلقي)، وهنا يمكننا القول أنني اخترت أمثلة فقط ولم أقف على كل ما يوجد في القرآن الكريم من وقوف وابتداءات وهذا نظرًا لحجم البحث.

كما أشير إلى أن ابن الأنباري قد وضع بابًا في كتابه إيضاح الوقف والابتداء يبين فيه مواضع يقبح الوقف عليها، وهنا لم أذكرها كلها إلا المواضع التي تدور بين دفتي القبح والحسن في آراء علماء الوقف والابتداء، وأسندتها بقول النحويين أمثال سيبويه، والمفسرين، لأن عنوان هذا الجزء يبحث في إمكانية أن يكون الوقف قبيحًا أو حسنًا ولكل وجهة تحليل خاص إما بتفسير اللغة منها وإليها، أي علاقة الوقف والابتداء بالنحو (التركيب) ، أو بتفسير اللغة بعلاقتها بالمقام (من مناسبة الكلام وحوادث وقوعه) ، وهنا تكون علاقة [نص - بالمقام].

وكل هذه التعليقات موجودة في مدونة كتب الوقف والابتداء وعلى سبيل المثال فيها، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، والقطع والانتناف، ومنار الهدى، وعلل الوقوف، والمكتفى في الوقف والاب

خاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد كان لهذا البحث رغم الصعوبات التي واجهتني فيه نهاية أمل أن تختتم بالحسنى، وتتقبل قبولاً حسناً، ويكون إضافة في صرح الدراسات اللسانية العربية.

وقد ختم مثل كل بحث بنتائج، غير أنه لكونه توسع وانفتح على علوم شتى ترتبط بالعلمين اللذين هما موضوع هذا العمل ومحوراه، وفي الآن نفسه متقابلان لأجل التنظير للسانيات نص عربية. وجدت نفسي أمام آفاق بحوث أخرى وضعتها في توصيات لبحوث مستقبلية. على أمل أن يخوض غمارها طلاب العلم وتسفر عن نتائج بحوث يمكن أن يُتحكم في زمامها بشكل أفضل وتتضح معالمها ووجهتها بصورة أدق.

ونتائج بحثي أخصها في النقاط الآتية:

لأن هذه الدراسة تبدو للوهلة الأولى مقارنة بين علمين هما: علم الوقف والابتداء وعلم النص، هي في الواقع محاولة للتأصيل لجذور النصية في التراث العربي الإسلامي. وتطبيقاً على علم الوقف والابتداء من استقراء للنصوص المحللة والظواهر المعللة في الكتب المدونة لهذا العلم، وبما أن الشكل العام للبحث في جانبه النظري كان يدور حول شقين هما علم الوقف والابتداء وعلم النص، فإننا نلخص نتائج كل شق كما يلي:

1- علم الوقف والابتداء:

* اهتمام العرب بالوقف والابتداء في الكلام كان قبل ظهور ونشأة علم الوقف والابتداء فقد حدث في كلامهم حادثات تُنبئ عن أن في تواصلهم اليومي تركيز للسامع على حسن وقف المتكلم وحسن ابتدائه في كلامه. وأنهم عابوا من لا يحسن الفصل بين مفاصل الكلام ولا يعرف الوقف والابتداء، ولا يطبقها تطبيقاً متميزاً في كلامه، وتباهوا بمن يجيد تقعد مقاطع الكلام.

* نشأة علم الوقف والابتداء كانت بظهور التأليف فيه، وبدراياته حسب التاريخ لأول كتاب في الوقف والابتداء كان سنة (100هـ) أي في القرن الأول هجري، وقد وضعت قائمة لمؤلفات

علم الوقف والابتداء في ملحق في آخر هذا البحث بدأ التأليف فيها بكتابة المقطوع والموصول لعبد الله بن عامر اليحصبي، وهو من الكتب المفقودة.

و كان أول كتاب أمكننا الحصول عليه كتاب الوقف والابتداء لمحمد بن سعدان أبو جعفر الضّرير الكوفي، غير أنه انصب عمله على بيان الوقوف على الحروف وكان عملنا منصبا على كيفية تعليل هؤلاء العلماء وتحليلهم للنصوص داخل كتاب الله عز وجل، فكان أول مصدر وهو عمل رجعت إليه واعتمدت عليه، كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، لابن الأنباري (271-328م) وقد لاحظت أن كل الكتب المؤلفة بعده اعتمدته مصدرا، ورجعت إليه.

* أهمية علم الوقف والابتداء: لعلم الوقف والابتداء أهمية كبيرة، حيث به تكون القراءة بيّنة ولا يعتريها أي لبس، وبه يجيد المجيد، ويحسن المحسن في قراءته، ويؤثر أيّما تأثيرا في السّامع، وقد كان لهذا العلم في الشرع أهمية بالغة وفي علوم القرآن، فقد يؤتمن من يستطيع التّعلم ولا يبذل جهدا في تعلمه من المسلمين.

أما في التّعليم فلعلم الوقف والابتداء أهمية عظيمة، حيث إن فهم النصوص فهما سليما يقوم على الأداء الصحيح والقراءة المتميزة، التي تقوم على حسن معرفة مفاصل الكلام وحسن الوقوف عليها، كما أن للوقف والابتداء أهمية كبيرة في تعليم النشء القراءة. وهي خطوة مهمة في تعليمية اللغات، تأتي في مستوى ثالث بعد تعليم الأصوات اللغوية والمفردات والتراكيب ومن الدّروس التي تقدم للطلبة في الجامعة علامات الوقف والتّرقيم، فحتى في الكتابة صار للوقف والابتداء أهمية كبيرة، وترجم إلى علامات وقف: مثل الفاصلة، والنقطة للتوقف الجزئي أو التّام. وعلامات التّعجب والاستفهام...، ولهذه العلامات دور كبير لمساعدة القارئ على قراءة صحيحة للنّص، وبذلك يحقق فهما صحيحا له. وهو هدف من أهداف التّعليم بل هو أهم أهدافه. وهذا أيضا ما تسعى إليه تعليميّة اللّغات عامّة وليس فقط تعليم اللّغة العربية.

*في حكم الوقف والابتداء شرعا دلالة واضحة على علاقة الوقف والابتداء باللسانيات النصية في تطبيق مباشر على النّصوص، فقد انتقد بعضهم تقسيم علماء الوقف والابتداء

أقسامهما وتسمياتهما، وقيل إنّ ذلك بدعة، ومسمّيه ومعتمد الوقف على نحوه مبتدع. وقد ردّ المحقّقون في هذا بقولهم إنّ الكلمة الواحدة ليست معجزة في شيء، إنّما الرّصف العجيب والنّظم الغريب هو المعجز، وهنا إشارة إلى تجاوز حدود الجملة الواحدة إلى النّص في تطبيق عمليّة الوقف والابتداء على أجزاء أو مفاصل الكلام.

* لم يقدّم رسول الله ﷺ بتقسيم الوقف والابتداء ومصطلحاتهما: تام وكاف وحسن وقبيح، ولا صحابته رضوان الله عليهم، ولكن طبّقه العلماء بعد أن ثبت عندهم، مع اختلافهم في أقسامه ومصطلحاته، ومواضعه.

* لم يُلزم علماء الوقف والابتداء النّاس باتّباع اختيارهم لمصطلح الوقف والابتداء ولا مواضعه، لأنّ الوقف بحسب انقطاع النّفس والابتداء يحتاج إلى نظر وترجيح.

* هذا التّرجيح في الوقف والابتداء مبنيّ على معرفة بعلوم العربيّة: نحو، وتفسير، كما له علاقة بالقراءات من جهة أخرى.

* اختلف علماء الوقف والابتداء في مواضع كثيرة للوقف والابتداء، فبعضهم يقول إنّ هذا تامّ والآخر كافٍ وهكذا....

* بدايات التّأليف في علم الوقف والابتداء كانت منذ بدايات عصر التّأليف، أي في القرن الأوّل هجري، وكان فيه عدد كبير من الكتب المؤلّفة، غير أنّ أغلبها ضاعت، ولم يبق منها إلاّ القليل - كما ذكر ذلك المصنّفون -.

* ما يلاحظ على كتب علم الوقف والابتداء أنّ أغلب مؤلفيها هم نحويون ولغويون وقراء. وهذا يثبت الصّلة الوثيقة لهذا العلم بعلوم العربيّة.

* من تعريف علم الوقف والابتداء لغة خلصنا إلى أنّ لهذين المعنيين علاقة بمعنى مصطلح علم الوقف والابتداء، فكما أنّ للوقف مرادفات هي: القطع، والحبس، والفصل، والتّوقف عن الحركة، فالابتداء مرادفات أيضا هي: الاثتاف، والوصل.

* مصطلح الوقف وجد مفهومه في عدّة علوم منها: العروض، والنّحو، والفقه. أمّا علم الوقف والابتداء، فهو في اصطلاح علماء التّجويد "فن يعرف به كيفة الأداء القرآني. ومعرفة

ما يوقف عليه ويبتدأ به في القراءة. وهو بمعنى آخر: علم يعرف به القارئ المواضع التي لا يصلح الوقف عليها ولا الابتداء بها.

* أمّا في أقسام الوقف والابتداء فمن علماء الوقف والابتداء من صنّفها بحسب القارئ وحالته أثناء القراءة أربعة أقسام: وقف اضطراري، ووقف انتظاري، ووقف اختبائي، ووقف اختياري. ثم تخصص في أقسام القسم الرابع وهو الوقف الاختياري. وقسمت أربعة أقسام: تام وكاف، وحسن، وقبيح. وهناك من صنّفها بحسب علاقة الوقف والابتداء بدلالة اللفظ والمعنى، فقسمها أربعة أقسام مباشرة: تام وكاف وحسن وقبيح. ومن العلماء من أضاف أقساماً أخرى، واختلف في مسمياتها وعددها من عالم إلى آخر.

أمّا أقسام الابتداء فهي بالمثل أربعة أقسام هي بالترتيب ابتداء تام، وكاف، وحسن وقبيح. ولا توجد فيما ألف - فيما اطلعت عليه - تقسيمات أخرى للابتداء، لكنّ ما لاحظته أنّ في الوقف الجائز يجوز الوقف على الكلمة، كما يجوز الابتداء بما بعدها. وكذلك يوقف المعانقة فمتى أجزى الوقف أجزى الابتداء بما بعد الكلمة الموقوف عليها. ولكن لم تسم أقساماً للابتداء ولم يختلف في مصطلحاته كما حدث مع الوقف. ولعلّ سبب ذلك تركيز علماء العربية على الوقف أكثر من الابتداء.

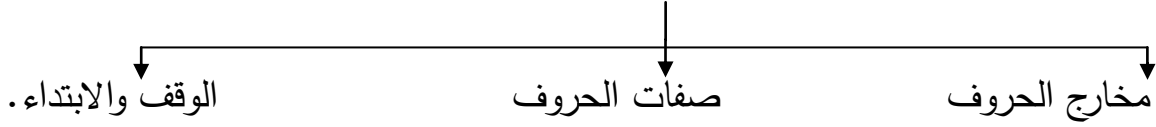
كما أنّ الوقف يتمّ لضرورة، ولغير ضرورة، عكس الابتداء فلا يبدأ القارئ - المتكلم - كلامه إلاّ إذا أنعم النّظر فيما سيقروّه.

أقسام الابتداء هي كلّها تقابل ما يندرج ضمن قسم الوقف الاختياري. ولا يوجد ابتداء اضطراري، ولا ابتداء انتظاري، ولا ابتداء اختياري. ويعود هذا إلى كون الابتداء ظاهرة عكسية لظاهرة الوقف، إذ يكون القارئ فيه في كامل استعداده عقلياً وصحياً، على عكس الوقف الذي تطول فيه القراءة؛ وقد تواجه القارئ فيه عراقيل منها انقطاع النّفس.

موضع الوقف والابتداء في علم التجويد نجده مبحثاً هاماً من علم التجويد، يوضح موقعه

المخطط الآتي:

مباحث علم التّجويد الرئيسيّة:



*اختلف علماء الوقف والابتداء في مصطلحات الوقف والابتداء وتقسيماتها فمنهم من قسمها قسمين: تامّ وغير تام. وذهب آخرون إلى أنّها ثلاثة أقسام: تام، وحسن، وقبيح. وأجمع أكثر القراء على أنّ أقسام الوقف أربعة أقسام: تام وكاف وحسن وقبيح. ويقول آخرون إنّها أربعة أقسام أيضا: تام مختار، وكاف جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك، وهذا يقارب ما قبله في التقسيم ويخالفه في المصطلح بإضافة صفات للمصطلح، فينتج عنها مصطلحات مركبة للمفاهيم نفسها. ومنهم من جعله أربعة أقسام أيضا ولكن باصطلاح مخالف جزئيا، وهي: مطلق، وجيد، وجائز، وقبيح. فقابل مصطلحي تام وتام مختار مصطلح: مطلق، وقابل مصطلحي كاف وكاف جائز مصطلح جيد، وقابل مصطلحي حسن وحسن مفهوم مصطلح جائز، وبقي مصطلح قبيح موحدًا في معظم المصنّفات التي ذكّر بها. وقسمه بعضهم خمسة أقسام: لازم، ومطلق، وجائز، ومجوز لوجه، ومرخص ضرورة. وقسمه بعضهم سبعة أقسام: تام، وتام، وحسن، ومفهوم، وصالح، وقبيح. وذهب آخرون إلى أنّه ينقسم إلى ثمانية أقسام: أعلاها التّام، ثم الحسن، ثم الكافي، ثم الصّالح، ثم المفهوم، ثم الجائز، ثم البيان، ثم القبيح. وقال غيرهم الوقف ثمانية مراتب: تام وشبيهه، وناقص، وشبيهه، وحسن، وشبيهه، وقبيح، وشبيهه. واصطلح على تسميتها بعضهم بأنّها ثمانية أقسام وهي: كامل، وتام، وكاف، وصالح، ومفهوم، وجائز، وناقص، ومتجاذب. وتجاوزت مراتبه الثمانية إلى تسع مراتب عند آخرين وهي: تام أو أتم، وكاف وأكفى، وحسن وأحسن، وصالح وأصلح، وقبيح وأقبح.

*كما ركز علماء الوقف والابتداء اهتمامهم بالوقف دون الابتداء، يتضح التّركيز على رموز الوقف أكثر، فمعرفة مواضعه وكيفية الوقوف عليها تحدّد موضع الابتداء وكيفيته. وأهم مظاهر الابتداء تظهر في مواضع همزة الوصل وضوابطها وإذا حاولنا ربط هذا برموز الابتداء، فيمكننا القول إنّها ما يتعلق بضوابط رسم المصحف.

*علم الوقف والابتداء قوانين ضابطة، تمكن القارئ من التوقف الحسن والابتداء الحسن -أثناء عملية القراءة لكتاب الله عزّ وجلّ-، الذين يتوافقان مع نظام اللّغة العربية وحسن الأداء، بهدف تحقيق عملية التّواصل، فقراءة القرآن عملية تواصل يقوم بها القارئ باعتباره مستمعا أولاً ومتكلما في الآن نفسه قارئاً، وتلاوته بشكل سليم تؤثر في ذهن السّامع المنصت.

والقوانين التي تحكم الوقف في القرآن هي قوانين وقواعد اللّغة العربية، وقد سبق ذكر قول العلماء في ذلك (لا يجوز الوقف على المبتدأ دون الخبر ولا على الصّفة دون الموصوف ولا على البديل دون المبدل منه،...). فالوقف على مفصل الكلام يكون باحترام نظام اللّغة العربيّة، من ظاهرة الإسناد إلى العلاقات التي تربط التابع بالمتبوع...

وأما عن ضوابط الوقف والابتداء فهي المواضيع التي يمكن للوقف عندها أن يكون جائزاً ويحسن السّكوت عليه، وكذا المواضيع التي يجوز الابتداء منها. وهي هنا تختلف باختلاف أقسام الوقف والابتداء. فنجد ضوابط الوقف التّام، وضوابط الوقف الكافي وكذا ضوابط الوقف الحسن، وضوابط الوقف القبيح.

*يرتبط علم الوقف والابتداء بعلوم كثيرة، وهذا راجع إلى تعلقه بالقرآن؛ وكيفية قراءته؛ وأداء القراءة بشكل سليم ومؤثر في ذهن السّامع. وبما أنّ القرآن نزل بلسان عربي مبين، فهذا يقتضي ارتباط علم الوقف والابتداء بعلوم العربية من نحو وبلاغة من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ ارتباطه بالمعنى يفتح المجال على علوم إسلامية: مثل علم التّفسير وعلم القراءات، وعلم الفقه.

2-لسانيات النّص:

*ظلت لسانيات الجملة لسنوات عديدة مجال الدّراسة اللّسانية. وفي الخمسينيات بدأ اكتشاف وحدات لغوية تستدعي عند تفسيرها تجاوز حدود الجملة، فكانت بمثابة نقطة انطلاق لللسانيات النّص وتحليل الخطاب.

* لم تكتمل مفاهيم لسانيات النّص إلا سنة 1979م بتأليف كتاب هاليداي ورقية حسن الاتساق في اللغة الانجليزية (Cohesion in English)، الذي كان تطبيقاً لآليات الاتساق في اللغة الانجليزية.

* قوانين لسانيات النّص هي القواعد التي تتحكم في نظام اللّغة التي يكتب بها نص ما، ولكل لغة نظامها وقواعدها. أمّا ضوابطها فهي معايير النّصية. التي تهدف لسانيات النّص إلى تطبيقها على كل النّصوص في أي لغة من اللّغات بغية جعلها نمطية يمكن تطبيقها على أي نص.

* لسانيات النّص آليات ووسائل لتحليل النّصوص صنفها ضمن ضوابطها في هذا البحث، لأنني رأيت أنّها تشكل نقطة انطلاق الباحث في مجال لسانيات النّص إلى تحليل أي نص. وهي تتمثل في وسائل وأدوات الاتساق النّصي، وآليات الانسجام وقواعده.

*تقوم لسانيات النص على محورين هما أساس التحليل النّصي: الاتساق والانسجام، وهي في باب الاتساق تدرس اللغة [النص] منها وإليها، وهنا ارتبطت بعلم اللسان البشري فهي في اللغة العربية مثلا ترتبط بعلم النّحو خاصة في تحديد مفاصل الكلام وهي الجمل، لمعرفة نسيج العلاقات التي تحكمها. وفي باب الانسجام تدرس اللغة [النص] في علاقته مع ما هو غير لغوي ويتحكم في نشأة هذا النّص وهنا ارتبطت لسانيات النّص بعلم شتى تدخل ضمن ما اسمته عزّة شبل العلم الموسوعي وعلم التّفاعل.

3- علاقة لسانيات النّص بعلم الوقف والابتداء (نقاط التّقاطع ونتائج التّحليل):

* مجال دراسة كل من علم الوقف والابتداء ولسانيات النّص هو "النّص" وهو وحدة التّحليل اللّساني.

* انفتاح كل من علم الوقف والابتداء ولسانيات النّص على علوم أخرى بهدف تحليل النّص في جانبه البنوي أو التّداولي. والمتمثل في شقي الاتساق والانسجام، ونلاحظ أنّ العلوم المرتبطة بهذين العلمين تكاد تشترك إلا أنّ المتعلقة بعلم الوقف والابتداء تتمثل في علوم اللسان العربي. أمّا المرتبطة بلسانيات النّص فتتعلق بعلم اللسان بصفة عامة. وهذا الأمر راجع إلى مدونة البحث، فعلم الوقف والابتداء تطبيق مباشر للتّحليل اللّساني النّصي على نص عربي (القرآن الكريم)، أمّا لسانيات النّص فهي توجه نظري يهدف إلى تطبيق آلياته الإجرائية في التّحليل على كل النّصوص وفي أي لغة من اللّغات البشرية.

*ارتبط علم الوقف والابتداء بالقراءات، واختلفت القراءات باختلاف الوقف والابتداء، كما تأثر الوقف والابتداء بالقراءات. ورغم أنّ علم القراءات علم خاص باختلاف القراءات في كتاب الله عزّ وجل. إلا أن هذا يجعلنا نخرج بنتيجة هي أساس تنشئة النصوص، فعملية القراءة للنص هي الوسيلة الأولى لفهمه. ونقطة مهمّة في التفاعل معه، وهي أنّه كلما قرأنا نصّاً بطريقة مختلفة عن الأخرى بعدم احترام علامات الوقف والابتداء، أدى ذلك إلى اختلاف في المعنى المفهوم لدى المتلقي. كما أنّ تعليم النشء قواعد الوقف والابتداء كفيل بتحقيق الفهم الأقرب للنصوص. فالوقف والابتداء هو مرحلة ذات أهميّة بالغة في تعليم اللغات. لا بد أن تلقى اهتماماً كبيراً في تطبيقها.

*تعدّد الحالات الإعرابية يؤثر أيّاً ما تأثير في الوقف والابتداء على مفاصل الكلام والعكس بالعكس، فيحدّد البنية النسيّة وعلاقة أجزاء النص بعضها ببعض، كما يحدّد علاقة النصّ بالعالم وما يحدث فيه من حوادث. وقد أوضح علماء الوقف والابتداء من تحليلهم للنصّ القرآني تعليقات للوقف على مفاصل الكلام والابتداء بها، وهذه التعليقات تصب إمّا في علاقة أجزاء الكلام بعضها ببعض أو علاقة اللغة(النص) بما هو خارج عنها.

*وقفنا في المبحث الأخير على أثر الوقف والابتداء في تغيير المعنى وأخذت نماذج من تمام المعنى وهنا تظهر أهميّة الوقف والابتداء في الفصل بين المعاني، لأنّ من لا يعرفها يخطئ بين المعاني المختلفة والأحكام المتباينة. فقد يخرج فعل الأمر بسبب الخطأ في الوقف والابتداء إلى أغراض بلاغية أخرى مثل التهديد والوعيد.

*تعدّد المعنى في الكلام باختلاف الوقف والابتداء يؤدي إلى اختلاف في بنية النصّ وينتج عنه تعدّد في نسيج العلاقات بين أجزائه، وكذا علاقة النصّ بالمقام.

*اختلاف تعليقات الوقف والابتداء بسبب المعنى، الذي يُصنّفه بعض علماء الوقف والابتداء أنّه قبيح، لأنه يعود بمعنى صفة سيئة في سياق الكلام على الله عزّ وجلّ، فيتخرجون من الوقف عليه، ويحسن بعضهم الوقف في ذلك الموضع لأنّه لا يسيء إلى الله عزّ وجلّ، فيدور المعنى بين الحسن والقبح بسبب اختلاف في فهم المعنى وتفسيره. وليس بسبب الإسناد.

*في الختام أقول إنّ علم الوقف والابتداء علم جليل من علوم القرآن الكريم، اشتغل فيه علماء الوقف والابتداء - وهم قراء ونحويون بالدرجة الأولى - على النصّ القرآني - كتاب الله - ونصوص بداخله على اعتبار أن لكل سورة حادثة ولكل آية مناسبة في كثير من الأحيان، فيمكننا القول إن علم الوقف والابتداء هو تحليل لساني للنص في حقبة تجاوزت كثيرا زمن ظهور لسانيات النصّ الغربية. وهي دراسة تطبيقية لتحليل النصّ. تربط فيها النص بأجزائه من جهة وعلاقته بما هو غير لغوي (مقامه).

*توصيات بحوث مستقبلية:

بما أنّ هذا البحث كان منفتحا على واجهتين لعلمين، لهما صلة بعلوم كثيرة لسانية وغير لسانية، كما أنّي تطرقت إليه وفي نفسي حاجة إلى الغوص في مواضيع شتى تحتاج إلى أن تكون بحوثا مستقلة بذاتها. فوددت بهذا أن أشير إلى هذه المواضيع من باب فتح آفاق البحث مستقبلا، وألخصها في شكل توصيات هي:

*مصطلحات علم الوقف والابتداء تحتاج إلى أن تكون بحثا مستقلا بذاته. ويمكن التطبيق عليها بشكل معمق أكثر، باختيار كتاب والتطبيق على مصطلحاته مباشرة.

* جمع الآيات التي لم أتطرق إليها دراسة في هذا العمل - لها علاقة باختلاف المعنى وأثر الوقف والابتداء في ذلك، والتطبيق عليها.

* في أثر اختلاف القراءات في الوقف والابتداء، أشرت في هامش هذا البحث أن كثيرا من مواضع الوقف والابتداء لها أثر في اختلاف القراءات، وهو مشروع بحث.

* دراسة الأثر النحوي في الوقف والابتداء بالتطبيق على كتاب من كتب الوقف والابتداء، وهي كثيرة والعمل عليها قليل جدًا.

* دراسة الأثر البلاغي في الوقف والابتداء والتطبيق أيضا على كتاب من كتب الوقف والابتداء.

والله من وراء القصد. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

❖ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

المصادر:

1. ابن الأنباري أبو بكر محمد بن بشر بن الحسن، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزوجل، تحقق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة - مصر، ط1، 1428هـ-2007م.
2. ابن الجزري الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، (دط)، (دتا)، ج1.
3. ابن جنّي أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النّجدي ناصف، وعبد الفتّاح إسماعيل شلبي، (د ط)، (د تا)، ج2.
4. ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن، كتاب جمهرة اللغة، حققه وقدم له: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، (د.م) ج2.
5. ابن عطية الأندلسي أبو محمد عبد الحق بن غالب القاضي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقق: عبد السلام عبد الشافي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2001م، ج3.
6. ابن عقيل بهاء الدين عبد الله العقيلي المصري الهمداني، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار التراث، القاهرة - مصر، ط20، 1400هـ - 1980م، ج1.
7. ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشيّ الدمشقيّ، تفسير القرآن العظيم اعتنى به: أحمد عبد السلام الرّغبّي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت-لبنان، (د ط)، (د تا) ج4.
8. ابن مالك أبو عبد الله جمال الدين محمد الطائيّ الأندلسيّ الدمشقيّ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، حققه وقدم له، محمد كامل بركات، الجمهورية العربية المتّحدة، وزارة الثقافة، المكتبة العربية، التراث، دار الكاتب العربي، القاهرة، (دط)، 1387هـ - 1967م.

9. ابن هشام الأنصاري جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، دون معلومات النشر، ج2.
10. أبو بكر الأنباري محمد بن القاسم، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل تحقق: محيي الدين عبد الرحمان رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق - سوريا، (د ط)، 1391 هـ - 1971م، ج1.
11. أبو حيان الأندلسي الغرناطي محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تحقق: عرفان العشا حسونة، مراجعة صدقي محمد جميل، دار الفكر، (د ط)، 2010، ج10.
12. أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد الأندلسي، المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، دراسة وتحقيق: يوسف عبد الرحمان المرعشلي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1407 هـ - 1987م، شارع سوريا - بيروت - لبنان.
13. أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر حققه وضبط نصّه: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 1409 هـ - 1989م.
14. أحمد بن أوس أبو عبد الله بن محمد، كتاب الوقف والابتداء، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد الفتاح محمد العريبي، جامعة قار يونس، بنغازي - ليبيا، ط1، 2008م.
15. الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقق: عبد السلام هارون مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية، مطابع سجل العرب، القاهرة - مصر.
16. الاستربادي رضي الدين محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهد هل عالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزنة الأدب، حققها وضبط غريبها وشرح مبهمها: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (دط)، 1402 هـ - 1982م، مج1، ج2.
17. الأشموني أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن عيسى، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه حسن حمد، إشراف: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط1، 1419 هـ - 1998م، ج4.

18. الأشموني أحمد بن محمد بن عبد الكريم، كتاب منار الهدى في بيان الوقف والابتدا وبهامشه كتاب التّبيان في آداب حملة القرآن، للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي، المطبعة الميمنية، مصطفى البابي الحلبي وأخويه، مصر، (دط)، (دت).
19. الأشموني أحمد بن محمد بن عبد الكريم، منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه ((المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء))، زكريا الأنصاري أبو يحيى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء، مصر، ط2، 1393هـ - 1973م.
20. البقاعي برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 1995، ج1.
21. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، البيان والتبيين، تحقق: عبد السلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1418هـ - 1998م، ج1.
22. الزاغب الإصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، (د م)، (د ط)، (د ت)، ج1.
23. الرّضي الاستريادي، شرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، دراسة وتحقق: يحيى بشير مصري، الإدارة العامة للثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، ط1، 1417هـ - 1996م، ج1.
24. الرّجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السّري، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1، 1988م، ج3، ص: 281.
25. الرّركشي بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2 (لوان) 2012م، ج1.
26. زكريا الأنصاري القاضي بن محمد، اختصار كتاب المرشد في الوقف والابتداء المسمى المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء ويليهما اللؤلؤ النّظيم في روم التعلّم والتّعليم،

تحق: فرغلي سيد عرياوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2011م.

27. الرّمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، الكشّاف عن حقائق غوامض التّأويل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، تحق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض وفتحي عبد الرحمان أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، ط1، 1998م، ج1.

28. السّجاوندي أبو عبد الله محمد بن طيفور الغزنوي، علل الوقوف، دراسة وتحقيق: محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، مكتبة الرّشد، ناشرون، المملكة العربية السّعودية - الرياض، ط2، 1428 هـ - 2007م.

29. السّجاوندي، أبو عبد الله محمد بن طيفور كتاب الوقف والابتداء، تحق: محسن هاشم درويش، دار المناهج، عمان - الأردن، ط1، 2009م.

30. السّخاوي علم الدّين علي بن محمد، جمال القراء وكمال الإقراء، تحق: علي حسين البوّاب، مكتبة التّراث، مكة المكرمة، صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التّصويري بمكتبة الخانجي، مطبعة المدني، المؤسسة السّعودية، القاهرة - مصر، ط1، 1408هـ - 1987م، ج2.

31. السّكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، (دط)، (دتا).

32. المهديّ أبو العباس أحمد بن عمّار، شرح الهداية، تحق: حازم سعيد حيدر، مكتبة الرّشد، الرياض، المملكة العربية السّعودية، (د ط)، (د تا).

33. السيوطي جلال الدّين عبد الرّحمان بن أبي بكر، الإتيان في علوم القرآن، ضبطه وصحّحه وخرّج آياته محمد سالم هاشم، طبعة جديدة كاملة في مجلد واحد، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط4، 2012م.

34. سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1992م، ج3.

35. الشوكاني محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط 4، 2007م.

36. العكبري أبو البقاء، مسائل خلافة في النحو، تحقق: محمد خير الحلواني، دار الشرق العربي، بيروت، ط1، ج1.

37. الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي وعلي النجدي ناصف، تراثنا، (د م ن)، (د ط)، (د تا)، ج3.

38. القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، اعتنى به وصححه: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط2، 1423 هـ - 2003م، ج12.

39. القسطلاني أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقق: مركز الدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد، الأمانة العامة، الشؤون العلمية، (دط)، (دتا)، مج2.

40. النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، القطع والائتلاف، تحقق: أحمد فريد المزيدي دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون، بيروت - لبنان، ط2، 2013م.

41. النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تحقق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية، ط2، 1985م، ج1.

42. محمود بن عبد الجليل روزن، وقف البيان في القرآن الكريم دراسة مصطلحية،

43. مكّي القيسي أبو محمد بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، تحقق: حاتم صالح

الضامن، كلية الآداب، جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، ط2، 1984م ج1.

المراجع:

1. أحمد سعد محمد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر

ط2، 1418 هـ - 1997م.

2. أحمد عارف حجازي عبد العليم، الوقف والابتداء في ضوء اللسانيات الحديثة، دار فرحة، المنيا، ط1، 2008م.
3. أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة - مصر، ط1، 2001م.
4. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة-مصر، ط6، 2006.
5. أمل شفيق العمري، التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في التفسير الكبير لإمام الطبراني، دراسة تحليلية تأصيلية، وزارة الثقافة، عمان - الأردن، ط1، 2010م
6. الأزهر الزناد، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي بيروت - لبنان والدار البيضاء - المغرب، ط1، 1993م.
7. استيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، دار الغريب، القاهرة-مصر (د ط)، (د تا).
8. آيت لعميم عبد الرحمان، شرح وتوجيه منظومة الوقف والابتداء فيما خالف فيه نافع باقي القراء، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش - المغرب، ط1، 2003م .
9. تودوروف وآخرون، في أصول الخطاب النقدي الجديد، تر: أحمد المدني، 1997.
10. تون فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري دار القاهرة للكتاب، القاهرة - مصر، ط1، 2001م.
11. توماس لوكمان، علم اجتماع اللغة، تر: أبو بكر باقادر، النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية جدة، ط1، 1987م.
12. الجرجاني علي بن محمد الشريف ، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان - بيروت، طبعة جديدة، 1990م.
13. جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال الدار البيضاء - المغرب، نشر هذا الكتاب باتفاق مع دار سوي باريس، ط2، 1997.

14. الحربي محمد خليل مراد، الوقف في اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2006م.
15. محمود خليل الحصري، معالم الاهتداء في معرفة الوقف والابتداء، مكتبة السنة، القاهرة - مصر، ط1، 1423هـ - 2002م.
16. حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية- مصر، ط2، 1993.
17. حياة مختار أم السّعد، تداولية الخطاب الرّوائي من انسجام الملفوظ إلى انسجام التّلفظ، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2015.
18. خلود العموش، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النّص والسّياق الجامعة الهاشمية، الأردن، (د ط)، (د تا)، ج1.
19. خليفة الميساوي، المصطلح اللّساني وتأسيس المفهوم، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، دار الأمان، الرباط - المغرب، ط1، 2013.
20. خليل بن ياسر البطاشي: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، عمان، ط1، 2009.
21. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبية، حيدرة، الجزائر، (د ط)، 2000
22. دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط1 2008م.
23. رشيد برقان، آليات ترابط النّص القرآني، أفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2015م.
24. روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418 هـ - 1998 م.
25. روبرت دي بوجراند وإلهام أبو غزالة وآخرون، مدخل إلى علم لغة النّص، مطبعة دار الكتاب، (د م)، ط1، 1992م.

26. زتسيسلاف واورزنيك، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط2.
27. زكريا الأنصاري بن محمد، الدقائق المحكمة في شرح المقدمة شرح للمقدمة الجزرية في علم التجويد، ضبط وتحقيق: زكريا توناني، دار الإمام مالك، الجزائر، ط2، 2013م.
28. سارة ميلز، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2016.
29. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الدار البيضاء - المغرب، ط3، 1997.
30. صبرى الأشوح، إعجاز القراءات القرآنية، دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء مكتبة وهيبة، القاهرة - مصر، ط1، 1998م.
31. الصفاقسي أبو الحسن علي بن محمد الثوري، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الأخطاء حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، تقديم وتصحيح: محمد الشاذلي النيفر المكتبة القرآنية، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، (دم)، (دط)، (دتا).
32. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992م، ع: 164.
33. عبد الحميد جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، (د ط)، 1998.
34. عبد الكريم إبراهيم عوض صالح، الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، دار السلام، مصر، ط4، 1435 هـ - 2014م.
35. عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، تقديم: سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، ط2، 1430 هـ - 2009م.
36. عزت شحاته كرار، الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفية، مؤسسة المختار، القاهرة - مصر، ط2، 1427 هـ - 2006م.

37. عشوب عبد الجليل عبد الرّحمان، كتاب الوقف، دار الآفاق العربية، مدينة نصر القاهرة، ط1، 1420 هـ - 2000م.
38. فاوئر روجر، اللّسانيات والرّواية، تر: لحسن احمامة، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1997م.
39. فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني، مراجعة: أحمد حبيبي، سلسلة البحث السيميائي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب 1987م.
40. فرنز كليماير وآخرون، أساسيات علم لغة النص، تر: حسن سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2009.
41. المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني وأثرها في تغيّر المعاني النّحوية من خلال سورة النّساء، دار الوعي، الجزائر، ط2، 2012م.
42. محمد الشاوس، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس "نحو النص"، جامعة منوبة، كلية الآداب -منوبة- تونس، المؤسسة العربية، مج14، ج1.
43. محمّد عابد الجابري، بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، الرباط - المغرب، ط9، 2009م.
44. محمد يوسف حلبص، أثر الوقف على الدّلالة التركيبية، دار الثقافة العربية، القاهرة مصر، (دط)، 1414 هـ - 1993م.
45. محمود خليل الحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، ضبط نصّه وعلّق عليه محمّد طلحة بلالمنير، المكتبة المكيّة، مكة المكرمة - السعودية، ط1، 1416 هـ - 1995م.
46. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار، وقوف القرآن وأثرها في التفسير دراسة مع تطبيق على الوقف اللازم والمتعاق والممنوع، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، (دط)، 1431 هـ - 2012م.

47. مصطفى الغلابيني، جامع الدروس العربية، راجعه ونقحه: عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط3، 1330 هـ - 1912 م، ج2.

48. مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، لونغمان - القاهرة 1997م، ص: 148.

49. المعصراوي أحمد عيسى والدسوقي محمد وأمين كحيلة، الوقف والابتداء وأثرهما في اختلاف المفسرين، دار السلام، مركز كحيلة للدراسات القرآنية، القاهرة - مصر، ط1 1436 هـ - 2015م.

50. نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 2012م.

51. نوال محمد عطية، علم النفس اللغوي، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط3، 1995م.

المعاجم:

1. ابن فارس أبو الحسين بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقق: عبد السلام هارون المجمع العلمي العربي الإسلامي، دار الفكر، ج5.

2. ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم لسان العرب، تحقق: عبد الله عي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (دط)، (دتا) مج1، ج6.

3. التهانوي محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زينات، سلسلة موسوعات المصطلحات العربية والإسلامية، مكتبة ناشرون، لبنان، ج2.

4. الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمان، كتاب العين، تحقق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والإعلام، بغداد - العراق، مج 5.

5. راجي الأسمر، المعجم المفصل في علم الصّرف، مراجعة: إميل بديع يعقوب، الخزانة اللّغوية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (دط)، 1418هـ - 1997م، السّلسلة: 8.
6. مجمع اللّغة العربية جمهورية مصر العربية، المعجم الوسيط، القاهرة - مصر، ط4 2004م.
7. الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية، قابله على نسخة خطية وأعدّه للطبع ووضع فهارسه: عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، إحياء التراث العربي، دمشق، (دط)، 1974م، ج5.

المجلات:

1. الحربي عبد العزيز بن علي، وقف التّجاذب (المعانقة) في القرآن الكريم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشّريعة، اللّغة العربية وآدابها، ج 19، ع31، رمضان 1425هـ.
2. رسم الختم الحسن عمر، الوقف وأثره في المعنى، مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الاسلامية (1)، المملكة العربية السعودية، 1417هـ - 1997م، م9.
3. الطاهر لوصيف، المقاربة التبليغية وتعليم اللّغة وتعلمها، مجلة لغات ، جامعة الجزائر ع3، 2004.
4. عبد الرحمان الجمل، أثر الاختلاف في القراءات في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانيّة)، كلية أصول الدين، غزة فلسطين، مج 18، 2004م.
5. مازن الوعر، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، مجلة اللسانيات، ع6، 1984.
6. مازن الوعر، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، مجلة المجمع الجزائري باللّغة العربية، الجزائر، ع:11، جوان 2010.
7. محمود بن عبد الجليل رُوزن، وقف البيان في القرآن الكريم دراسة مصطلحيّة، مجلة البحوث والدراسات القرآنيّة، ع 13، السنة التاسعة.

الرسائل:

1. خديجة أحمد مفتي، الوقف والابتداء عند النحاة والقراء، رسالة دكتوراه، إشراف: عبد الفتاح إسماعيل شبلي، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية 1405 - 1406 هـ.
2. الزهرة ختو، ملامح التحليل النصي في التحرير والتنوير سورة الإسراء، أنموذجا أطروحة دكتوراه الطور الثالث ل م د، تخصص: لسانيات النص وأصول الخطاب، إشراف الأستاذ: مفتاح بن عروس، قسم علوم اللسان، كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية الجزائر، 2016 - 2017.
3. شريفة بلحوت، الإحالة، دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (Cohesion in English) م.أ.ك. هاليداي ورقية حسن، رسالة ماجستير، تخصص ترجمة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2001.
4. عبد الله بن سالم الثمالي، وقوف القرآن وعلاقتها بالمعنى والتركيب من خلال كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله لبن الأنباري، رسالة دكتوراه، المملكة العربية السعودية.
5. عبد الله علي راجي المطيري، الوقف والابتداء في القرآن الكريم وأثرهما في التفسير والأحكام، رسالة ماجستير، إشراف: حلمي عبد الرؤوف محمد عبد القوي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، المملكة العربية السعودية، 1420 هـ.
6. علي صالح، أسماء الله الحسنى في أواخر الآيات مقاربة تداولية، رسالة دكتوراه علوم تخصص: دراسات لغوية، إشراف: عبدالرزاق عبيد، كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2016 - 2017.
7. مفتاح بن عروس، الإتساق النصي دراسة في ظاهرة العائد في اللغة العربية، رسالة ماجستير.

8. مفتاح بن عروس، الإتساق والانسجام في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه الدولة تخصص: لسانيات النص، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007 - 2008.
9. عزوز فوزية ، المقاربة النصية بين النظرية والتطبيق، دراسة ميدانية تحليلية الطور الابتدائي الجزائري أنموذجا، رسالة ماجستير، تخصص: علوم اللغة، إشراف الدكتور: مفتاح بن عروس، جامعة الجزائر 2، قسم علوم اللسان، 2011 - 2012.
10. نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم -سورة النور نموذجاً-، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 2006-2007.
11. بغريش ياسمين، محاضرة: المدخل إلى علم الاجتماع، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 2، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم: علم الاجتماع، قسنطينة - الجزائر، 2014 - 2015م،
12. موقع الكتروني: انتصار العتوم أفريل 2020، WWW.google.com .
e3arabi.com
13. موقع ويكيبيديا / <https://ar.m.wikipedia.org/wiki>

المراجع بالأجنبية:

- 1- M.A.K HALLIDAY And RuqayaHASSAN, Cohesion in English, LONGMAN, London and New York, 1976.
- 2- Jean Dubois et autre, Dictionnaire de Linguistique, LAROUSSE, paris, 2001.
- 3- Encyclopedic Dictionary of Semeiotics, The CAMBRIDGE ENCYCLOPEDIA OF LANGUAGE, DAVID CRYSTAL, second edition, CAMBRIDGE university press.
- 4- Eléments de linguistique pour le texte littéraire par DOMINIQUE MAINGUENEAU . DUNOD ; paris ; 1993.

5- Cohésion et cohérence études de LA LIGUISTQUE TEXTUELLE ,Sous la direction de ANNA JAUBERT ,ENS EDITION , LYON, 2005 .

6- LA LIGUISTQUE TEXTUELLE ,ADAM, 3^eédition ,cursus lettres , Armand colin,Paris ,2011 .

فهرس الموضوعات:

الصفحة:	
	إهداء
	شكر
أ - ح	مقدمة
93-1	الفصل الأول: علم الوقف والابتداء نشأته وأهميته ومصطلحاته وضوابطه
17-1	مدخل إلى علم الوقف والابتداء: نشأته، وأهميته ومؤلفاته.
43 - 18	المبحث الأول: الوقف والابتداء تعريفهما وأقسامهما.
.27-21	تعريف علم الوقف والابتداء
.43-27	أقسام الوقف والابتداء
.38-28	أقسام الوقف:
.41 - 38	أقسام الابتداء:
.67-44	المبحث الثاني: علم الوقف والابتداء مصطلحاته ورموزه وقوانينه وضوابطه.
.55 - 45	1-1 مصطلحات علم الوقف والابتداء ومفاهيمه:
.60-55	2-1 رموز الوقف والابتداء وعلامتهما في المصحف:
.67-60	3-1 قوانين علم الوقف والابتداء وضوابطه:
.93-68	المبحث الثالث: علم الوقف والابتداء وعلاقته بالعلوم العربية والعلوم الإسلامية.
.74-69	الوقف ظاهرة صوتية:
.79-74	علاقة الوقف بعلم الصرف:
.80-79	علاقة علم الوقف والابتداء بالنحو:
.84-81	علاقة علم الوقف والابتداء بالبلاغة:
.85-84	علاقة علم الوقف والابتداء بالتفسير:
.89-86	علاقة علم الوقف والابتداء بالقراءات:

91-89.	علاقة علم الوقف والابتداء بالفقه:
93-91.	علاقة علم الوقف والابتداء بمرسوم الخط:
171-94.	الفصل الثاني: لسانيات النص: مفاهيمها، وقوانينها وضوابطها.
108-95.	مدخل إلى لسانيات النص:
127-109.	المبحث الأول: لسانيات النص: مصطلحاتها ومفاهيمها
112-110.	النص لغة:
114-112.	مفهوم النص اصطلاحاً:
115-114.	الخطاب لغة:
117-115.	مفهوم الخطاب اصطلاحاً:
119-117.	الفرق بين النص والخطاب:
120.	السياق لغة:
121-120.	السياق اصطلاحاً:
123-121.	لسانيات النص:
124-123.	الاتساق:
125-124.	الانسجام:
125.	القصدية:
125.	المقبولية:
126.	الإعلامية:
126.	الموقفية:
127-126.	التناسق:
155-127.	المبحث الثاني: لسانيات النص قوانينها وضوابطها:
145-128.	أدوات الاتساق النصي
135-129.	الإحالة:
137-136.	الاستبدال:
139-137.	الحذف:
141-139.	الوصل:

142-141.	التّماسك المعجمي أو الاتّساق المعجمي
144-141	التكرار:
145-144	التّضام:
155-145	الانسجام وآلياته:
146-145	مميّزات الانسجام:
149-146	أقسام الانسجام:
155-150	آليات الانسجام:
171-156.	المبحث الثالث: لسانيات النّص وعلاقتها بعلوم اللّسان والعلوم الإنسانيّة:
163-157.	علاقة لسانيات النّص بعلوم اللّسان:
160-158.	علاقة لسانيات النّص بالنّحو:
162-160.	علاقة لسانيات النّص بالبلاغة:
163-162.	علاقة لسانيات النّص بعلم الأدب:
163.	علاقة لسانيات النّص بعلم الأسلوب:
171-163.	علاقة لسانيات النّص بالعلوم الإنسانيّة:
165-163.	علاقة لسانيات النّص بعلم النّفس:
168-165.	علاقة لسانيات النّص بعلم الاجتماع:
169-168.	علاقة لسانيات النّص بالانثروبولوجيا:
170-169.	علاقة لسانيات النّص بعلم التاريخ:
171-170.	علاقة لسانيات النّص بعلوم القانون والاقتصاد والسّياسة:
292-171.	الفصل الثّالث: علاقة لسانيات النّص بعلم الوقف والابتداء:
233-172.	المبحث الأوّل: علاقة الوقف والابتداء بالتركيب في ضوء المفاهيم النّصية:
201-173.	1 - الوقف والابتداء واختلاف القراءات:
176-173.	1- سورة الفاتحة:
184-176.	2- سورة البقرة:
187-184.	3- سورة آل عمران:
190-187.	4- سورة المائدة:

.192-190	5-سورة المؤمنون:
.195-192	6- سورة النور:
.198-197	7- سورة يس:
.199-198	8- سورة الدخان:
.199-198	9- سورة الجاثية:
.201-199	10- سورة محمد صلى الله عليه وسلم:
.233-202	2 - الوقف والابتداء وتعدد الإعراب:
.205-202	1- سورة البقرة:
.206-205	2- سورة المائدة:
.208-206	3-سورة إبراهيم:
.209-208	4 - سورة الكهف:
.211-210	5 - سورة الحج:
.214-211	6- سورة النور:
.216-214	7-سورة فاطر:
218-216	8- سورة الشورى:
220-218	9-سورة الفتح:
222-220	10-سورة القمر:
.223-222	11- سورة الممتحنة:
.226-223	12- سورة الطلاق:
.228-226	13- سورة النبأ:
.229-228	14 -سورة القدر:
.233-229	15- سورة الفيل وسورة قريش:
.292-234	المبحث الثاني: علاقة الوقف والابتداء بالمعنى في ضوء المفاهيم النصية:
.255-235	1 - الوقف والابتداء وتام المعنى في ضوء المفاهيم النصية:
.237-236	1-سورة البقرة:
.239-237	2-سورة آل عمران:
.242-239	3-سورة النساء:

.244-243	4 - سورة الكهف:
.247-244	5 - سورة الحجّ.
.249-247	6 - سورة الرّوم.
.251-249	7 - سورة سبأ.
.255-251	8 - سورة الممتحنة.
.271-256	2 - الوقف والابتداء وتعدّد المعنى في ضوء المفاهيم النصّية:
257 - 256	1-سورة البقرة:
260-257	2-سورة آل عمران:
263-260	3-سورة يوسف:
265- 263	4-سورة الرّعد:
267-265	5-سورة النّمل:
270-267	6-سورة غافر:
272-270	7-سورة الفتح:
292 - 272	3- الوقف والابتداء بين القبيح والحسن
277 - 273	1 - سورة البقرة.
278 - 277	2 - سورة الأنعام.
280 - 278	3 - سورة يونس.
283 - 280	4 - سورة الكهف.
285 - 283	5- سورة الأنبياء.
287 - 285	6 - سورة النّمل.
289 - 287	7 - سورة النّجم.
.292-289	8 - سورة المزمل.
303-293	خاتمة.
.310-304	ملحق 01: مؤلفات علم الوقف والإبتداء
324 - 311	فهرس المصادر والمراجع.
.329-325	فهرس الموضوعات:

ملخص:

موضوع هذا البحث يدور حول فكرة التأسيس للسانيات نصية عربية، حيث حاولت فيه المقارنة بين العلمين: لسانيات النص من جهة وعلم الوقف والابتداء من جهة أخرى في الجانب النظري، لأجل الكشف عن نقاط التقاطع بين العلمين، بهدف استنباط القواعد والضوابط والقوانين التي وضعها علماء الوقف والابتداء عند تحليلهم للنص (وهو القرآن الكريم)، ومن ثم البحث في مؤلفات علم الوقف والابتداء عن آليات تحليل النص، التي اعتمدها علماء الوقف والابتداء، وهي فكرة للتأسيس أي البحث عن أصول التحليل اللساني النصي في التراث العربي الإسلامي، وبالضبط في مؤلفات "علم الوقف والابتداء". وقد وسمت هذا البحث بعنوان: "علاقة لسانيات النص بعلم الوقف والابتداء في القرآن الكريم". دراسة تحليلية تأصيلية.

وكانت إشكالية هذا البحث هي: ما علاقة لسانيات النص بعلم الوقف والابتداء؟ وكيف حل علماء الوقف والابتداء (النص) القرآن الكريم؟ وما هي إجراءات التحليل النصي عندهم؟

واعتمدت في هذا البحث للإجابة عن الإشكالية الرئيسية وإشكاليات الثانوية خطة بحث تمثلت في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

في ختام هذا كانت نتائج لهذا البحث. وفيها استخلصت أن تطبيق آليات التحليل النصي في علم الوقف والابتداء كانت تطبيقاً متميزاً من علماء الوقف والابتداء بإجراءات تسبق بآلاف السنين ما وصلت إليه لسانيات النص رغم نظرياتها الحديثة في دراسة النص، فإن تحليل النصوص عند علماء الوقف والابتداء كان تطبيقاً في أسمى مستوياته وأدق إجراءاته النصية.

Abstract :

The topic of this research revolves around the idea of establishing a foundation of Arabic Text linguistics. The study attempts to compare the two fields: text linguistics on one hand and the science of *Waqf & Ibtida'* on the other hand, in the theoretical aspect, in order to reveal the points of intersection between the two fields. The aim is to extract the rules, regulations, and laws that scholars of *Waqf & Ibtida'* have established when analyzing the Text (the Holy Qur'an). The research also investigates the mechanisms of text analysis, as adopted by scholars of *Waqf & Ibtida'*, by exploring the works of *Waqf & Ibtida'*. The study is an idea to establish a foundation of searching for the origins of text linguistic analysis in the Islamic Arab heritage, specifically in the works of "Science of *Waqf & Ibtida'*." The research is titled "The Relationship of Text Linguistics to the Science of *Waqf & Ibtida'* in the Holy Qur'an: A Fundamental Analytical Study."

The main problem addressed in this research was the relationship between text linguistics and the science of *Waqf & Ibtida'*, and how scholars of *Waqf & Ibtida'* analyzed the Holy Qur'an. The research also aimed to investigate the procedures used by these scholars in their textual analysis. To achieve these goals, the research was structured into an introduction, three chapters, and a conclusion.

The results of this study showed that the application of textual analysis mechanisms in the science of *Waqf & Ibtida'* was a distinguished practice by the scholars of *Waqf & Ibtida'* that preceded text linguistics by thousands of years. Despite the modern theories of text analysis in the field of linguistics, the analysis of texts by scholars of *Waqf & Ibtida'* was at its highest level and most precise textual procedures.

